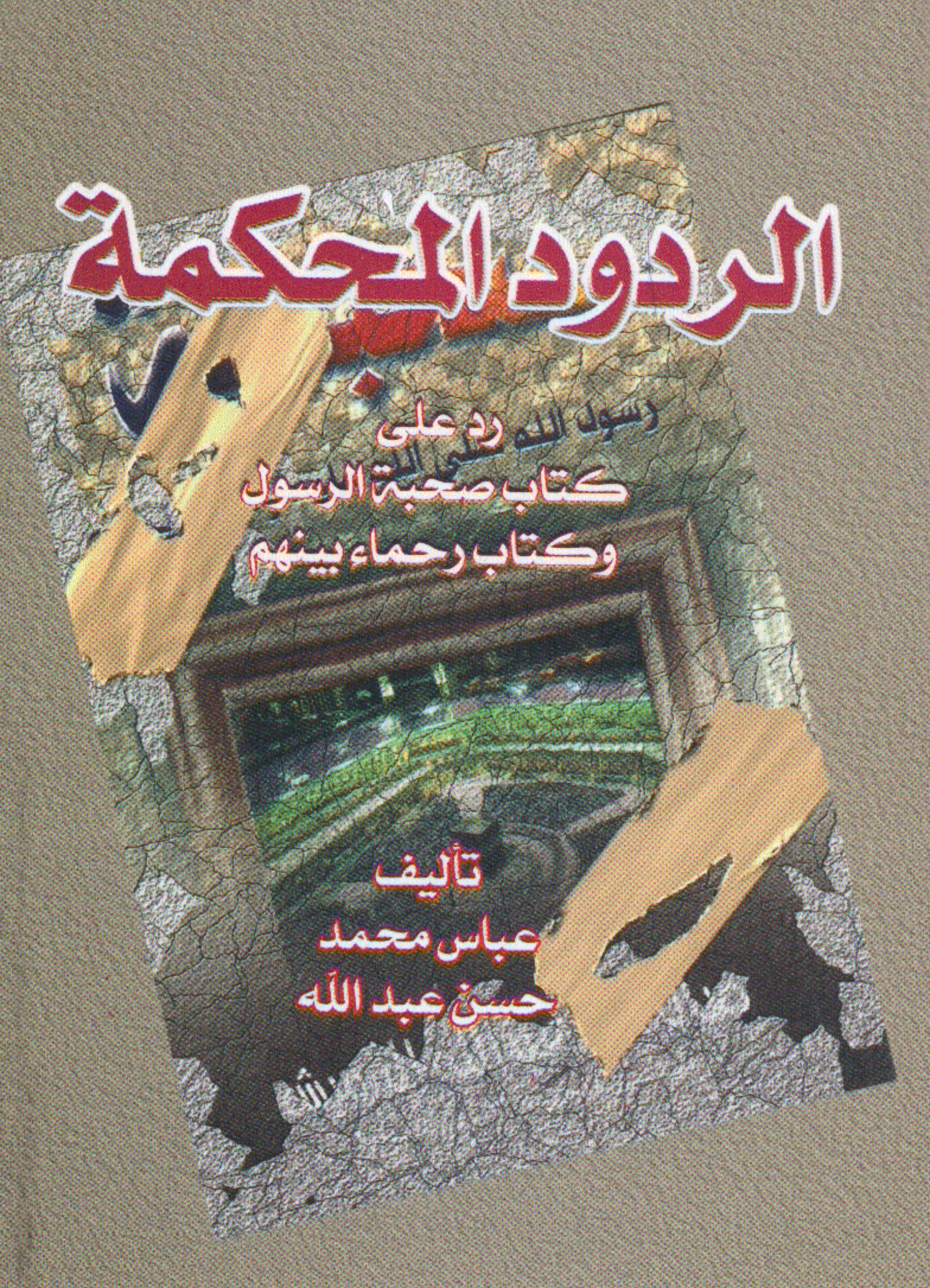
الردود المحكمة

رد على
كتاب صحبة الرسول
وكتاب رحماء بينهم



تأليف
عباس محمد
حسن عبد الله

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

رحمة للعالمين

رد على كتاب رحماء بينهم

تأليف

عباس محمد

اسم الكتاب : الردود المحكمة
تـــأليف : عباس محمد ـ حسن عبداللّٰه
الناشــر : انتشارات مدين
الطبعة : الأولى
سنة الطبع : ١٤٢٧ هـ موافق لـ ١٣٨٥ ش
الكميّة : ١٠٠٠
القيمة : ١٥٠٠

رقم شابك ٦ ـ ٤٠ ـ ٨٩٠١ ـ ٩٦٤
انتشارات مدين : شارع انقلاب - بناية ميلاد / بلاك ٣٨٠
تلفون رقم ٧٧٢٢٦٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، الذين أذهب الله عنهم الرجس وجعلهم رحمة للعالمين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والاخرين .

لقد وقع في يدي كتيب من تأليف صالح بن عبد الله الدرويش باسم « رحماء بينهم »، وهو موجه إلى الشيعة ولو لم يكن كذلك لما تعرضت إلى نقاشه، وقد خلط فيه مؤلفه السم بالعسل ، ومراد مؤلفه اثبات حب الأئمة عليهم السلام لمن سمّاهم بالصحابة، ومقصوده منهم ليس كل الصحابة، وإنَّما فئة خاصة، وهذا هو مراد العامة من كل أبحاثهم في تنزيه الصحابة، وادعائهم عدالة كل الصحابة هو تنزيه واثبات عصمة هؤلاء المجموعة الخاصة التي هي عماد مذهبهم،

ولكن لما لم يكن لديهم دليل على عدالتهم عمدوا إلى أمر لا يمكن أن يتفوّه به ذو مسكة، وهي عدالة أمة كاملة تفوق مائة وعشرين ألفاً .

وقد جاء في هذا الكتيب من الطامات والبليات ما لا يمكن قوله، فقد استدل على حب آل البيت عليهم السلام لهؤلاء الصحابة بأدلة لا تدل على ما رامه من قريب ولا من بعيد، وخلاصة أدلته ترجع إلى ثلاثة :

الأول : تسمية الائمة عليهم السلام أولادهم بأسماء الخلفاء الثلاثة .

الثاني : تزويج بناتهم أو تحديداً تزويج أم كلثوم من عمر .

الثالث : مدحهم عليهم السلام لهم .

وسوف نتعرّض إلى هذه الأدلة - إن صح تسميتها بذلك - ومناقشتها كل على حدة .

ثم تعرّض فيه إلى فصل بعنوان عقيدة أهل السنة في آل الرسول صلى الله عليه وآله ، ثم تعرض إلى رأيهم في النواصب .

وقد بدأ من أول الكتيب بالغش ومحاولة إخفاء الحق ، فانه بعد أن صلى على الرسول صلى الله عليه وآله أشار إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله سيد ولد آدم، وأنه لا عبرة بمن شذ ممن فضل بعض

الأئمة عليهم السلام على الرسول صلى الله عليه وآله ، وهذا من غشه ، فأي مسلم يجرأ أن يتفوّه بأنَّ أحداً من المسلمين[١] يفضل أحد هذه الأمة على الرسول صلى الله عليه وآله، فانَّ هذه لا توافق أصول عقيدة الشيعة الاثني عشرية ، وذلك لأنَّهم يرون قبح تقديم المفضول على الفاضل، وهذه القاعدة العقلية لا يحيدون عنها، فاذا اختاره الله نبياً لهذه الأمة فلا بدَّ أنْ يكون أفضلها، نعم الامام أفضل الخلق بعده، فاذن على طبق قواعد الشيعة الاثني عشرية لا يتصور هذا؛ فضلاً عن النصوص المتضافرة على أنه أفضل ولد آدم ، وهذا المطلب لا يتحاج إلى سرد الأدلة أو تعرض له لولا أن أقحمنا فيه هذا المؤلف ، نعم هو وأمثاله ممن تسمى بأهل السنة يمكن أن يصدر منهم هذا؛ لأنهم لا يعتقدون بقبح تقديم المفضول على الفاضل كبرى ولا صغرى .

---

(١) واللطيف أن هذا الكاتب في كتابه صحبة الرسول صلى الله عليه وآله ص ٥، قد ادعى اجماع الأمة على أن الرسول صلى الله عليه وآله أفضل البشر .

وأما الباب الذي أشار إليه في البحار الأنوار، وهو باب أن الأئمة عليهم السلام أعلم من الأنبياء عليهم السلام، فلو كلّف نفسه وتصفح روايات هذا الباب لما كتب ما كتب ، لأنَّه قد علل في الروايات كونهم أعلم من الأنبياء لأنهم ورثوا علم رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهل يعقل أن يدعي عاقل أنهم أعلم من الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله لأنهم ورثوا علمه ، فالمقصود أنهم أعلم ممن عداه صلى الله عليه وآله ، وذلك لأنَّ الامام علي عليه السلام نفس النبي صلى الله عليه وآله بنص الفرقان العظيم ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] والمقصود من (أنفسنا) فيها هو الامام علي عليه السلام، ومن كان نفس النبي صلى الله عليه وآله فهو مثله علماً وفضلاً إلا مرتبة النبوة، لأنَّ هذا الاستعمال مجازي، والمراد به أقرب فرد في الشبه به، وهذا هو مفاد حديث المنزلة (أنت مني بمنزلة هارون من

---

(١) آل عمران ٦١ .

موسى إلا أنّه لا نبي بعدي)[1] فلم يستثنِ إلا النبوة، فهل هذا غريب؛ وقد نص عليه الفرقان العظيم، والسنة الثابتة المتظافرة من طرق الفريقين، ولكن هذا الكاتب وأمثاله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ .

وقد حاول هذا الغبي أو المتغابي أن يثبت المودة والرحمة بين أهل البيت عليهم السلام وبين بعض الصحابة حتى لو وقعت بينهم الحروب؛ فقال ما هذه نصه (فمع ما جرى بينهم من حروب إلا أنهم رحماء بينهم) هل يتلفّظ بهذا الكلام عاقل؟! فقد جرى بينهم قتال، لو ظفر أحدهم بالآخر لقتله؛ ومع ذلك بينهم رحمة ومودة، فما أدري أأضحك أم أبكي من ابتلاء الأمة بمثل هؤلاء، وهل هذا إلا أجلى

---

(١) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٩ حديث ٣٥٠٣ ، و ٤: ١٦٠٢ حديث ٤١٥٤ وصحيح مسلم ٤: ١٨٧٠ حديث ٢٤٠٤ .

مصاديق المثل الساري « نعجةٌ ولو طارتْ»[١] فأترك الحكم للقارئ !!

وليلتفت القارئ العزيز بأن البحث في التأريخ وما شجر بين الأصحاب ليس لمحض حفر القبور ، وليس لمحض اظهار العلم أو الغلبة كما يردده هؤلاء ، بل للبحث في أهم المسائل، وهي معرفة طريق الحق الذي يتعبد به الشخص ، وطريق تعيينه متوقف على البحث في التأريخ، فانا لم نحضر تلك الوقائع حتى نعرف ما شجر بينهم، وأيهم المحق من المبطل ، فلا بدَّ من البحث والتنقيب لعله أفلت من يد الظالمين بعض النور يصلح أن يستضاء به، وطريق هذا هو نبش التأريخ الذي يخشاه هؤلاء؛ لأنَّه يكشف عَوَارَ سَلَفِهِم .

والشيعة الامامية ليس بينهم وبين الصحابة أي عداء، فهم لا يكنون لهم إلا كل احترام وتقدير، فانه لا شك في عظيم قدرهم ومنزلتهم، وكفاهم فخراً أنَّهم حازوا هذه المرتبة العظيمة، ولكن هذا الفخر إنَّما يكون لمن آمن به وصدقه

---

(١) هذا المثل يضرب للمكابر الذي لا يذعن للحق حتى لو حصحص .

وآزره ونصره، لا لكل من رآه، وإلا لكان لأبي جهل وأبي لهب هذه المفخرة، وذلك لأنَّ الموازين عند الشيعة الاثني عشرية في التفاضل بين ولد آدم هو ما جعله الله ميزاناً بنص الفرقان العظيم :

١- التقوى قال تعالى اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١] .

٢- العلم قال عز من قائل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[٢] .

٣- الجهاد قال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى

---

(١) الحجرات ١٣ .

(٢) الزمر ٩ .

الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾[1] .

٤- الانفاق من قبل الفتح والجهاد قال عزَّ من قائل: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2] .

ولم نجد آية في كتاب الله تجعل العيش في فترة زمنية معينة من موازين الكمال ومعايير الفضل .

والصحبة حالها كحال الزوجية؛ فانها نحو إضافة إلى النبي ﷺ ، وهي سلاح ذو حدين كما نص الفرقان العظيم على ذلك، إذ خاطب نساء النبي ﷺ فقال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً (٣٠) وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ

(١) النساء ٩٥ .

(٢) الحديد ١٠ .

وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً (٣١) يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾[1] .

فالصحابي التقي مقدم على التقي من غير الصحابة وإنْ تساويا في التقوى ، وغير التقي منهم أسوأ ممن يماثله من غير الصحابة، لأنَّه قد قامت عليه الحجج وشاهد البينات، فالحجة عليه أقوى، والفسق منه أقبح .

فالشيعة إنَّما تحكم على شخص سواء كان صحابياً أو غيره بأنَّه صالح أو طالح بهذه المعايير، وأما هؤلاء فلما كان مرادهم اثبات العصمة للخلفاء الثلاثة، وليس لديهم دليل على ذلك اضطروا إلى أن يدّعوا عصمة جميع الصحابة، حتى يكون هؤلاء الثلاثة من باب أولى، فتركوا ميزان التفاضل الذي نصبه الله إلى أهوائهم .

---

(١) الاحزاب ٣٠ - ٣٢ .

ثم يتباكى هذا وأشباهه على تفرّق الأمة، فهل جاء في الاسلام فرقة أو حزب فرّق الأمة وكفّرها جميعاً مثل حزب الوهابية ؟!!

فهؤلاء يتباكون على الطعن فيمن هو مستحق لذلك من الصحابة، وتراهم لا يتورعون عن الطعن في خير البشر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولله در المحقق الكراجكي رحمه الله حيث يقول في حقهم (ومن عجيب أمرهم غلوهم في تفخيم أمر الصحابة، وافراطهم في تعظيمهم، وقولهم لا يدخل الجنة مستنقص لأحد منهم، وليس بمسلم من روى قبيحاً عنهم ، ويقولون إنا لا نعرف لأحد منهم بعد اسلامه عيباً ، وليس منهم من واقع ذنباً ، ويجعلون من خالفهم في هذا زنديقاً ، ومن ناظرهم فيه أو طلب الحجة منهم عليه مبتدعاً شريراً .

هذا ولهم في الرسل المصطفين والانبياء المفضلين ، الذين احتج الله تعالى بهم على العالمين صلوات الله عليهم أجمعين أقوال تقشعر منها الجلود ، وترتعد لها الأبدان وتنفطر القلوب لها، ولا تثبت عند سماعها النفوس ، ويتدينون بذكرها ، ويتجملون بنشرها ، ويغتاظون على من

انكرها ودحضها ، كغيظهم على من أضاف إلى أحد من الصحابة بعضها ، فينسبون آدم وحواء إلى الشرك[1] ،

---

(١) إشارة إلى ما رواه مسلم في صحيحه ١ : ١٨٤ . عن أبي هريرة قال: (أتي رسول الله ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة، فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلي ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم، فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا، فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً، فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم عليه السلام، فيأتون إبراهيم فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا، فيقول لهم إبراهيم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله،

وذكر كذباته نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى؛ فيأتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم موسى عليه السلام إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي اذهبوا إلى عيسى عليه السلام، فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فيقول لهم عيسى عليه السلام إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وآله فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا، فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول يا رب أمتي أمتي، فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا نجاسة عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى) .

وابراهيم الخليل إلى الافك[١] والشك ، ويوسف إلى ارتكاب المحظور والجلوس من زليخا مجلس ذوي الفجور[٢] ،

---

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٤٠ حديث ٢٣٧١، صحيح البخاري ٣: ١٢٢٥ حديث ٣١٧٩ . واللفظ له ، عن أبي هريرة (رض) قال: (قال رسول الله ﷺ ثم لم يكذب إبراهيم إلا ثلاثاً).

وعن أبي هريرة (رض) قال: (لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، ثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله ﴿ إني سقيم ﴾ وقوله ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾ وقال بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها، فقال: من هذه؟ قال: أختي، فأتى سارة فقال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني، فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده، فأخذ فقال ادعي الله ولا أضرك، فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد، فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق، فدعا بعض حجبته فقال إنكم لم تأتوني بإنسان، إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر، فأتته وهو يصلي، فأومأ بيده إليها، قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره، وأخدم هاجر، قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء) .

(٢) المتسدرك على الصحيحين ٢: ٣٧٧ حديث ٣٣٢٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (عثر يوسف ثلاث عثرات، حين هم بها فسجن، وقوله للرجل اذكرني

وموسى إلى أنه قتل نفساً ظلماً ، وداود إلى أنه عشق إمرأة أوريا ابن حنان[١] ، وحمله عشقها إلى أن قتل زوجها وتزوجها ، ويونس إلى أنه غضب[٢] على الله تعالى ، ويقولون في سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين في تزويجه بامرأة زيد بن حارثة[٣] ، وفي غير ذلك من الأقوال

ثم ربك فلبث في السجن بضع سنين، فأنساه الشيطان ذكر ربه، وقوله لهم إنكم لسارقون) قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(١) نوادر الاصول ٣: ٣٠ قال فيه: (فكان عقبى نطق يوسف عليه السلام أن تركه حتى هم بها وكاد الأمر أن يكون ثم تداركه برحمته التي بها نال الاستخلاص، وصرف عنه بالبرهان وهو جبرئيل في صورة يعقوب عليه السلام، وهو سبب من الأسباب، وكان عقبى تعلق داود عليه السلام أن تركه حتى هم بما هم من شأن أوريا حتى مضى الأمر إلى آخره، ثم نبهه بالملكين) وانظر تفسير القرطبي تجد ما لا يمكن ان يتلفظ به لسان ١٥: ١٦٨ .

(٢) انظر تفسير قوله تعالى ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) سورة الأنبياء ، في تفاسير القوم تجد عجباً .

(٣) مجمع الزوايد ٧: ٩١ (قوله تعالىٰ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ عن قتادة في قوله ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ وهو زيد بن حارثة، أنعم

القبيحة المفتعلة ما لا ينطلق لمؤمن بذكره لسان ، ولا يثبت لمسلم عند سماعه جنان)[١] .

وقد حاول هذا المؤلف أن يصور جيل الصحابة جيلاً فريداً من نوعه؛ لأنَّ الرسول ﷺ هو الذي ربَّاهم، وقد تغافل عن أن تربية الرسول ﷺ إنَّما تنفع لمن هو قابل لذلك، فعدم ايمان أبي لهب لا لقصور في الرسول ﷺ، وإنَّما العيب فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾[٢] ، فهؤلاء الصحابة منهم من اهتدى بنوره ففاز بالمرتبة الرفيعة، ومنهم من كان يأمره فلا يطيع له أمراً، فالرسول ﷺ قد قام بوظيفته فلم يقصِّر في نصحهم وتربيتهم، ولكن لو كان ينفع النصح في الحجر لنفع فيهم .

الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه أعتقه رسول الله ﷺ ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ قال كان يخفي في نفسه ود أنه طلقها) وقال رواه الطبراني من طرق رجال بعضها طرق رجال الصحيح .

(١) التعجب ٨٣ .

(٢) النمل ٨٠ .

فاستمع إلى القرآن كيف يصف الذين آمنوا من أصحابه، لا المنافقين منهم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [١] .

وكذا ما نقلته كتبهم منها ما رواه البخاري في صحيحه في صلح الحديبية : (قال الزهري: قال عمر فعملت لذلك أعمالاً، قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك، اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا)[٢] .

---

(١) التوبة ٣٨ .

(٢) صحيح البخاري ٢: ٩٧٨ .

فالرسـول ﷺ يـأمرهم بـالحلق والنحـر ثـلاث مـرات، ولـم يقـم مـنهم أحـدٌ، حتـى دخـل علـى أم المـؤمنين أم سـلمة - رضـي الله عنهـا - يـشتكي لهـا مـا لقيـه مـن قومـه، فهـل هـؤلاء الـذين تقـول إذا كـان المربـي لهـم الرسـول ﷺ، فـلا بـدَّ أن يكونوا خيـر الأمـم، صـحيح أن الرسـول ﷺ لـم يـألُ جهـداً فـي تهـذيبهم وتـربيتهم، ولكـن مـنهم مـن كـان يطيـع الرسـول ﷺ، ومنهم العـصاة والمنـافقين الـذين لـم يـؤثر فـيهم تعلـيم الرسـول ﷺ شيئاً .



المبحث الأول: في دلالة التسمية

وملخص كلامه: أن الشخص إذا أراد أن يختار اسماً لابنه فلا يختار إلا اسماً محبباً عنده، والامام علي عليه السلام من فرط محبته للخلفاء الثلاثة سمَّى أبناءه باسمائهم ، فهذا يدل على فرط محبته لهم .

نقول : لا شك في اهتمام الاسلام بالتسمية، وقد حاول جهده أن يهذب تلك التسميات التي كان يتسمى بها أهل الجاهلية، وقد حثّ على تحسين الاسم، فقد جعله من حقوق الابن على أبيه أن يُحسن تسميته، بل جعل عدم اختيار الاسم الحسن من عقوق الابن .

ولكن ما يرومه هذا المدعي من اثبات أن تسمية الأئمة عليهم السلام بأسماء الثلاثة تدل على فرط محبتهم لهم ، هذا لا يثبته؛ وذلك :

أولاً : لأنَّه ليس بين التسمية والمحبة ملازمة، وهذا يحتاج إلى بيان مقدمتين :

الأولى : أن التسمية فعلٌ ، والفعل مجمل لا لسان له، فاذا صدر فعل من شخص لا نعلم لماذا صدر منه هذا الفعل، فاذا

كان الفعل محتملاً لعدة أمور فلا يمكن حمله على بعضها من دون قرينة، فمثلاً لو ضرب شخص يتيماً لا يمكن أن نقول ضربه لليتيم حسن أو غير حسن؛ وذلك لأنَّه يحتمل أن يكون تشفياً وأذية له فيكون قبيحاً، ويحتمل أن يكون لتأديبه فيكون حسناً، فالفعل ما لم يظهر وجهه من قرائن حال أو مقال لا يمكن الحكم عليه .

الثانية : أن داعي التسمية يحتمل عدة احتمالات :

١- قد يكون لحسن الاسم عند المُسمي .

٢- وقد يكون لحبه للمسمى به، كمحمد والحسن والحسين عليهما السلام، كما يتضح هذا جلياً من فعل أم المؤمنين عائشة؛ حيث سمت لها عبداً «عبد الرحمن» بعد أن قتل عبد الرحمن بن ملجم الامام علي عليه السلام .

٣- وقد يكون لاجل ان يذكِّر أبناءه بهذا الشخص؛ حتى لا ينسوا من غصب حقه مثلاً .

٤- وقد يكون لأنَّه أول شيء طلع عليه، كما هو متعارف عند بدو الجزيرة العربية، الذين لم يؤثر فيهم الاسلام شيئاً، فانه لو واجه أول ما تلد زوجته جربوعاً سمى ابنه جربوعاً كما هو شائع عندهم .

٥- وقد يكون مداراةً لهؤلاء القوم واتقاءً لشرهم، وهذا هو مراد من قال بأنَّه تقية، فان مقصوده أنها تقية مداراتية، وإلا أصل التسمية لا تتحقق فيها التقية، والتقية المدارتية هي مثل ذكر هذا المؤلف الصلاة الكاملة لاجل استمالة قلب الشيعة .

إذا تمت هاتان المقدمتان فلو سمَّى شخص إبنه جربوعاً فهل نقول لانه يحب الجربوع ويتودد إليه، فان هذا الفعل الذي صدر منه مجمل؛ حيث يحتمل عدة احتمالات، لا يمكن القول سمَّاه به فهو يحبه؛ إلا أن تكون هناك قرائن حالية أو مقالية .

وأمير المؤمنين عليه السلام لما سمَّى أولاده بأسماء هؤلاء يحتمل لحسن نفس الاسم، ويحتمل أن يكون ذلك مداراة للقوم، ويحتمل حتى لا ينسى أبناؤه ما جرى على أمهم الزهراء - سلام الله عليها- من هؤلاء القوم، فكل ما سمعوا اسم هؤلاء - والشخص يسمع اسمه في كل وقت - يتذكر من غصب حق والده ووالدته، فمع هذا الاحتمالات كيف يحكم هذا المتعسف بأنَّه سمى بأسمائهم لفرط حبه لهم؟! فهل هو إلا رجم بالغيب وقول بغير علم .

وثانياً : أن الاسم تارة يغلب على الشخص فيكون عَلَماً عليه، يعني لم يكن مشهوراً بالتسمية إلا هذا الشخص، فيلحق الاسم حُسْنَ المسمى إن كان المسمى حسناً، أو قبحه إن كان المسمى قبيحاً، وأما إذا كان الاسم شائعاً في المجتمع وذائعاً فلا يؤثر على الاسم قبح شخصٍ تسمَّى به .

وهذه الأسماء الثلاثة قد كانت شائعة في المجتمع آنذاك، فعند اطلاقها لا تنصرف إلى هؤلاء، خصوصاً عند تسمية الامام علي عليه السلام أبناءه بها، ولذا نلاحظ أنها لما صارت تنصرف عند اطلاقها إلى هؤلاء لم يسمِ أحدٌ من الأئمة عليهم السلام - بعد الامام زين العابدين عليه السلام - أولاده بهذه الأسماء .

وأما النتيجة التي خلص لها هذا الكاتب من حب آل البيت عليهم السلام للثلاثة بالادلة العقلية والنفسية والواقعية - حسب ما ادعى - فمن أين هذا الاستنتاج؟ فهل دلالة التسمية التي هي مجملة تكون دليلاً عقلياً ونفسياً وواقعياً - كما قال -، وإن كنت لا أعلم ما يقصد بقوله الأدلة الواقعية والعقلية!! لأنَّ كل ما ذكره بعيد عن البرهان، بل هو من خطابيات .

وثالثاً : كيف يستدل بهذا الفعل المجمل على دعوى، وهناك ما يكذبها، فان هناك ما يدل على عدم حب الامام علي عليه السلام لهما :

١- أنهما أغضبا الزهراء - سلام الله عليها - وآذاها؛ حتى ماتت وهي واجدة عليهما؟ كيف يجتمع الحب مع موتها واجدة عليهما؟ كما رواه البخاري في صحيحه :

عن عروة بن الزبير أن عائشة أم المؤمنين (رضها) (أخبرته أن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة، فغضبت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت)[1] .

فاذا ضممناه إلى هذا ما عن المسور بن مخرمة قال: (قال رسول الله ﷺ إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها)[2] يكون هذا مؤذياً لرسول الله ﷺ ومن آذى رسول الله فهو ملعون بنص الفرقان العظيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[3] .

(١) صحيح البخاري ٤: ٤٢ .

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٩٠٣ حديث ٢٤٤٩

(٣) الاحزاب ٥٧ .

فهل يحب الامام علي عليه السلام من لعنه الله في الدنيا والآخرة؟!

٢- كيف يحب الامام علي عليه السلام الخائنين والكاذبين؟ وهل يحب الامام علي عليه السلام من لا يحبه الله ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾[1]

أما أن الامام علي عليه السلام يراهما خائنين فما رواه مسلم في صحيحه:

عن الزهري أن مالك بن أوس حدثه قال: (ثم أرسل إليَّ عمر ابن الخطاب فجئته حين تعالى النهار ..... إلى أن قال: قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما نورث ما تركنا صدقة، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر وأنا ولي رسول الله صلى الله عليه وآله وولي أبي بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إني لصادق بار راشد تابع للحق)[2].

---

(١) الانفال ٥٨ .

(٢) صحيح مسلم ٣: ١٣٧٧ حديث ١٧٥٧ .

٣- أن الامام علي عليه السلام كان يكره محضر عمر وهذا ما رواه مسلم في صحيحه :

عن عائشة أنها أخبرته: (أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد صلى الله عليه وآله في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله صلى الله عليه وآله عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسول الله صلى الله عليه وآله، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، قال فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها علي، وكان لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن إئتنا ولا يأتنا معك أحد كراهية محضر عمر بن

الخطاب، فقال عمر لأبي بكر والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا بي ... الخ)[1] .

فكيف يحبهم وقد ماتت الزهراء عليها السلام ولم يؤذن بها أبا بكر، وصريح هذه الرواية أن الزهراء عليها السلام ماتت وهي واجدة على أبي بكر حتى توفيت سلام الله عليها، وأن عمر كان خائفاً من دخول أبي بكر وحده على الامام علي عليه السلام لماذا ؟؟؟

٤- أن الامام علي عليه السلام لم يدفع عن عثمان عندما حاصره الثوار، ولم يقتل أحداً قصاصاً، فلماذا لم يدفع عنه؟!! ولماذا لم يقتص له؟!! ولو تفكر هذا المؤلف في هذين السؤالين لكفاه .

وليت هذا الكاتب جاءنا بما يدل على مشاركة الامام علي عليه السلام معهم في جمعة أو جماعة أو جهاد حتى يستخلص منها حبه لهم، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام فارس الاسلام الأول الذي لم يألُ جهداً في نصرة الاسلام، ولم ينقل التأريخ عنه حتى بخبر ضعيف أنه شارك معهم في معركة من معاركهم ، والامام عليه السلام لم يعرض عليه عارض يمنعه من

(١) صحيح مسلم ٣: ١٣٨٠ حديث ١٧٥٩ .

الجهـاد، ولـذا لمـا ارتمـت الخلافـة فـي أحـضانه صـاغرةً قاتـل النـاكثين والقاسـطين والمـارقين، ولـم تلـن لـه عزيمـة، فكيـف يكون محباً لمن جانبهم ونافرهم؟!!

وكلماته عليه السلام طافحة بنكرانـه لهـم، والتـضجر ممـا فعلـوا معـه وبوديعـة رسـول الله صلى الله عليه وآله ، فهـل يمكـن أن يـدعي عاقـل هـذه الدعوى؟!



المبحث الثاني : المصاهرة

وملخص كلامه: أن الشخص لا يزوج ابنته إلا من يحب، وقد زوج الامام علي عليه السلام ابنته أم كلثوم عمراً .

نقول : أولاً الروايات التي من طرقهم واضح ضعفها، فهي ما بين ضعيفة السند ومرسلة، مضافاً إلى اضطراب متنها، فمنها ما يدل على أنها أنجبت ولداً ومات في قضية خيالية، ومنها ما يدل على أنها لم تنجب، ومنها ما يدل على أنها ماتت في حياة الامام الحسن عليه السلام، وفي بعضها أنها بقيت بعد مقتل الامام الحسين عليه السلام وخطبت في الكوفة خطبة مشهورة، وفي بعضها أنها تزوجت أحد أولاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم مات فتزوجت أخاه، ثم مات فتزوجت أخاه الثالث وهو عبد الله، مع أن عبد الله هذا كان زوج اختها زينب عليها السلام .

واما الرويات التي من طرقنا فلا دلالة فيها على وقوع الزواج[١].

وعلى فرض وقوعه فهناك روايات صحيحة السند تدل على أنه وقع بالقهر والغلبة، وقد حاول هذا المؤلف أن يصوّر وقوع النكاح بالقهر والغلبة فيه مذمة وملامة لأهل البيت عليهم السلام، وواضح أنه لا محذور فيه عليهم ولا منقصة، بل المحذور فيه على من قهرهم عليه، فلو قهرك سلطان ظالم على تزويجه ابنتك، ثم تظلمت بأنك لم تكن راضياً بهذا النكاح، وإنّما قهرت عليه فهل في هذا مذمة عليك؟!!!

فانظر إلى هذا الكاتب كيف يقلب الموازين ليستميل عاطفة القارئ بما نصه: (أيها القارىء الحبيب هل ترضى أن

(١) لما كان البناء على الاختصار لم نتعرض إلى مناقشة الرويات سنداً ودلالةً ، ومن شاء التوسع فليراجع إفحام الخصوم للعلامة السيد ناصر حسين الموسوي نجل صاحب العبقات ﷺ ، وتزويج أم كلثوم من عمر للعلامة السيد علي الميلاني، والكنز المكتوم في رد زواج أم كلثوم للعلامة السيد علي أظهر النقوي ، وكشف البصر عن تزويج أم كلثوم من عمر للعلامة السيد محمد علي الحلو .

يسب أبوك وأجدادك وأن يقال بأنَّ سيدة نسائك تزوجت بالقوة بالرغم عن أنوف عشيرتك كلهم) .

من الذي يُسَبُّ الذي غَصَبَ أم الذي غُصِبَ قهراً؟ فان كل المذمة والملامة على من تزوج بالقهر والغلبة، لا من قُهِرَ على التزويج، وهذا القهر لو كان على القتل لكان فيه مذمة وملامة على الامام علي عليه السلام إذا لم يقدم عليه، وزوج ابنته بالقهر والغلبة، ولكن القهر والتهديد لم يكن بالقتل، وقد كان التهديد ممن بيده السلطة والقضاء، فيكون خصمه هو قاضيه، فقد كان تهديده - كما في الرواية الآتية - بأنه سوف يأتي بشاهدين عليه أنه سرق ويقطع يده، فهل يمكن أن يقدم على هذا الفعل، ويقبل أن يُشهد عليه أنه سرق وتقطع يده؛ فيكون معرَّةً على جميع بني هاشم؟ أم يزوج ابنته؟ فمثل هذه المسألة ليس موردها الشجاعة، ولكن لما رأى ذلك معرَّةً ومذمةً على عمر ولم يرضها له حاول أن يدفعها إلى جانب الشيعة، ويجعل المعرة من طرفهم .

وهذا ما دلت عليه صحيحة هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (لما خطب إليه قال أمير المؤمنين: إنها صبية. قال : فلقي العباس فقال له : ما لي أبي بأس ؟ فقال له

العباس : وما ذاك ؟ قال : خطبت إلى ابن أخيك فردني، أما والله لأعورنَّ زمزم، ولا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها ، ولأقيمنَّ شاهدين بأنَّه سرق ولأقطعنَّ يمينه ، فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعله إليه)[١] .

فعلى هذا تكون الروايات التي من طرقنا معارضة، بما يدل على أنَّه وقع بالقهر والغلبة، فلا يمكن إلزام الشيعة بأنَّه إذا وقع النكاح فهو يدل على وجود المحبة والموردة بينهم .

وقد ادعى هذا المؤلف أنه قدّم إلى العلامة الشيخ عبد الحميد الخطي رحمه الله سؤالاً عن هذه القضية، وقد نقل منه المقدار الذي يريد - على فرض كونه جواب سماحة الشيخ رحمه الله[٢] - ، فان الذي يظهر من المقدار الذي نقله من جواب العلامة الخطي رحمه الله أنه يريد لو سلمنا بوقوع النكاح فلا يدل على مطلوبه، فان مطلوب هذا الكاتب أن بينهما مودة، والشيخ يقول نعم لا بدَّ أن يكون هناك داعٍ للزواج، وأما كونه

---

(١) الكافي، كتاب النكاح ، باب تزويج أم كلثوم ، ٥: ٣٤٦ .

(٢) حيث انه نشر الكتاب بعد وفاة الشيخ رحمه الله .

هو المودة فلا، بدليل تزويج أبي سفيان النبي ﷺ ابنته أم حبيبة، فانه لم يعترض أحدٌ من المشركين على أبي سفيان بأنَّه قد زوّج ابنته من النبي ﷺ فبينه وبين النبي مودة، وكذا قد تزوج النبي ﷺ صفية بنت حي بن أخطب عالم اليهود، فهل كان بينهما مودة ومحبة؟! فاذن التزويج فعل، والفعل مجمل لا لسان له، خصوصاً إذا كان يحتمل فيه الداعي غير المحبة، وإذا تعدد الداعي فحمله على أحدها من دون دليل تحكم واضح .

المبحث الثالث : الثناء

الآيات التي ذكرها في مدح الصحابة لا دلالة لها :

أما آية الانفال وهي قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١] فواضح أنَّ الذين ألف الله بين قلوبهم هم المؤمنون منهم كما يستفاد من الآية التي قبلها ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ فان الضمير عائد عليهم ؛ فلا بدَّ من احراز الصغرى حتى يقال إن الله مدحهم، مضافاً إلى أن هذه واردة في الأوس والخزرج فلا عموم لها لجميع الصحابة كما نص عليه المفسرون[٢] .

وأما آية الحشر وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي

---

(١) الانفال ٦٣ .

(٢) تفسير القرطبي ٨: ٤٢ ، وتفسير الطبري ١٠: ٣٥ ، وتفسير ابن كثير ١: ٣٩٠ .

صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١] فهي مدح للانصار أنهم يحبون من هاجر إليهم، ولا ربط لها بدعواه أن بين الصحابة جميعاً محبة، ولم يكن بينهم منازعات وعداوة، فمن الذي قتل عثمان؟ ألم يكن رأسهم عبد الرحمن بن عديس البلوي[٢] ؟ وهو ممن بايع تحت الشجرة[٣]، وهل يمكن انكار الحرب بين الامام علي عليه السلام وعائشة وطلحة والزبير في واقعة الجمل؟ وهل يمكن انكار الحرب بين الامام علي عليه السلام ومعاوية في صفين؟ هل يمكن أن يقول من له أدنى مسكة أن الاخبار الواردة بها أساطير القصاص؟! فان هذه المعارك من ضروريات التأريخ التي لا يمكن انكارها، فلو كان المقصود من الآية أن بين كل

---

(١) الحشر ٩.

(٢) التمهيد لابن عبد البر ١٠: ٢٩٤ ، وفتح الباري ٢: ١٨٩ ، الثقات لابن حبان ٢: ٢٥٦ ، الاستيعاب ٢: ٨٤٠ ، الطبقات الكبرى ٣: ٧١ ، الاصابة ٤: ٣٣٤ ، وكذا غيرهم .

(٣) نص على هذا اكثر من تقدم في الحاشية السابقة ، وراجع مصنف ابن ابي شيبة ٦: ٣٦٤ ، و٧: ١٤ ، مسند البزاز ٢: ٩٣ .

الصحابة محبة ورحمة للزم - والعياذ بالله - الكذب، فانه أي عداوة أشد من الحرب والقتال؟! أم الحرب تبادل قُبُلات ومحبة كما يحاول تصويره هذا المغفل؟!

وأما دعواه أنه لو جمع الثناء الصادر من الأئمة عليهم السلام للثلاثة لصارت مجلدات فهذا من الكذب البين الذي لا يدعيه إلا صلف مثل ابن تميمية ومن تابعه، فانه يدعي في منهاجه وفتاواه أشياء بينٌ كذبها، ويكذب أشياء بينة كالشمس في رابعة النهار .

اما ما نقله عن كشف الغمة فأولاً رواية لا سند لها فهي مرسلة، والاربلي رحمه الله ينقل في كتابه هذا روايات عن العامة، ويكفي ملاحظة الرواية التي قبلها، فانه ينقلها عن أبي هريرة الذي لا شك عند الشيعة في كذبه على رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأما الرواية التي نقلها عن أمير المؤمنين عليه السلام فقد نقلها المفيد في الارشاد بهذا اللفظ :

عن صعصعة بن صوحان العبدي ، قال : صلى بنا أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم صلاة الصبح ، فلما سلّم أقبل على القبلة بوجهه يذكر الله تعالى ، لا يلتفت يميناً ولا شمالاً حتى صارت الشمس على حائط مسجدكم هذا - يعني جامع الكوفة - قيس

رمح ، ثم أقبل علينا بوجهه عليه السلام فقال : (لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإنهم ليراوحون في هذا الليل بين جباههم وركبهم ، فإذا أصبحوا أصبحوا شعثاً غبراً بين أعينهم شبه ركب المعزى ، فإذا ذكروا مادوا كما تميد الشجر في الريح ، ثم انهملت عيونهم حتى تبل ثيابهم) ثم نهض عليه السلام وهو يقول : (كأنما القوم باتوا غافلين) .

فقد عهد الامام عليه السلام أقواماً - يعني جماعة من الصحابة - لا جميع أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كان دأبهم هذا، فمع كون الرواية واحدة وقد نقلت وفيها لفظ « أقوام »، ونقلت بنقل آخر ليس فيها ذلك يأخذ بالزيادة، لأنَّ الاصل عدم الزيادة، لأنَّه يمكن أن ينسى الراوي وينقص، ولكن احتمال الزيادة مخالف لكونه ثقة في نقله .

وعلى فرض صدور هذا المدح فان عمومه غير مراد قطعاً، فهل يتوهم أحد أن الامام عليه السلام يقصد بهذه الأوصاف جميع الصحابة الشامل لطلحة والزبير؟! أو يتخيل عاقل أنه يريد عموم الصحابة حتى معاوية وعمرو بن العاص؟!

وعلى فرض تسليم صدور تلك الرواية لا بدَّ من رفع اليد عن اطلاقها، لأنَّه معارض بصريح الفرقان العظيم، فيكون المراد منها بعض الصحابة :

فمما يدل على عدم كون جميع الصحابة على هذه الصفة آيات نكتفي بنقل بعضها :

الأولى : ما عن جابر بن عبد الله قال: (بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاماً فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً﴾[١])[٢].

وهذا الامر لم يكن بالامر الهين عند الله، فقد ورد في بعض الروايات لو لم يبقَ هؤلاء الاثنا عشر لاضطرم الوادي عليهم ناراً[٣]، فقد كان هذا العمل من الشناعة بحيث كان يستحق هؤلاء القوم نزول العذاب عليهم بهذا الفعل، فهل يلتزم هذا الكاتب بأنَّ ما عدا الاثني عشر الذين بقوا مع الرسول ﷺ كلهم كانوا منافقين؟!

---

(١) الجمعة ١١ .

(٢) صحيح البخاري ١: ٣١٦ حديث ٨٩٤ .

(٣) تفسير القرطبي ١٨: ١١٠ ، وتفسير الطبري ٢٨: ١٠٤ ، تفسير ابن كثير ٤: ٣٦٨ ، صحيح ابن حبان ١٥: ٢٩٩ .

والثانية : ما ورد في واقعة بدر حيث جادلوا في خروجه وكرهوا رأيه في الجهاد[١]، وهؤلاء ليسوا المنافقين ، فان الذين كرهوا خروجه فريق من المؤمنين ، فأنزل الله تعالى ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[٢] .

والثالثة : ما ورد في بعضهم حيث كانوا في مكة يريدون أن ينازلوا الكفار الجهادَ ، فلما وصلوا المدينة وكثروا نزل فيهم فرض الجهاد كرهوا ذلك وطلبوا التأخير من زمان إلى زمان، فنزل فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ

---

(١) مجمع الزوائد ٦: ٧٤ وحسنه .

(٢) الانفال ٥ - ٦ .

كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[١] .

والرابعة : ما ورد فيمن شك منهم يوم الخندق في وعد الله ورسوله، فظنوا الامر على خلاف ما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وآله ، فانزل الله فيهم ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً﴾[٢] .

وأما الدعاء الذي نسبه إلى الامام زين العابدين عليه السلام في مدح الصحابة فأفضل المحامل أن نحمله أنَّه لم يطلع على الدعاء، بل نقل له، وإلا إذا كان مطلعاً عليه ومع ذلك يقول أنه مدح للصحابة فهو من التدليس البين، لأنَّه لم يدعُ عليه السلام لجميع الصحابة، وإنَّما لفئة خاصة، وهم من أحسنوا الصحبة، وهذا نص دعائه عليه السلام:

---

(١) النساء ٧٧ .

(٢) الاحزاب ١٠ - ١٢ .

(اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكانفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته ، وانتصروا به ، ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور في مودته ، والذين هجرتهم العشائر إذا تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم ، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ، ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم)[1].

ويمكن أن يكون عدم نقله لهذا الدعاء لأجل أن يدلس على عوام الناس كما هي عادتهم ، ويكفيه تدليساً وكذباً صراحاً دعواه أنها لو جمعت الروايات المادحة من الأئمة عليهم السلام للصحابة لصارت مجلدات، فهلا أورد لنا بالنقل الثابت رواية واحدة فقط عن كل واحد من أئمة آل البيت عليهم السلام فيما افتراه عليهم .

(١) الصحيفة السجادية ٤٤ ، جمع الابطحي .

موقف السنة من أهل البيت عليهم السلام

اما الحقوق التي ذكرها وادعى أنها أهم الحقوق فهو تدليس منه بيّنٌ ، فان أهم حق هو اتباعهم بنص الروايات المتواتر عن ائمتهم وحفاظهم، ويكفي حديث السفينة، وهو ما عن حنش الكناني قال: (سمعت أبا ذر يقول وهو آخذٌ بباب الكعبة، أيها الناس من عرفني فأنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق)[1] فهذا أعظم حق لهم وقد أهمله .

وأما حق الصلاة عليهم فهل تجد أحداً من العامة - فضلاً عن الوهابية - يصلي على النبي صلى الله عليه وآله ومعه آله كما دلت عليه الرواية الصحيحة عندهم التي نقلها المؤلف، فاذا كانوا يعتقدون بأنّ هذا حق لهم دون سائر الأمة فتركه مع الاعتقاد

---

(١) المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٧٣ حديث ٣٣١٢ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، و٣: ١٦٣ حديث ٤٧٢٠ .

أولى بالمذمة، فكأنهم أخذوا على أنفسهم عهداً أن لا يصلون الصلاة التي علّمهم إياها الرسول الأكرم ﷺ ، فهم بين من يصلي على النبي ﷺ من دون ذكر الآل، وبين من يذكرهم - كما هي عادتهم في بداية كتبهم - ولكنهم يضمون إليهم الصحابة ، فأين قوله بأنَّ هذا حق لهم دون سائر الأمة؟! أليس ضم غيرهم لهم بدعة؟! فلماذا أشرك غيرهم في حقهم؟ هل هذا إلا ظلم لهم؟!! فانه وباقي الوهابية يرون الأمور التي لم ينص عليها الرسول ﷺ بدعة، فالامور التي نص على خلافها أولى بأنْ تكون بدعة، والمؤلف لما كان سوف يذكر هذا الموضوع احتاط لأمره، وصار يصلي على الآل، وإلا ليس هذا دأبهم ولا دينهم، بل ديدنهم خلاف رسول الله ﷺ مهما أمكن[1] .

---

(١) واللطيف أن هذا المؤلف في بقية كتبه لا يضم الآل في الصلاة كما لاحظته في كتابه «صحبة الرسول» ، فانظر هؤلاء الذين وصفهم الله ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُواً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (١٤) سورة النمل .

موقف السنة من النواصب

فلا بدَّ أولاً من معرفة الناصبي ، الناصبي هو من نصب العداء لآل البيت عليهم السلام وللامام علي عليه السلام خاصة، وهل هناك أوضح نصباً من شيخه الذي نقل عنه حكم الناصبة، وسماه بشيخ الاسلام ابن تيمية، اذا لم يكن هذا ناصبياً فلا يوجد على ظهر الارض ناصبي!!

وكلامه هو وغيره من العامة وإن كان واضحاً في النواصب، ولكن هل يطبقون الحكم على من نصب العداوة أم يتولونهم ، فهل يتردد أحدهم في تولي معاوية والترضي عليه؟ مع أنه كما نقل عن شيخه أنه من الفرقة الباغية، فلماذا الترضي على شخص من الفرقة الباغية؟!

وإذا كان هذا الكاتب يتبرأ من الناصبة، فلماذا تولى ابن تيمية وجعله شيخ اسلامه، انظر إلى كلام ابن تيمية في هذا المقام -الذي نقله عنه المؤلف - وغيره كيف يستميت في الدفاع عن معاوية، وأنه ليس من البغاة، حتى حاول في كثير من الموارد في كتابه الفتاوى ومنهاج السنة انكار صحة حديث (عمار تقتله الفئة الباغية) ولكن المشكل أن

الحديث مما رواه مسلم والبخاري، فتارة يؤوله بكلام معاوية أن الذي قتل عمار هو الذي أخرجه، وأُخرى يعتذر له بأنَّه لم يبدأ بقتال، وثالثة بأنَّ الآية لا تدل على لزوم قتالهم ، فهل بعد هذا نصب؟!

ونكتفي هنا بنقل عبارة واحدة تدل على نصبه، وإن كانت كتبة طافحة بالنصب، قال في منهاج السنة: (والمقصود هنا أن ما يعتذر به عن علي فيما أنكر عليه يعتذر بأقوى منه عن عثمان، فإن علياً قاتل على الولاية، وقُتِلَ بسبب ذلك خلق كثير عظيم، ولم يحصل في ولايته لا قتال للكفار، ولا فتح لبلادهم، ولا كان المسلمون في زيادة خير، وقد ولّى من أقاربه من ولاه، فولاية الأقارب مشتركة، ونواب عثمان كانوا أطوع من نواب علي وأبعد عن الشر، وأما الأموال التي تأول فيها عثمان فكما تأول علي في الدماء، وأمر الدماء أخطر وأعظم)[1].

---

(١) منهاج السنة ٦: ١٩١ .

وهـذا القـول هـو قـول النواصـب كمـا نقلـه عـنهم هـو، فقـد حكم على نفسه بالنـصب، قـال: (وأمـا الرافـضي فـإذا قـدح فـي معاويـة رضـي الله عنـه بأنـه كـان باغيـاً ظالمـاً قـال لـه الناصـبي وعلي أيضاً كـان باغيـاً ظالمـاً لمـا قاتـل المـسلمين علـى إمارتـه، وبـدأهم بالقتـال، وصـال علـيهم وسـفك دمـاء الأمـة بغيـر فائـدة لهـم لا فـي ديـنهم ولا فـي دنيـاهم، وكـان الـسيف فـي خلافتـه مسلولاً على أهل الملة مكفوفاً عن الكفار)[1] .

فهـل قاتـل الامـام علـي عليه السلام علـى الولايـة والامـارة[2] والـسلطة؟! أم أنـه كـان مـأموراً بقتـال القاسـطين والمـارقين

---

(١) منهاج السنة ٤: ٣٨٩ .

(٢) ولهذا السبب ولغيره قال عنه بعضهم - كما نقله ابن حجر في الدرر الكامنة ١: ١٨١ - أنَّه من المنافقين ، قال: (ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي ما تقدم، ولقوله إنه كان مخذولاً حيث ما توجه، وإنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، وإنما قاتل للرئاسة لا للديانة ، ولقوله إنه كان يحب الرئاسة، وإن عثمان كان يحب المال، ولقوله أبو بكر أسلم شيخاً يدري ما يقول، وعلي أسلم صبياً، والصبي لا يصح إسلامه على قول، وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل وان علياً مات ما نسيها من

والناكثين، لماذا لم ينكر على أبي بكر قتاله للمسلمين أمثال مالك بن نويرة؛ لأنَّه لم يرضَ أن يدفع الزكاة له، بل أصر على أن لا يدفعها إلا لمن نصبه رسول الله ﷺ.

فمن يقول عن هذا الشخص شيخ الاسلام يكون مثله في النصب، وقد كانت من عادة ابن تيمية ودأبه أن يبرز ما يغلي في قلبه من بغض لأمير المؤمنين عليه السلام بعبارة ويمكن أن يعترض الناصبة، فيذكر ما يعتقده هو، ولكن هذا الكلام كان في حق الامام علي عليه السلام لو كان في أبي بكر أو عمر لقامت الدنيا عليه، فهل يرضى أحد من العامة أن يكتب كتابٌ في خلفائهم بهذا الاسلوب؟



الثناء، وقصة أبي العاص ابن الربيع وما يؤخذ من مفهومها، فإنه شنع في ذلك فألزموه بالنفاق لقوله ﷺ ولا يبغضك إلا منافق).

فهرس

نظرة
في
عدالة الصحابة

تأليف
عباس محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، بارئ الخلائق أجمعين، والصلاة على محمد خاتم النبيين، ومن بعث رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين .

اللهم لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، اللهم وصحب محمد صلى الله عليه وآله رسولك الذين اتبعوه، ولم يبدلوا بعده، ولم ينقلبوا على أعقابهم .

وبعد، فقد وقع في يدي كتاب إلى صالح بن عبد الله الدرويش سماه بصحبة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد اشتمل هذا الكتاب على دعوى عدالة جميع من صحب الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ، والغلو في الصحابة بما لا يمكن التفوه به، فحاولت بهذه المناقشة اليسيرة بيان ما هو الحق بحسب الادلة من

الكتاب والسنة التي هي من طرقهم، وأن أقصر استدلالي بالروايات الصحيحة من كتبهم وصحاحهم، وهذا لا لقصور في روايات أهل البيت عليهم السلام، ولكن هذا ما تقتضيه أصول المناظرة، أن يُحتج على الخصم بما في كتبه التي يراها هو حجة، لا ما في كتب المناظر وما يراه هو حجة، عساه أن يكون نبراساً لمن رام الحق .

الشيعة والصحابة :

وليعلم أولاً أنه لا شك ولا ريب أنه ليس بين الشيعة والصحابة أي عداء ، وذلك لانهم بلا اشكال من المسلمين، وليس منطبقاً عليهم أي عنوانٍ يوجب العداء لهم، فان ميزان العداء والمحبة عند الشيعة هو معاداة من عادى الله ورسوله، ومحبة من أحب الله ورسوله، كيف وقد مدح الله في فرقانه العظيم فئاتٍ ممن صحب الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله بأبلغ المدح، فلا يمكن أن يتوهم أحدٌ أن الشيعة تعاديهم، وإنّما الشيعة تطعن وتعادي من طعن الله فيه وذمه منهم .

ولا ريب في أن الصحبة منزلة ومرتبة ومقام رفيع، ولكن لخصوص من آمن بالرسول الاكرم صلى الله عليه وآله واهتدى بهديه، وإلا مجرد رؤية النبي الاكرم صلى الله عليه وآله لا توجب خصوصية وميزة لمن

لم يتبعه، وإلا لكان عمه أبو لهب وأبو جهل من أعاظم الناس؛ لانهما رئيا النبي الاكرم ﷺ وجلسا وتحدثا معه، ولكن لما لم يهتديا بهديه لا خير فيهما، بل تبت يدا أبي لهب وتب.

فالمعيار هو الايمان والتصديق بكل ما بلّغه الرسول الاكرم ﷺ وأنه من عند الله، بل ولم يقتصر على هذا، بل عمل بأمره وانتهى بنهيه، فان فعل ذلك فقد اهتدى وفاز بالمدح والرضوان، ولا يضره ذم من ذم بعد رضى الله عنه، وأما من آمن به ولم يتبع هداه فهو مرجوٌ لأمر الله، نسأل الله لنا وله المغفرة والرحمة.

وأما وظيفة المسلمين قبال أصحاب الرسول الاكرم ﷺ فهل يجب عليهم تعظيمهم جميعاً، وأن يعتقدوا بأنهم كلهم عدول، وأنهم لم يقترفوا ذنباً بعد إسلامهم، حتى لو نقل لنا بالنقل الصحيح أنهم تقاتلوا فيما بينهم؟ وهل - مع ذلك - يجب الاعتقاد بأن الباغي والمبغي عليه كلهم عدول؟

قد ادعى مؤلف هذا الكتيب - كما هي دعوى أكثر العامة - عدالة جميع الصحابة، وأنهم لم يقترفوا ذنباً، وهذه الدعوى هي دعوى العصمة لجميع الصحابة؛ وإن لم تعنون بهذا

العنوان، وهل هذا إلا غلو فيهم بغير ما انزل الله، في حين ينكرون على الشيعة دعوى العصمة لأربعة عشر فرداً، ويرونه أمراً شنيعاً لا يمكن التفوه به، مع أن الشيعة دعواهم مقرونة بالأدلة، وتراهم يدعون هذه الدعوى بلا برهان بل البرهان على خلافها، فهل دعوى عصمة أكثر من مئة ألف - وهم كل من صحب الرسول الاكرم ﷺ - ممكنة التعقل، أم عصمة فئة خاصة قد نص الله عزّ وجلّ في كتابه - وهو أحكم الحاكمين - على طهارتهم من الرجس؟! ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1] .

وقد حاول هذا الكاتب أن يثبت هذا المدعى كما قال بالأدلة العقلية والنقلية وبالخصوص القرآن الكريم، والاقناع العقلي، فلا بدّ من ملاحظة ما سطره هذا المؤلف حتى نرى هل يدل على مطلوبه؟ فنتبع الهدي بعد إذ جاءنا أو نرد كيد الخائنين .

❀ ❀ ❀

---

(١) الصافات ١٥٤ .

تمهيد

قبل الدخول في البحث لا بدَّ من التأمل في هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلا قَلِيلاً﴾[1] فهذه الآية الكريمة تحكي توعد الشيطان لذرية أبينا آدم عليه السلام، وأنه لن يسلم من غوايته إلا القليل منهم، والله لم يكذب الشيطان في هذه الدعوى، بل في آية أُخرى أقسم بأن يغوي ولد آدم عليه السلام إلا المخلصين منهم، قال تعالى حكاية عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[2] فلم يستثنِ منهم إلا عباد الله المُخْلَصِين وليس المُخْلِصِين، فكل ذرية آدم قادر على غوايتها إلا هذه الطائفة الخاصة، وهو لم يستثنها حباً لها؛ بل لعدم قدرته عليها .

---

(١) الاسراء ٦٢ .

(٢) ص ٨٢-٨٣ .

وإذا ضُم إلى هذا التأمل في حياة أمم الأنبياء السابقين الذين حكى الله قصصهم في محكم كتابه نرى أن ابليس - لعنه الله - قد وفى بوعيده، وصدق فيما توعد به من غوايتهم أجمعين إلا عباد الله المُخْلَصِين ، فنلاحظ أن الأنبياء لم يتبعهم إلا القليل، ولم يهتدِ بهديهم إلا القليل من قومهم، فاستمع إلى الله يقص علينا قصص قوم نوح وهو أصدق القائلين ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ﴾[1] فلم يؤمن من قومه إلا القليل، وهذا بعد أن لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[2] .

وهذا الأمر لا يقتصر على أصل الايمان بالأنبياء، بل حتى من آمن بهم لم يطعهم فيما أمروا به إلا القليل، وهذا جلي وواضح فيما اقتصه الله من خبر قوم موسى عليه السلام ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ

---

(١) هود ٤٠ .

(٢) العنكبوت ١٤ .

قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[١] ، فهؤلاء الذين طلبوا من موسى أن يجعل لهم صنماً إلهاً لم تجف بعدُ أقدامهم من البحر الذي تجلت فيه معجزة نبيهم موسى عليه السلام أمام أعينهم، فقد فَرَقَ لهم الله البحر على يديه، وأنجاهم وأغرق آل فرعون وهم ينظرون، ومع ذلك بعد أن خرجوا من البحر طلبوا أن يجعل لهم أصناماً آلهة .

لاحظ وتأمل عزيزي القارئ قوم موسى لم يفارقهم موسى عليه السلام إلا أربعين ليلة، وإذا هم يتخذون العجل من بعده وهم ظالمون، فرجع إليهم موسى عليه السلام وهو غضبان أسفاً ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الألْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢] ، هذا بعد أن استخلف فيهم أخاه هارون عليه السلام ، وقد نصحهم هارون عليه السلام ولم ينفع معهم النصح، بل كادوا

---

(١) الاعراف ١٣٨ .

(٢) الاعراف ١٥٠ .

يقتلونه، ولما أكثر لهم النصح ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾(١) .

بل مما يقتضي التعجب هو أن موسى عليه السلام لما اختار من قومه سبعين رجلاً - لا بدَّ أن يكونوا هم خيار قومه - ومع ذلك أخذتهم الرجفة كما اقتص خبرهم عزَّ من قائل في محكم كتابه فقال: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾(٢) فهؤلاء ممن آمن به، وليسوا من الكافرين، ومع ذلك صدر منهم ما يخالف رسولهم ، بحيث نزل عليهم العذاب .

وكذا تأمل عزيزي في قصة طالوت، فانه لما ابتلاهم الله بنهر ونهاهم عن الشرب منه، ومع ذلك شربوا منه إلا قليلاً منهم ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلا مَنِ

---

(١) طه ٩١ .

(٢) الاعراف ١٥٥ .

اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلا قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[1] .

هذا حال الشيطان - لعنه الله - مع ذرية أبينا آدم عليه السلام ، وهذه حال أقوام الرسل مع رسلهم، وصحابة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله هم من ولد آدم عليه السلام ، ولم يستثنوا من قسم ابليس - لعنه الله - ولم يكذبه الله فيهم فلم يقل إلا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله لا تستطيع غوايتهم، فيكون حالهم حال أصحاب الأنبياء السابقين إلا أن يقوم دليل على خلاف ذلك، فقد ثبت أن مدعي العدالة عليه اقامة الدليل، فلا بدَّ من التأمل فيما طرحه هذا الكاتب من الأدلة، وهل تثبت هذا المدعى أم لا .



---

(١) البقرة ٢٤٩ .

قد اشتمل كتابه على فصلين :

الفصل الأول : دعوى عدالة جميع الصحابة مع دليل خطابي.

الفصل الثاني : الاستدلال على مدعاه .

الفصل الأول

ملخص الفصل الأول من كتابه هو أن المربي للصحابة هو الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وهو خير مربٍ ، والصحابة عندهم الاستعداد الكامل؛ حيث إنهم هجروا الأهل والولد والوطن لذلك، وعادوا الأصحاب، فليس هناك قصور في المربي ولا المربى، فلا بدَّ أن تكون ثمرة التربية بينةً، فالقول بأنَّ الاصحاب ليسوا عدولاً تنقيص في المربي أو المربى، وأحلاهما مر .

نقول : الصحابة هم فئات من المجتمع مختلفة الثقافات والتربية والتعليم، وأخلاقهم مختلفة، وهؤلاء القوم كانوا من قبائل، حيث كان النظام السائد هو القبلي، ولما بعث النبي الاكرم صلى الله عليه وآله آمنوا وصدقوا به، وهؤلاء القوم لا يمكن ان

يحصل فيهم التغيّر بين يوم وليلة، ولكن كل على حسب استعداده، فبعضهم عنده من الايمان ما هو أعمق من إيمان الآخرين ، وهذا يؤثر فيه كلام الرسول ﷺ وارشاداته أكثر غيره، فهو غير ذلك الطرف الآخر الذي هو أقل إيماناً، ولا يمكن أن نقول جميع المجتمع الذي عاش فيه الرسول الاكرم ﷺ على مرتبة واحدة من العلم والايمان والاخلاق الفاضلة .

وقد افتتح المؤلف كلامه بهذه الآية الكريمة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[1] فهذه الآية الكريمة يستفاد منها أن وظيفة الرسول ﷺ هي تلاوة آيات الذكر الحكيم عليهم وتزكيتهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة، وهذه الوظائف قد قام بها الرسول الاكرم ﷺ - جزاه الله عن أمته خير الجزاء - خير قيام، وهذا لا شك ولا ريب فيه، ولكن الناس معادن، واستعداد الناس مختلف، فبعضهم بمجرد أن يُدعى إلى الله يهتدي، وبعضهم يحتاج إلى عدة جلسات حتى يتأثر،

---

(١) الجمعة ٢ .

وبعضهم لا ينفع معه النصح ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1] ، فعدم اهتداء أبي لهب ليس لقصور في الرسول الاكرم ﷺ لا في بيانه ولا في إخلاصه والقيام بوظيفته، بل لأنَّ المدعو لا ينفع معه النصح، وهذا ما يلاحظه كل منصف جلياً في جميع دور التعليم، فتلاحظ في الصف الواحد الاستاذ يشرح إلى تلاميذ الفصل الذين عددهم - مثلاً - عشرون طالباً ، بعضهم يستوعب من أول مرة، وبعضهم يحتاج إلى الاعادة مرة ثانية وثالثة، وبعضهم مهما أعاد الأستاذ وكرر لا ينفع معه، كذلك الصحابة فانهم - كما تقدم - متفاوتون من حيث الثقافة والفهم وجميع الخصوصيات، بدليل أن من الصحابة من صحب الرسول الاكرم ﷺ فترة بسيطة ومع ذلك يروي أضعاف ما يرويه من أسلم قبله بسنوات، كأبي هريرة وأبي بكر، فان أبا بكر من أوائل المسلمين، وأبو هريرة لم يسلم إلا في السنة الثامنة من الهجرة، وأين ما يرويه أبو هريرة

---

(١) القصص ٥٦ .

مما يرويه أبو بكر[1] ، كذلك من المسلمات عند العامة أن هناك أشخاص أعلم في الفرائض، وهناك أشخاص أعلم بالقضاء، حتى قال عمر (علي أقضانا وأبيٌّ أقرأنا)[2] وبعضهم أعلم بالقران، فالناس متفاوتة من حيث الاستعداد، وهذا لا يعد منقصة في المعلم، فلو جعلت أفضل معلم مع فصل من أبلد التلاميذ في المدرسة، ثم لم ينجح منهم أحد لا يلام المعلم، فانه بدل جهده ولم يقصر في أداء وظيفته، ولكن استعداد التلاميذ قاصر .

وهذا ما نلاحظه جلياً مع نبي الله نوح عليه السلام حيث لبث في قومه ما يقارب ألف عام، ومع ذلك لم يؤمن له إلا القليل، فهل قصّر نبي الله نوح عليه السلام في القيام بوظيفته، كلا وألف كلا، فصحابة الرسول صلى الله عليه وآله كانوا فئات وطبقات من المجتمع متفاوتة الفهم والادراك، والرسول الاكرم صلى الله عليه وآله بذل أقصى وسعه في تربيتهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة، ولكن هل كان يحفظ كلهم جميع القران؟ مع انه من وظيفة الرسول

---

(١) فان أبا هريرة يروي ٥٣٧٤ حديثاً، في حين روى أبو بكر ١٤٢ حديثاً كما ذكر هذا ابن حزم في أسماء الصحابة الرواة .

(٢) مسند أحمد ٥: ١١٣ ، المستدرك ٣: ٣٤٥ .

الاكرم ﷺ تلاوة آيات الذكر الحكيم عليهم، ألم يكن أبيّ أقرأهم، لماذا صار أفضل القراء أبيّاً مع أن المعلم والمربي واحد، وهل كلهم كان يعلم جميع مسائل الحلال والحرام؟ فالتفاوت في الاستعداد هذا أمر بينٌ في كل مجتمع، ولم يكن مجتمع الرسول الاكرم ﷺ ملائكة يمشون في الارض، بل هم بشر حالهم كبقية البشر من هذه الناحية، غاية الامر أنهم فازوا بصحبة الرسول الاكرم ﷺ، نعم هذه ميزة لهم، ولكن من هذه الناحية لا من جميع النواحي، بحيث يكون كل واحد منهم أعلم وأتقى وأورع الناس لأنَّه صحب الرسول الاكرم ﷺ، فانكاره نسبة الجهل إلى بعض الصحابة في غير محله، فقوله (فهل يمكن لعاقلٍ منصفٍ يخاف الله أن يصف طلاب الرسول ﷺ بالجهل؟!) هذا الكلام مجانب للصواب، وللحق في الخطاب، هذا أولاً.

ثانياً : هذه الآية ليست خاصة بالصحابة، بل هي في مقام بيان وظيفته ﷺ لجميع الأمة، وإلا لو أخذنا بظاهرها للزم أن تكون خاصة بأهل أم القرى، على القول بأنَّ الأميين المقصود بهم المنسوبون إلى أم القرى، أو خاصة بمن لا يقرأ ولا يكتب على القول بأنَّ المراد من الأميين جمع أمي، فيلزم أن

لا تشمل دعوته من كان يقرأ ويكتب، بل هذه الآية تبيّن وظيفة الرسول الاكرم ﷺ نحو جميع الأمة، فهو المعلم والمربي لهذه الأمة المرحومة .

فاذا كانت وظيفته تعليم وتربية كل الأمة فبناء على ما ذهب إليه المؤلف يلزم إذا قلت فلان المسلم الموجود في هذا الزمان فيه ذلك العيب قد طعنت في الرسول الاكرم ﷺ ؛ لأنَّ المعلم والقائد والمربي له الرسول ﷺ، أم يرى هذا الكاتب اختصاص القيادة والتربية بذاك الجيل دون بقية الأمة؟!

وهل يلتزم هذا القاضي بأنَّه إذا رفع شخص دعوى عنده في المحكمة على أن فلاناً سرق مالي بأنَّ يقول له أنت كافر؛ لأنَّك قد طعنت في نبي الاسلام، لأنَّ هذا الشخص أحد أمة النبي ﷺ، والمربي والقائد له هو النبي فكيف تدعي أنه سرقك، هذا طعن في نبي الأمة فهو كافر؟!

ثالثاً : دعواه أن الحكم بعدالتهم من الدين؛ فهذه دعوى لم يُقم عليها برهاناً، فان معنى هذا الكلام أنه قد ثبت بحسب الأدلة الشرعية أنه لا بدَّ من الحكم بعدالتهم، والحال أنه لم

يقم على ذلك برهان ، ولم يثبت دليل على أن الحكم بعدالتهم من الدين .

وأما دعواه أن الطعن فيهم طعن في إمامهم ومعلمهم وقائدهم، فهذا مجانب للصواب؛ إذ لا ملازمة بين الأمرين لا عقلية ولا عرفية، وإلا لكان الله عزّ وجلّ قد طعن في نبيه موسى عليه السلام لأنه كان معلم قومه وقائدهم، وأي طعن هذا فقد ذم قومه في القرآن الذي يتلى في أطراف الليل وآناء النهار، فقد ذم قوم موسى باتخاذهم العجل من بعده فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾[1] .

فأي ربط بذم الأصحاب والأتباع إذا ضلوا بذم الرسول، فكأنه لم يقرأ القران الكريم الذي طعن في بعض أصحاب الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله بأنّ منهم منافقين، ألم ينزل فيهم سورة كاملة وهي سورة المنافقون، بل في من نزلت سورة التوبة التي تسمى بالفاضحة[2] ، وعلى من نزلت هذه الآية قال

---

(١) البقرة ٥١ .

(٢) صحيح البخاري ٤: ١٨٥٢ حديث ٤٦٠٠ (قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس رضي الله عنه سورة التوبة، قال التوبة، قال بل هي الفاضحة ، ما زالت تنزل

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) أليست في أحد أصحابه قد خانه(٢)، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في الصحابة جماعات ووحداناً، فهل نقول قد طعن الله في رسوله لأنّه قد ذكر معايب بعض أصحابه؟؟! ما لكم كيف تحكمون؟؟!

وأما ما ادعاه من الملازمة بين الطعن في أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله والطعن فيه فأي ملازمة بينهما؟ هل هي ملازمة عرفية أو عقلية أو شرعية أو عادية؟ لِمَ لم يبيّن المؤلف هذه الملازمة حتى يتضح لنا برهانه؟!

ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى منا أحد إلا ذكر فيها) وصحيح مسلم ٤: ٢٣٢٢ حديث ٣٠٣١ ، واللفظ له .

(١) الانفال ٢٧ ، مع ملاحظة أن هذه الآية من سورة الانفال، وقد قال الكاتب بأنها نزلت في غزوة بدر، وقد ادعى هو الاجماع على أن النفاق حدث بعد غزوة بدر - وإن كانت هذه الدعوى غير تامة كما سوف يأتي مناقشتها - ولكن بناء على قوله من نزلت فيه هذ الآية ليس من المنافقين .

(٢) أولاً لا بدّ من التوجه إلى أن المخاطبين بها الذين آمنوا وليس المنافقين ، وثانياً راجع سبب نزولها في تفسير القرطبي ٧: ٣٩٥ ، وتفسير الطبري ٩: ٢٢١ ، وتفسير ابن كثير ٢: ٣٠٢ .

وأما ما ذكره بعنوان تأملات، فخلاصة كلامه أنه إذا قيل عن رئيس بلد بأنَّه قد أحاط به أناس انتهازيون وخونة وبينهم وبينه قرابة، وهم أهل مشورته وخاصته، فهذا يعد طعناً فيه، فهل يرضى هذا الحاكم بأنَّ يسب مشاوروه بأنهم خونة ويطعن فيهم؟

فهذا من غشه للعامة، وذلك :

أولاً : من يقول بأنَّ الصحابة ليس كلهم عدولاً، لا يقول كل الصحابة فسقة وكلهم خونة، وإنَّما يقول هناك من الصحابة الفاسق وهناك العادل، منهم الخائن ومنهم الأمين، فان الله في محكم كتابه وصف بعضهم بالخيانة كما تقدم، فهل هذا طعن في الرسول ﷺ، وهل كان كل الصحابة مشاوريه وخاصته وأصهاره؟!

ثانياً : هناك فرق بين الصاحب والمستشار، فان الصحبة - بالمعنى الذي يذهب إليه العامة - لا تتخذ، وأما المستشار فهو مما يتخذ، وكلامنا في الأول .

ثالثاً : كلامنا في الصحابة بنحو عام، وهذا الدليل خاص بالمستشارين منهم .

رابعاً : الرسول ﷺ يعمل بمقتضى الظاهر في هذه الامور لا بمقتضى علمه الغيبي، فربما يتخذ مستشاراً ـ ان ثبت الاتخاذ ـ وهو غير صالح، كما اتخذ قادة لجيشه فرجعوا يجبنون أصحابهم وأصحابهم يجبنونهم، كما اتخذ خالداً قائداً في سرية ثم تبرأ مما صنعه خالد[1] .

وكون بعض الخاصة والمشاورين من الخائنين لا يضر، وذلك :

أولاً : أن الرسول الاكرم ﷺ لا يعتمد في المشورة على أحد، وإنَّما هو تابع لله في أمره ونهيه، نعم نزل أمر المشاورة في شؤون الحرب، وهذه إنَّما هي لتطييب الخاطر لا للأخذ برأيهم قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[2] ولذا عقبه تبارك وتعالى بقوله ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾ فلم يقل فاذا أشاروا عليك بشيء فخذ به، فاذن مشاورة الخائن لا تضره .

---

(١) صحيح البخاري ٤: ١٥٧٧ ، صحيح ابن حبان ١١: ٥٣ ، مسند أحمد ٢: ١٥٠ .

(٢) آل عمران ١٥٩ .

ثانياً : قد ثبت عندهم في الرواية الصحيحة أن بعض بطانة النبي بطانة شر (عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى)[١] فكل نبي وكل خليفة له بطانة سوء تأمره بالشر، وبطانة الشخص هم خاصته ومشاوروه[٢] .

وثالثاً : يمكن أن يكون هذا الشخص في حياة الرسول لم يظهر منه ما يوجب النفرة والبعد حتى يعامله الرسول ﷺ به، ولما توفي الرسول الاكرم ﷺ ظهر منه خلاف ذلك، فكم ترى شخصاً متعففاً عن أمر لأنَّه غير قادر عليه، ولمَّا يتمكن منه يعمل ما لا يعلمه إلا الله، وبعض الصحابة هكذا، فانهم أيام الرسول الاكرم ﷺ لا طمع لهم في الحكم؛ لا رغبة عنه، بل لانهم لو أرادوه لما نالوه، ولما توفي ﷺ واستطاع الحصول على المنصب تبدل حالهم، وكم رأينا من هو من

---

(١) صحيح البخاري ٦: ٢٥٣٢ حديث ٦٧٧٣ ، و٦: ٢٤٣٨ حديث ٦٢٣٧ .

(٢) قال ابن الاثير والنهاية (بطانة الرجل صاحب سرة داخلة أمره الذي يشاوره في أحواله) ١: ١٣٦ مادة بطن .

أهل الصلاح والتقى قبل أن يبتلي بمنصب، ولكن لما ابتلى تبدّل وتغيّر كأن لم يكن ذلك التقي الصالح، وهذا ما يلاحظ في الثورات التي تحصل في العالم، فقد يكون شخص داعياً للعدالة، ويقيم الدينا ولا يقعدها على هذا الشعار، فما إن تنجح ثورته يتسلّط يكون طاغية إلا من رحم ربي وهم قليل، وقد يتسلّط بعض أتباعه الذي ينافح ويكافح لأجل العدالة، وهذا لا غرابة فيه لمن سبر أحوال الناس .

وأما دعواه أن كل الصحابة إنّما تركوا الأهل والأولاد والوطن لأجل التعلّم من الرسول ﷺ ، وقد كان معلمهم الرسول الاكرم ﷺ فلا يمكن الطعن فيهم .

فنقول أولاً : ليس كل الصحابة هاجر لله ولرسوله، كما تدل عليه الرواية الصحيحة (عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: إنما الأعمال بالنية، وإنما لإمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[1] فإلى من قيل هذا الحديث؟! إذا لم يكن

---

(١) صحيح البخاري ١: ٣٠ حديث ١ ، وصحيح مسلم ٣: ١٥١٥ ، حديث ١٩٠٧ .

أحد من الصحابة هاجر لهذه الأمور لماذا يخاطبهم بهذا الخطاب؟!

ثانياً : ليس كل الصحابة هجر الأهل والأولاد والوطن ، فمنهم من آمن بالرسول وهو في المدينة وهو من أهل المدينة، ومنهم من آمن به على كره وهم الطلقاء ، ومنهم من آمن به وهو في نجد ولم يهاجر إليه للتعلم، وإنَّما رآه حين سافر للحج أو العمرة، فهل كلهم كان على هذه الصفة، لماذا لم يفصح هذا المؤلف بأنَّ مرادي من الصحابة فلان وفلان حتى نعرف من يعني ومن يقصد، حتى نبين له مقدار علمه، وأين كان يقضي يومه؛ حتى قال ألهاه الصفق في الأسواق عن التعلم [1] .

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٧٢٧ حديث ١٩٥٦ ، وصحيح مسلم ٣: ١٦٩٥ حديث ٢١٥٣ (عن عبيد بن عمير أن أبا موسى استأذن على عمر ثلاثاً فكأنه وجده مشغولاً، فرجع فقال عمر : أثم عبد الله بن قيس ائذنوا له، فدعي له، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: إنا كنا نؤمر بهذا، قال: لتقيمن على هذا بينة أو لأفعلن، فخرج فانطلق إلى مجلس من الأنصار فقالوا: لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا، فقام أبو سعيد، فقال كنا نؤمر بهذا، فقال: عمر خفي علي هذا من أمر رسول الله ﷺ، ألهاني عنه الصفق بالأسواق).

وإن كان مراده أن همّ الصحابة هو التعلم فهذا ما يكذبه الرواية الصحيحة، فاستمع إلى أبي هريرة يحدثك عن حال الصحابة لمّا اُعترض على كثرة حديثه، وغيره لم يحدث مثله (عن أبي هريرة (رض) قال: يقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث، والله الموعد، ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه؟!! وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنت امرأ مسكيناً ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي ﷺ يوماً لن يبسط أحدٌ منكم ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئاً أبداً، فبسطت نمرة ليس علي ثوب غيرها حتى قضى النبي ﷺ مقالته، ثم جمعتها إلى صدري فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا)[1] .

فالانصار كانوا مشغولين بالزراعة، والمهاجرون كانوا مشغولين بالتجارة، ولم يكن إلا أبو هريرة متفرغاً إلى أخذ

---

(١) صحيح البخاري ٢: ٨٢٧ حديث ٢٢٢٣ ، وصحيح مسلم ٤: ١٩٤٠ حديث ٢٤٩٢.

الحديث، واللطيف أنه لم يبسط أحد منهم ثوبه حتى يقضي الرسول الاكرم ﷺ مقالته عداه، فهل رغب جميع من حضر من الصحابة عن هذا الأمر، أهكذا كان حرصهم على حفظ ما علموه من الرسول الاكرم ﷺ ؟!!!

ونعم ما قال هذا الكاتب إنه لم يدر في خلد الطاعن أن الطعن فيهم طعن في الرسول الاكرم ﷺ ، نعم لو كنا نعلم بأنَّ الطعن فيهم طعن في الرسول الاكرم ﷺ لأعرضنا عنه كرامة لرسول الله ﷺ لا لهم، فانه ليس لمنافق وفاسق كرامة، ولكن أنى له ما يثبته .

وأود أن أنبه على شيء قبل فوات الأوان ما دام اعترف به المؤلف، وهو يرى أن الصحابة كلهم قدوة له، فقد قال (يتسابقون إلى شعره وبصاقه) فهؤلاء يتبركون بكل شيء من النبي الاكرم ﷺ وهم قدوة لك ولامثالك، فلماذا لم تبقوا من آثار رسول الله ﷺ شيئاً؟ لماذا هدمتم محل مولده وجعلتموه حمامات عامة؟ ألم يكونوا هؤلاء قدوتكم؟!

وأما استغراب هذا المؤلف من دعوى ارتداد أصحابه إلا القليل منهم وجعله أمراً منكراً، فهذا يدل على قلة اطلاعه على كتبهم وصحاحهم، فهذه روايات الصحاح صادحة

بـذلك؛ ففـي الروايـة الـصحيحة لـم يبـقَ إلا القليـل أو حـسب تعبيـر الروايـة مثـل همـل الـنعم[١] ، عـن أبـي هريـرة عـن النبـي ﷺ قال: (بينا أنـا قـائم إذا زمـرة حتـى إذا عـرفتهم خـرج رجـل من بيني وبيـنهم فقـال هلـم، فقلـت: أيـن؟ قـال: إلـى النـار والله، قلـت: ومـا شـأنهم؟ قـال: إنهـم ارتـدوا بعـدك علـى أدبـارهم القهقرى، ثم إذا زمـرة؛ حتـى إذا عـرفتهم خـرج رجـل مـن بينـي وبيـنهم فقـال: هلـم، قلـت: أيـن؟ قـال إلـى النـار والله، قلـت: مـا شأنهم قال إنهـم ارتـدوا بعـدك علـى أدبـارهم القهقـرى، فـلا أراه يخلـص مـنهم إلا مثـل همـل الـنعم)[٢] فهـل روايـات البخـاري

---

(١) قال ابن كثير في النهاية في بيان معنى الحديث (الهمل ضوال الابل، واحدها هامل ، أي الناجي منهم قليل، من قلة النعم الضالة) مادة همل ٥: ٢٧٣ .

(٢) صحيح البخاري ٥: ٢٤٠٧ حديث ٦٢١٥ . وهذه بعض الروايات التي رواها البخاري في نفس الصفحة، وهي غيض من فيض :

١- عن أبي هريرة أنه كان يحدث (أن رسول الله ﷺ قال: يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيجلون عن الحوض، فأقول يا رب أصحابي. فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري) .

٢- عن بن المسيب أنه كان يحدث عن أصحاب النبي ﷺ: (أن النبي ﷺ قال: يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلؤون عنه، فأقول يا رب أصحابي، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري) .

ومسلم من أساطير القصاص؟ فتعجب الكاتب من نكوصهم على عقبهم في محله، فان هؤلاء هم من بذل الرسول صلى الله عليه وآله معهم أقصى المجهود تعليماً وتربيةً، وبمجرد أن توفي الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله بدّلوا وأحدثوا وانقلبوا على أعقابهم كما أخبر الله عنهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1] .

٣- وراجع صحيح مسلم ١: ٢١٧ و٢١٨ وغير هذه الروايات كثير ، و٤: ١٧٩٣ ولا بأس بذكر هذه الرواية (عن أبي حازم قال سمعت سهلاً يقول: (سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، وليردنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم) قال أبو حازم: فسمع النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا الحديث، فقال: هكذا سمعت سهلاً يقول، قال: فقلت نعم. قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: إنهم مني، فيقال إنك لا تدري ما عملوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي) فهؤلاء يعرفهم الرسول صلى الله عليه وآله ويعرفونه !! ويقول الرسول صلى الله عليه وآله إنهم مني فمن هؤلاء الذين يقول الرسول صلى الله عليه وآله عنهم انهم منه ؟؟

(١) آل عمران ١٤٤ ، لا بدَّ من التأمل في كلام الله هل سألت نفسك لماذا أضاف الله لفظة «مات» مع ان الواقعة التي نزلت فيها الآية مورد احتمال القتل؟ وتأمل في الآية الاستفهام انكاري وهل ينكر على من لم يصدر منه شيء؟

ولا يخفى على الفهم أنه ليس المقصود بهم من منع الزكاة، لان مانعي الزكاة قد ثبت اسلامهم وأنهم لم يرتدوا ولم ينقلبوا، بل تشهدوا الشهادتين وصلوا، وقتلهم خالد مسلمين، ولهذا انتفض عمر وأراد رجم خالد لولا موقف أبي بكر، وقد صرح من حضر الواقعة باسلام مالك بن نويرة .

يبقى أمر موجب للوقوف والتفكُّر، قال في الرواية: (خرج رجل من بيني وبينهم) في الجملتين، فالذي يقودهم إلى النار رجل وليس ملك من الملائكة، مع أن أصحاب النار ملائكة ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً﴾[1] ، فمن هذا الرجل؟؟ ولماذا يقود هؤلاء رجل دون غيرهم إلى النار؟! الحر تكفيه الاشارة .

وأما تعجب المؤلف وعدم علمه بسبب نكوصهم فمعه حق إن كان لا يعلم، وحقه على من يعلم أن يعلّمه، فان رفع الجهل عن الجاهل حسن :

١- الحسد ، ألم يعلم المؤلف الحسد وما يفعله بالنفوس، فانه أشد آفة يبتلي بها الانسان، والذي دفع هؤلاء على أخذ الحق من أهله حسدهم، وأنقل إليك أيها القارئ العزيز هذه

---

(١) المدثر ٣١ .

الواقعة التي يظهر منها تطاولهم لمناصب ومنزلة الامام علي ﷺ، وعليها قس ما سواها .

وهي ما رواه مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: (يوم خيبر لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، قال: فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقالوا: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية ......الخ)[1] .

فقد بات أصحاب رسول الله ﷺ كل يحلم بأنْ يعطى الراية حتى يفوز بتلك المنزلة والمرتبة الرفيعة ، حتى لما دعى علياً «قالوا» - يعني مجموعهم أو مجموعة منهم - إنه يشتكي عينيه، فلما يعطى الراية علياً دونهم لا شك ولا ريب تثور ثائرة الحسد في نفوس ضعاف النفوس منهم .

---

(١) صحيح البخاري ٣: ١٠٧٧ ، حديث ٢٧٨٣ ، و ٣: ١٠٨٦ ، ١٠٩٦ ، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢ حديث ٢٤٠٦ ، واللفظ له .

ولا بأس في هذا المقام من نقل مناظرة جرت بين ابن عباس وعمر، فانها تبين لماذا صرفت الخلافة عن علي عليه السلام (فقال عمر : يابن عباس أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمد؟

فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت .

فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت .

فقال: تكلم يا ابن عباس .

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود .

وأما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية، فقال ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم .

فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها فتزيل منزلتك مني .

فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه .

فقال عمر: بلغني أنك تقول إنما صرفوها عنا حسداً وظلماً .

فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون .

فقال عمر: هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً ما يحول، وضغناً وغشاً ما يزول .

فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش، فإن قلب رسول الله من قلوب بني هاشم .

فقال عمر: إليك عني يا ابن عباس .

فقلت: أفعل .

فلما ذهبت لأقوم استحيا مني ، فقال: يا ابن عباس مكانك، فوالله إني لراع لحقك محب لما سرك .

فقلت: يا أمير المؤمنين إن لي عليك حقاً، وعلى كل مسلم، فمن حفظه فحظه أصاب ، ومن أضاعه فحظه أخطأ، ثم قام فمضى)[١] .

٢- الحقد والضغينة على علي عليه السلام ، كما ينبئ عن ذلك قول الامام علي عليه السلام في خطبته الشقشقية (فصغى رجل منهم لضغنه)[٢] .

٣- كثير منهم كان موتوراً من أمير المؤمنين علي عليه السلام ، كما تشهد بذلك ساحات القتال، فمنذ ان بزغ الاسلام والامام علي عليه السلام حامل سيفه على عاتقه مدافعاً به عن الاسلام ورسوله صلى الله عليه وآله ، فقد وتر العرب، وقتل ابطالهم وناوش ذؤبانهم، فأودع في قلوبهم أحقاداً بدرية وحنينية وخيبرية وغيرها، فأضبت على عداوته، وأكبت على منابذته ومعاداته .

---

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٧٨ ، الكامل في التاريخ ٢: ٤٥٨ .

(٢) نهج البلاغة ٣٠ ، الخطبة الشقشقية .

٤- النفاق ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[1] .

وأما ما ذكره من الشرف والجاه بخدمة الامام، فهذا يقال لمن يعطي الحق أهله ويقر بشرف الامام علي عليه السلام ومرتبته ، لا لمن يسعى إلى الدينا، ويعتبر هذا هو الجاه والشرف ، وهذا آخر همه، فيزاحم على الحق أهله .

أيها القارئ الكريم تأمل في حيرة هذا المؤلف ، فهو يريد أن يلبس الأمر على أهله، ويقلب الحق باطلاً ، فيمثل بالامام علي عليه السلام عندما خرج عليه جماعة من جنده، وهم الخوارج، لأجل اثبات أن الطعن في جماعة من أصحابه لا يوجب الطعن فيه، فهذا مثال عليه لا له، فهو يثبت خلاف مقصوده، فهل خروج جماعة من جنده ومحاربة أمام زمانهم يكون فيه طعن على الامام علي عليه السلام ؟!! وهكذا ارتداد جماعة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله هل فيه طعن على الرسول صلى الله عليه وآله ؟!! فخروج جماعة وارتدادهم ليس موجباً للطعن في البقية من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، فضلاً عن الطعن في نفس الرسول

(١) التوبة ١٠١ .

صلى الله عليه وآله، كما أن خروج جماعة وارتدادهم من أصحاب الامام علي عليه السلام لا يوجب الطعن في أصحاب الامام علي عليه السلام، فضلاً عن الطعن في الامام علي عليه السلام.

ولكن العجب من النتيجة التي خلص لها هذا المؤلف، فانه بعد أن استنتج بانه لو طعن شخص في الامام علي عليه السلام لارتداد هؤلاء الجماعة فالطعن فيه أولى، خلص إلى أنه لما كان الرسول صلى الله عليه وآله أفضل من الامام علي عليه السلام إذن الطاعن في أصحابة أولى بأنَّ يكون أولى بالطعن، فانظر إلى هذا الاستدلال، فهل هو لضعف هذا المستدل ولعدم علمه بطرق الاستدلال، أم هو من تسويل الشيطان له، لأجل أن يخدع العامة، فان هذا القياس الذي ذكره ينتج أن الطاعن في النبي صلى الله عليه وآله أولى بالطعن، لا الطاعن في أصحابه، وهذا الاستدلال أقرب إلى الفكاهيات وكلام الحمقى والمغفلين من كلام من له أدنى عقل ودين.

والحق أن يقال أن من وجَّه اللوم والمذمة إلى جميع أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله ومنهم آله عليهم السلام فهو أولى بالطعن والمذمة، ولكن من يقول بهذه المقالة؟؟

اما الفصل الذي جعله بعنوان حقائق :

فقد ذكر فيه السبب لاصرار العامة للقول بعدالة جميع الصحابة والمبالغة والغلو فيهم فذكر عدة أسباب :

السبب الأول : انه لو توجه الطعن لهم لأمكن توجيهه لغيرهم من باب أولى؛ وذلك :

١- لأنَّ الله أنزل فيهم آيات تتلى إلى يوم القيامة .

٢- أن الرسول ﷺ مدحهم بأحاديث كثيرة .

٣- التلازم والتلاحم بين المعلم والمربي وبينهم .

٤- أن الرسول ﷺ أفضل ولد آدم فاذا لم يتمكن من تربية جيل فغيره من باب أولى .

٥- أن التأريخ شهد لهم بأنهم سادة الفتوحات فهم خير أصحاب لخير صاحب .

لم يبيّن لنا الكاتب ما هو مقصوده من توجه الطعن لغيرهم من باب أولى، من هو المقصود بالغير، هل هو المساوي لهم في المطاعن، والمساوي لهم في ارتكاب الذنوب، فليكن ثم ماذا؟

ومن هو هذا الغير الذي يخاف هذا من الطعن فيه من باب أولى، فهل يلزم من قولي أبو هريرة كذاب مثلاً ان كل

أمة محمد ﷺ كذابون؟ هل يمكن أن يقول بها عاقل؟ فمن يقول به لا يعتد بكلامه ولا بطعنه، أم أنه يذم من هو كذاب مثله، فليكن وما يضر الأمة من ذلك؟

أما الامر الأول وهي الآيات التي أنزلها الله في مدح الصحابة، فليست في مدح جميع الصحابة حتى يكون الذم لبعضهم ينافي مفاد الفرقان العظيم، مضافاً إلى أن الفرقان كما فيه آيات مادحة للصحابة فيه آيات ذامة، فعلى رأي المؤلف لا بدَّ من حذفها من القرآن .

وأما الامر الثاني وهي الاحاديث التي مدحهم بها الرسول ﷺ فبين من يخص فئة خاصة منهم، وبين ما هو موضوع كما نص عليه علماؤهم[1] .

وأما الامر الثالث وهو التلازم بين القوم والقائد فقد تقدم الكلام عليه .

---

(١) كحديث (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) فقد نص أكثر من واحد من علمائهم على وضعه راجع تحفة الاحوذي ١٠: ١٥٦ ، الضعيفة للالباني ١: ٥٨ ، المشتهر لحبري ١: ٧٥ ، الوضع في الحديث لفلاته ٢: ١٠٢ ، و٢: ١٣٨، تبييض الصحيفة لمحمد عمرو ١: ٤٩ ، حسن الاثر للحوت ١: ٥٤٦ ، كشف الخفاء للعلوجي ١: ٣٨١ ، وفي نصيحة الداعية ١: ١١ ، وغيرهم كثير .

وأما الامر الرابع وهو إذا لم يقم بتربية فئة تحمل الدين فغيره من باب أولى، فمن قال بأنّ كل الصحابة ليسوا بعدول؟ ومن قال بأنّ كل الصحابة فسقة؟ حتى يلزم هذا المحذور، فان من الصحابة من انصهر في الاسلام حتى صار يمثل الاسلام في كل حركاته وسكناته، ومنهم من كان لا تأخذه في الله لومة لائم، ومنهم من بذل في سبيل الله النفس والنفيس، ومنهم من كانت الدنيا لا تساوي عنده جناح بعوضة، ومنهم من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله، ومنهم ..... ومنهم ..... ، فمن هؤلاء وأمثالهم يؤخذ الدين، فكون بعض الصحابة فسقة لا يضر بشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ، ولكن لما كان دينهم متوقفاً على الأخذ من الكذبة حاولوا تصحيح رواياتهم .

والامر الخامس وهو كونهم قادة الفتوح الاسلامية فلا أدري ما هو ربطه بالمقام، فهل كلهم كان قادة الفتوح الاسلامية؟ وهل كل من صار قائداً صار عادلاً؟

مضافاً إلى الروايات المتعددة الواردة في أنه يأتي في آخر الزمان قوم هم أفضل أمته صلى الله عليه وآله إيماناً :

منهـا : مـا رواه أبـو داود الطيالـسي عـن عمـر قـال: (كنـت جالـساً ثـم النبـي ﷺ فقـال: أتـدرون أي الخلـق أفـضل إيمانـاً؟ قلنا الملائكـة، قـال: وحـق لهـم، بـل غيـرهم، قلنـا: الأنبيـاء. قـال: حق لهم، بل غيرهم، قلنا: الـشهداء، قـال: هـم كـذلك وحـق لهـم، بـل غيـرهم، ثـم قـال رسـول الله ﷺ: أفـضل الخلـق إيمانـاً قـوم فـي أصـلاب الرجـال، يؤمنـون بـي ولـم يرونـي، يجـدون ورقـاً فيعملون بما فيه، هم أفضل الخلق إيماناً) .

الـسبب الثـاني : أنـه مـن خـلال الطعـن فـي الـصحابة يتـسنى لأعداء الدين الطعن في القرآن وانكار تواتره .

نقـول أولاً : مـن الواضـح عـدم معرفـة هـذا الكاتـب بأصـول الاستدلال، ومـصطلح أهـل العلـم، فـان المتـواتر عنـدهم هـو مـا يفيد العلم[1] ، وقد ذكـروا لـه شـروطاً، ولـيس مـن تلـك الـشروط عدالة أو وثاقـة رواتـه، فـاذن لا يـشترط فـي رواة الخبـر المتـواتر العدالة، فلو انكر عدالة كـل الـصحابة لا يلـزم منـه محـذور انكـار تواتر القران، فحتى لو كـان كـل رواة القـرآن مـن الـصحابة وكـان كلهم غير عدول لا يضر بتواتر القرآن .

---

(١) راجع نخبة الفكر ١: ١ ، المنهل الروي ١: ٣١ ، تدريب ٢: ١٧٦ .

ثانياً : من وصلنا عن طريقهم القرآن هل هم جميع الصحابة، أم هم فئة خاصة قد لا يتجاوزون المائة، فهل يلزم أن نقول بعدالة جميع الصحابة حتى يثبت عدالة هذه المائة.

بل حصروا القراء من الصحابة في أربعة، فان قراءة عاصم الموجودة الآن عن أربعة منهم فقط، عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي وعثمان وزيد ابن ثابت وأبي .

ثالثاً : إنّما يلزم ذلك إذا كان كل الصحابة فسقة، وقد قلنا بأنّ هذه الدعوى لا يمكن أن يدعيها ذو مسكة كدعوى عدالة جميع الصحابة، وأما إذا كان بعضهم فاسقاً وهناك الكثير من العدول فلا يضر بتواتر القرآن حتى لو فرضنا اشتراط العدالة في تحقق التواتر .

السبب الثالث : أن الطعن فيهم يوجب الطعن في السنة وسيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ؛ لأنهم رواتها .

نقول أولاً : أي تلازم بينهما؟! فالشيعة لا يقولون بعدالة جميع الصحابة ومع ذلك لم يلزم توقف الاستدلال عندهم ولا عدم معرفتهم بسيرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ، بل خلت رواياتهم من الأخبار المكذوبة على الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

الطاعنة فيه، بخلاف العامة فانهم لما أخذوا رواياتهم من كل من هب ودب ابتلوا بهذه الطامة الكبرى المهلكة .

ثانياً : إنَّما يلزم هذا لانهم لم يتبعوا أهل البيت عليهم السلام، ولو تمسكوا بالثقلين لما احتاجوا إلى محاولة اثبات عدالة جميع الصحابة، ولكنهم لما لم يطيعوا الله فيما أمرهم بالتمسك به، وهم عدل القرآن الثقل الاعظم، وهم أهل البيت عليهم السلام لزمهم هذا المحذور .

وثالثاً : لا بدَّ من ملاحظة أن عدد الرواة من الصحابة الذين رووا الحديث، هم مجموعة لا يزيد عددهم على ألفين[1] ، والحال أن عدد الصحابة إما ١٢٠ ألفاً أو ١١٤ ألفاً

---

(١) ذكر في مقدمة كتاب « أسماء الصحابة الرواة » لابن حزم الاندلسي ، ان الحاكم ادعى ان عدد الرواة من الصحابة نحو أربعة الآف، والحافظ الذهبي يرى أنهم نحو ألف وخمسمائة نفس ولا يبلغون ألفين ، ويرى المحقق للكتاب بأنَّ الاقرب إلى الصحة قول الذهبي؛ لأنَّ ابن الجوزي ذكر بأنَّ عدد الصحابة الرواة ١٦٤٢ صحابياً و ٢١٦ صحابية، وقد روى أحمد في مسنده عن ٩٠٤ من الصحابة ، وأضاف ابن ملخد في مسنده ٥٦٨ ، وأضاف البرقي ٨٧ وأضاف ابن الجوزي ٦ فيكون مجموع الرواة ١٥٦٥ صحابياً ، وفي « أسماء الصحابة الرواة » مجموع ما ذكرهم ابن حزم ١٠١٨ صحابياً وصحابية ، فعلى كل حال لا يتعدى عدد الرواة الألفين ، راجع أسماء الصحابة الرواة ١٠ .

كما ذهب إليه السيوطي وابن جماعة[١] ، فهل يستلزم القول بعدالة جميع الصحابة .

السبب الرابع : انه يجد أعداء الاسلام ميداناً خصباً للقول بأنَّ الاسلام مثلٌ لا يمكن تطبيقها؛ لأنَّ من آمن به ارتد بعد موته .

يكفي في ردهم :

أولاً : لا ملازمة بين ارتداد الاصحاب وعدم امكان تطبيق المثل الاسلامية، فقد طبقت تلك المثل في حياته ﷺ ، والوقوع أدل دليل على الامكان .

ثانياً : أن هناك نخبة لم تعصف بهم العواصف، ولم تغيرهم الحوادث، فلو لم يكن ممكن التطبيق لما أمكن لأحد تطبيقه، مع أن هذا لا يضر الاسلام، فلاحظ الآن اتباع الاسلام، بل في كل زمان المؤمن الخالص منهم هو القليل، بل هو أندر من الكبريت الأحمر، فهل يضر هذا بالاسلام ومثله .

السبب الخامس : يستلزم هذا التشكيك في أمجاد الاسلام وحضارته .

---

(١) تدريب الرواي ٢: ٢٢٠ ، المنهل الروي ١: ١١٣ نقله عن أبي زرعة الرازي ، وكشف الظنون ٢: ١١٠٣.

هل الاسلام وحضارته هم اتباعه أو مبادئ الاسلام، فمن يريد حضارة الاسلام ومبادئه فلا بدَّ أن يدرس مبادئ الاسلام وتعاليمه، وأما من اتبعه ولم يطبق فلا يضر الاسلام شيئاً، فلو جاء شخص إلى بعض بلاد المسلمين ورأى المناكر التي ترتكب في بلادهم، فهل هذا يعد ذماً للاسلام أم لمن لم يتبع الاسلام؟! فمثل هذا المشكك لا يعتد بتشكيكه لأنَّه متحامل .

والحق في سبب غلوهم في الصحابة وادعائهم العصمة لهم، هو لما لم يكن عندهم دليل صحيح على صحة مذهبهم، وكان أساس مذهبهم هؤلاء الفئة الخاصة، وهم الخلافاء الثلاثة، وكان تسلّمهم لذلك المقام والمنصب من غير الطريق الصحيح، ولم يقم عندهم دليل على عصمتهم، فلأجل عدم البحث عن ما فعلوه مع إمامهم إمام الحق وبنت رسولهم سلام الله عليها ادعوا عدالة جميع الصحابة، وأنه لا يصح البحث فيما شجر بينهم، لأجل الخلوص إلى عصمة هؤلاء من باب أولى، لأنهم بحسب عقيدتهم أفضل الصحابة، وإلا ما ذكره من الاسباب لا تقنع طفلاً لم يبلغ الحلم، فضلاً عمن عرف الحق وعرف أهله، وكان من حقه أن يستدرك بها

علـى كتـاب الجـاحظ نـوادر الحمقـى والمغفلـين، لا أن يعـدها أسـباباً يخاطـب بـه الـشيعة الـذين لا تنطلـي علـيهم مثـل هـذه الخزعبلات .

وفـي خاتمـة هـذا الفـصل نقـول عزيـزي القـارئ لا تقـف حائراً، فلا تغالي فـي الـصحابة ولا تكفـر كـل الـصحابة، بـل اتبـع مذهب الحق، وهـو أوسـطها، وهـو أن مجتمـع الـصحابة فيـه مـن هـو الـذروة العليـا فـي الايمـان، ومـنهم أهـل الفـسوق والطغيـان كبقية المجتمعات الاسلامية، ولكن بعضها أفضل من بعض .



الفصل الثاني

فيتلخص ما ذكره في أن الرسول ﷺ لم يعش حياته منفرداً، بل عاش بين أصحابه وأهل بيته، وهذه الحياة كانت حافلة بالحوادث والمواقف، وقد أنزل الله فيها آيات تبين الترابط بين الرسول الاكرم ﷺ وأصحابه، فاستعرض المؤلف بعض هذه المواقف، ونحن نتعرّض لها بالترتيب حسب ما تعرّض لها :

الأولى: غزوة بدر

وقد اقتص الله أحداثها في سورة الأنفال، وقد تعرّض المؤلف إلى ثلاث آيات منها تصور أنها تخدم غرضه وما رامه وقصده من اثبات عدالة جميع الصحابة، ونحن إذا تأملنا في جميع الآيات النازلة في هذه الغزوة - وهي آيات سورة الأنفال - نرى أن ما رامه لا يمكن استفادته من آيات هذه السورة، فانها تمدح قوماً وطائفة منهم في حين تذكر لنا سلوك طائفة منهم وتذمه، فالمتأمل في جميع الآيات يستفيد ما قلناه، وهو عدالة بعض الصحابة دون جميعهم .

ففي أول السورة حكى الله تعالى حالة هؤلاء القوم وموقفهم من خروجهم إلى الجهاد، فقال تبارك وتعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[1] فهذه الآيات تصف حالة بعض الصحابة بأنهم كارهون الخروج إلى الجهاد ، وهؤلاء ليسوا فريقاً من المنافقين، وإنَّما من المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ فمن المسلم أنهم من المؤمنين لأن الله وصفهم بذلك، وثانياً لدعوى المؤلف أن النفاق لم يحدث إلا بعد غزوة بدر .

ومع التأمل في الآية التي بعدها يتضح الحق جلياً، فلم يقتصروا على الكراهة النفسانية للخروج إلى الجهاد، وإنَّما جادلوا الرسول صلى الله عليه وآله ، وجادلوه في ماذا؟ جادلوه في الحق، ومتى جادلوه؟ بعدما تبين لهم الحق، ثم وصف الله حالتهم حين الخروج إلى الجهاد بأنهم كأنما يساقون إلى الموت، فهل رأيت شخصاً يساق إلى الموت وهو يعلم بذلك، هؤلاء مثلهم مثل هذا الشخص، فلم يكونوا مستبشرين، وحالهم

(١) الانفال ٥- ٦ .

كمن يساقون إلى الجنة ومعانقة الحور العين، بل يساقون للموت، فلماذا لم ينقل المؤلف هذا الآيات أليست من القرآن ؟!! ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] .

ولكن أيها القارئ العزيز لا شك وأنك لاحظت بأنَّ هذه حال طائفة وجماعة من المؤمنين، وليس كل المؤمنين، بل كان منهم من يفدي بنفسه رسول الله ﷺ ، فانظر إلى هذا الموقف الذي يعد مفخرة إلى كل مسلم، وهو ما يرويه البخاري في صحيحه عن طارق بن شهاب، قال: سمعت ابن مسعود يقول: (شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: لا نقول كما قال قوم موسى اذهب أنت وربك فقاتلا ، ولكنا نقاتل عن يمينك وعن

---

(١) البقرة ٨٥ .

شمالك، وبين يديك وخلفك، فرأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أشرق وجهه وسره - يعني قوله -)[١].

ومن آيات سورة الانفال، وهي قد نزلت في غزوة بدر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[٢] هذه الآية اختلف المفسرون في سبب نزولها، ولكن الذي لا ريب فيه أن هناك من المؤمنين من خان الله ورسوله، فقد قيل إنها نزلت في أبي لبابة لما قال بنو قريضة ننزل على حكم سعد بن معاذ، فاشار إلى حلقه، أي لا تفعلوا فانه القتل، كما ذكره القرطبي في تفسيره[٣]، أو أنه كان في المسلمين من يسمع بالشيء من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيفشي به إلى المشركين، وفي تفسير الطبري[٤] أنه كان هناك من يظهر للمسلمين الاسلام ويدل المشركين على عورات المسلمين، فهل هذا من المنافقين أو

---

(١) صحيح البخاري ٤: ١٤٥٦ حديث ٣٧٣٦ ، و٤: ١٦٨٤ حديث ٤٣٣٣ .

(٢) الانفال ٢٧- ٢٨ .

(٣) تفسير القرطبي ٧: ٣٩٥ .

(٤) تفسير الطبري ٩ : ٢٢١ ، تفسير ابن كثير ٢: ٣٠٢ .

غير منافق، فدعوى المؤلف اجماع كل من كتب في السيرة على عدم النفاق قبل غزوة بدر الظاهر في غير محله، حيث صرح الطبري بأنَّه هناك من قال بأنها نزلت في منافق كتب لأبي سفيان يطلعه على سر المسلمين، وكذا ذكر ابن كثير .

وإن كان في النفس شيء من دعوى نزولها في حق منافق، وذلك لأنَّ الخطاب فيها للمؤمنين، والمنافق ليس مؤمناً، وظاهرها أن أحد المؤمنين خان الله ورسوله لأجل المال بدليل الآية التي بعدها .

ولكن مع ذلك دعوى هذا الكاتب الاجماع على أنه لم يكن نفاق قبل بدر في غير محلها؛ وذلك لأنَّ بعض الآيات التي هي في مساق الآيات النازلة في غزوة بدر ذكرت ما قاله المنافقون في خروج المسلمين، فقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] .

ومن الآيات النازلة في هذه الواقعة قوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) لَّوْلاَ

---

(١) الانفال ٤٩ .

إنها نزلت في بني سلمة وبني حارثة لما هموا بالرجوع لما رجع عبدالله بن أبيّ لولا أن عصمهم الله، وهؤلاء طائفتان أي جماعتان ، فهم جماعة كبيرة من المسلمين .

ومنها هذه الآية التي فيها توبيخ وتقريع للمسلمين، فلقد هموا بالانقلاب أو انقلبوا، ولذا وبخوا عليه، فان التوبيخ والملامة على أمر حدث أو سوف يحدث لا محالة ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1] فهذه حال بعض المسلمين بمجرد سماع خبر قتل النبي صلى الله عليه وآله إذا هم يهمون بالانقلاب على الأعقاب أو انقلبوا على أعقابهم .

ومنها هذه الآيات التي تحكي هزيمة المسلمين ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ

---

(١) آل عمران ١٤٤ .

مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[1] ، فهذه الآيات تصور كيف انهزم المسلمون وتركوا رسول الله ﷺ ، فهم يصعدون ولا يلوون على أحد - يعني يمشون من دون التفات - من شدة الخوف، مع أن الرسول ﷺ يدعوهم في أخراهم ، ثم صاروا طائفتين، طائفة أنزل عليهم النعاس أمنة، والطائفة الأخرى أهمتهم أنفسهم، وهؤلاء يظنون بالله ظن الجاهلية .

وسبب هذه الهزيمة هو طمع طائفة من المسلمين في السلب والغنيمة، مع أن الرسول ﷺ وعدهم بأنَّ يكون لهم مثل غيرهم، ومع ذلك لم يمتثلوا أمره .

فاستمع إلى قصة هؤلاء كما يرويها البخاري (عن أبي إسحاق قال سمعت البراء بن عازب (رضهما) يحدث قال: جعل النبي ﷺ على الرجالة يوم أحد - وكانوا خمسين رجلاً - عبد الله بن جبير، فقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا

---

(١) آل عمران ١٥٣ - ١٥٤ .

تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، فهزموهم قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وأسوقهن رافعات ثيابهن، فقال: أصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون، فقال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟! قالوا: والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة، فلما أتوهم صرفت وجوههم، فأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع النبي إلا اثني عشر رجلاً)[1] ، فالذي دعاهم إلى مخالفة رسول الله ﷺ هي الغنيمة ورؤية النساء وقد بدت خلاخلهن وأسواقهن !!! أهذه طاعتهم العمياء للرسول ﷺ، أهذه تركهم الأموال والأهل لأجل الرسول ﷺ .

ولكن هؤلاء مجموعة من المسلمين، ولم يكن جميع الصحابة الذين مع الرسول ﷺ في هذه الغزوة على هذه الشاكلة، بل ثبت معه ﷺ اثنا عشر رجلاً يذودون المشركين

---

(١) صحيح البخاري ٣: ١١٠٥ حديث ٢٨٧٤ ، و٤: ١٤٨٦ حديث ٣٨١٧ ، وصحيح ابن حبان ١١: ٤٠ حديث ٤٧٣٨ ومسند أحمد ٤: ٢٩٣ كذلك رواه غيرهم .

عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله، فجزاهم الله عن نبيه خيراً بما صبروا فنعم عقبى الدار.

ومنها هذه الآية قوله عزّ من قائل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1] فانظر إلى بعض الصحابة لما فقد قطيفة حمراء اتهم النبي صلى الله عليه وآله بها، فنزلت هذه الآية كما روى الترمذي في سبب نزولها (عن خصيف حدثنا مقسم، قال: قال ابن عباس نزلت هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ في قطيفة حمراء أفتقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله صلى الله عليه وآله أخذها، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ..... إلى آخر الآية ﴾)[2] ثم عقبه بقوله قال: أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ، فقد اتهم بعضهم الرسول صلى الله عليه وآله بالغلول حرصاً على قطيفة، وما تسوى هذه القطيفة وما قيمتها؟! أهؤلاء من بذل نفسه وأمواله وتركها رغبة في رسول الله صلى الله عليه وآله ؟!!

---

(١) آل عمران ١٦١ .

(٢) سنن الترمذي ٥: ٢٣٠ ، حديث ٣٠٠٩ ، وسنن ابي داود ٤: ٣١ حديث ٣٩٧١ .

هذا غيض من فيض من الآيات النازلة في هذه الواقعة، وهذا المقدار كافٍ لاثبات ما رمناه، من أنه ليس جميع الصحابة في مرتبة واحدة من الايمان والاخلاص والفداء للرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، ولكن لمن نَزَعَ أقوال الرجال من لبه ، واتبع قول خالق الرجال .

غزوة الخندق وما ورد فيها :

في هذه الغزوة تحصن المسلمون في المدينة، وأحاط بهم المشركون من كل جانب، وقد وصف الله حالتهم بأبلغ وصف، فقال عزَّ من قائل: ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾[1] ، فيصف الفرقان العظيم حالة هؤلاء المجموعة من المسلمين بأنهم قد أحاط بهم المشركون من كل جانب، وأنهم قد زاغت منهم الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر من شدة الخوف، وهذا الأمر كله يهون، ولكن ما بعدها قد ظنوا بالله الظنون، فهل يخلف الله وعده رسله؟!!

---

(١) الاحزاب ١٠ - ١١ .

هذه حال بعض المسلمين بين يدي رسول الله ﷺ في حال الشدة .

وهذه آية أُخرى تصور حالهم قال عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلا فِرَاراً﴾[1] ، هذه حال طائفة من المسلمين، فهل كانوا جميعهم يفدون الرسول ﷺ بالنفس والنفيس؟!! فلماذا يريدون الفرار بحجة أن بيوتهم عورة؟!

صلح الحديبية

هذه بعض الآيات النازلة في صلح الحديبية[2] ، وتذكر بيعة المسلمين للنبي ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[3] قد

---

(١) الاحزاب ١٣ .

(٢) للمزيد من الاطلاع على تعامل الصحابة مع الرسول الاكرم ﷺ في هذا الصلح راجع كتابنا رحمة للعالمين .

(٣) الفتح ١٠ .

وعد الله من وفى منهم ببيعته أجراً عظيماً، فليس الأجر لكل من بايع منهم، هذا ما يستفاد من الآية الكريمة، فلا يستفاد منها مدح جميع من بايعه .

وهذه الآية مع أنها أشد آية مادحة للصحابة، لكنها لم تمدح كل الصحابة، بدليل ذيلها فقد قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[1] ولكنه عقب ذلك المدح بأنَّه قد وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم ، فلم يعد كل أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله .

مع أن هذه الآية ليس فيها تعميم لكل فرد فرد، فان مفادها مثل ما إذا قلت « يمتاز العرب بالكرم والضيافة » فهل يستفاد منها أن كل عربي له هذه الخاصية، أو يستفاد منها أن هذا النوع موصوف بهذا الوصف، فقد يكون بعض العرب

---

(١) الفتح ٢٩ .

بخيلاً، فلو اعترض على هذا القائل بأنّ فلاناً بخيل، وأنت قلت كذا وكذا، فقولك ليس بصحيح، لقال لم أقل كل العرب، فهذه الآية مفادها مدح لهذا الصنف .

ومن الواضح أنه لا يمكن حمل الآية على مدح كل واحد واحد من الصحابة؛ وذلك لأنّ الآية وصفتهم بأنهم رحماء بينهم، ومن البيّن أنه لم تكن هناك رحمة ومودة بين كل فرد فرد منهم والآخر، فانه كيف يمكن أن يقال بأنهم رحماء بينهم مع ما وقع بينهم من الحروب والقتال، وهذه الحروب ليست من أساطير القصاص كما يحاول تصويرها هذا الكاتب، فان حرب الجمل من المسلمات التاريخية، وقد وقعت بين عائشة وطلحة والزبير من طرف، والامام علي عليه السلام من طرف آخر، وحرب صفين وقعت بين معاوية من جهة، والامام علي صلى الله عليه وآله من جهة أُخرى، وقد قتل فيها من الصحابة ما شاء الله، هذه الحروب من مسلمات التاريخ، ولا يمكن تكذيبها ووصفها بالأساطير، وهل يمكن أن يكون بين من وقع بينهم الحرب رحمة ومحبة ومودة، فلا بدّ من حملها على المعنى الذي ذكرناه حتى لا يستلزم الكذب في إخبار الله عزّ وجلّ وهو أصدق الصادقين .

وإذا تنزلنا مع هذا الكاتب، وقلنا بأن تلك الحروب كلها من أساطير القصاص، فهل يلتزم هذا الكاتب بأنَّ صحيح مسلم مشتمل على الخرافات والأساطير، وهو من أصح كتب الحديث عندهم، فانه قد روى طلب معاوية من سعد أن يسب علياً (عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟! فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبه، لان تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له علي يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال فتطاولنا لها فقال ادعوا لي علياً، فأتي به أرمد فبصق في عينه، ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي)[1] فهل بين

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ حديث ٢٤٠٤.

من يأمر بسب أمير المؤمنين علي عليه السلام وأمير المؤمنين عليه السلام مودة ورحمة محبة؟!

ومن اللطيف أن كتّاب العامة عندما يأتون إلى قتلة عثمان يحالون انكار كونهم من الصحابة، بل يقولون إنهم من غوغاء الناس، ولم يذكر واحد منهم أنهم تأولوا وأخطأوا، وأن للمخطئ أجراً، وأنهم عدول لأنهم اجتهدوا فاخطأوا، ولكن لما يصلون إلى حرب الامام علي عليه السلام مع معاوية يقولون تأول معاوية، وهو من العدول[1] ، قاتلهم الله أنى يؤفكون .

فان قتلة عثمان أحد قوادهم الأربعة عبد الرحمن بن عديس البلوي[2] ، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وليس هناك نص على أنهم كفار أو بغاة، خلافاً لمعاوية ومن تابعه فانه من البغاة بالنص الصحيح، فقد قال الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله لعمار (يا عمار تقتلك الفئة الباغية)[3] ، بل معاوية وجماعته من

---

(١) راجع مثالاً على هذا شرح النووي لصحيح مسلم ١٥: ١٤٩ .

(٢) الاستيعاب ٢: ٨٤٠ ، وراجع الطبقات الكبرى ٣: ٧١ ، تعرف رؤساءهم فقط تكتفي ، وإذا اردت المزيد من المصادر راجع كتابنا رحمة للعالمين .

(٣) صحيح مسلم ٤: ٢٢٣٦ حديث ٢٩١٦ ، وصحيح البخاري ١: ١٧٢ ، حديث ٤٣٦ ، و٣: ١٠٣٥ حديث ٢٦٥٧ .

دعاة النار، لأنَّه في رواية البخاري يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، ومع ذلك هو من العدول الاجلاء، ما لكم كيف تحكمون؟!!

والحق لهم فان حب الامام علي عليه السلام لا يدخل قلب منافق، فان هذه المنزلة الرفيعة وهي حب أمير المؤمنين عليه السلام لا تجتمع مع النفاق في قلب واحد!!!

وأما الآية التي ذكرها، وهي قوله عزَّ من قائل: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[١] .

أولاً : هذه الاية تمدح فئة خاصة من الصحابة فالاستدلال بها لعموم الصحابة خطأ بينٌ .

ثانياً : هذه الآية قابلة للتقييد، فان لسانها ليس آبياً عن التقييد، فالآيات والروايات التي تدل على من قتل نفساً مثلاً فجزاؤه جهنم يمكن أن تقييد هذه الآية، ولا منافاة بينهما، فلا يمكن استفادة أن كل واحد من هؤلاء رضي الله عنه

(١) التوبة ١٠٠ .

وأعد له جنات، إلا إذا أحرزنا أنه لم يرتكب من الذنوب ما يوجب دخوله النار، كالخروج على إمام زمانه مثلاً .

ويشهد على ذلك ان هناك من السابقين للاسلام من ارتد بعد هجرته إلى الحبشة وهو عبد الله بن جحش .

فهذه الآية مثلها مثل الآية الكريمة المادحة للصابرين، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١] فهل كل من صبر وقال هذه الكلمات عند المصيبة عليه صلوات من ربه حتى لو كان كافراً؟!

ومثل الآية الكريمة المادحة للصادقين قال عزّ من قائل: ﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢] ، فهل كل صادق رضي الله عنه ورضوا عنه مهما عمل؟!

---

(١) البقرة ١٥٥- ١٥٧ .

(٢) المائدة ١١٩ .

والخلاصة ان هذه الآية وأمثالها مادحة من هذه الجهة المعينة، ولكن من الجهات الأخرى ساكتة عنه، ومتكلة في البيان على الآيات الأخرى، فهي لا تفيد مدحاً مطلقاً، وإنَّما من جهة معينة، كما اذا مدحت زيداً بأنه كريم، فكونه كاذب أو صادق ساكت عنه، هذه الآيات كذلك .

وأما ما ذكره هذا الكاتب من ان المقصود من « اتبعوهم بإحسان » يعني دعا لهم؛ فلا يمكن الأخذ به، وإلا يلزم على كلامه أن يكون مدلول الآية أن الله قد رضي عمن اتبعهم - أي جاء من بعدهم ودعا لهم - وأعد لهم جنات، فيكون مفاد الآية الكريمة عدالة جميع المسلمين حتى لو فعل ما فعل، لا خصوص الصحابة، وذلك لأنَّ كل المسلمين يدعون للمؤمنين والمؤمنات، ويدعون إلى الصحابة الكرام، وحمل الآية على غير هذا المعنى تأويل لا يقول به هو وأمثاله من الوهابية .

وأما ما ذكره في حاشية كتابه في هذه الصفحة فهو من المخازي للعامة، فهذا أحد قضاتهم، وهذا مقدار فهمه وما يحسنه من الاستدلال، فقد ذكر أن دليل اتباعهم باحسان أي لزوم أخذ قولهم قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ

يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١)

فهذه الآية ما ربطها بحجية قول الصحابي؟!!

وأما إذا كان مراده استفادة لزوم الدعاء لهم فالمستفاد من الآية الكريمة هو الدعاء لكل من سبق بالايمان، لا كل صحابي حتى لو بدّل وغيّر بعد الرسول صلى الله عليه وآله وحتى لو ارتد، فهل يلتزم بلزوم الدعاء لمن آمن ثم ارتد من الصحابة؟! وذلك لأنّ الأصل في العناوين الموضوعية، وكونها عنواناً مشيراً يحتاج إلى قرينة .

على أن الآية الكريمة مفادها الذين جاؤوا من بعدهم وهم محسنون، أي ان المتبع محسن في نفسه لا أنه محسن لغيره، فان تعديتها للغير يحتاج إلى قرينة، فانه لا بدّ من تقدير بإحسان «لهم»، بخلاف اذا كان هو محسن لا يحتاج إلى تقدير ضمير .

استقبال الوفود

هناك كثير من الآيات في سورة الحجرات نزلت لتعليم الصحابة كيفية التعامل والتخاطب مع الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله ،

---

(١) الحشر ١٠

وهذه الآية من تلك الآيات، فقد زجر الله هؤلاء الصحابة الذين لا يعرفون أدب الحديث بين يدي الله ورسوله، فقد ارتفعت أصواتهما عنده، فزجرهم بقوله عزّ من قائل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾[1]، فقد هددهم الله تبارك وتعالى بأنّ هذا العمل موجب لاحباط الاعمال، ولكن الامر المحير أن هذا العمل المشين صدر ممن منهم؟؟ فاستمع إلى البخاري يقص عليك (عن ابن جريج قال: أخبرني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[2] حتى انقضت الآية)[1] فلم

---

(١) الحجرات ١-٢ .

(٢) الحجرات ١ .

يكن ذلك المراء على أمر مهم، بل على أتفه الأمور، هكذا كانوا في محضر رسول الله ﷺ ، فهم بدل أن يستفيدوا منه في تعلم أمور الدين وتهذيب النفس يتمارون في أمور تافهة .

ومن سوء تعاملهم وسوء أدبهم مع الرسول في خطابهم ما زجر عنه الله، وهو النداء من وراء الحجرات، فقال عزّ من قائل ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[٢] فقد أساء الأدب مع الرسول الاكرم ﷺ كما حكاه الهيثمي في مجمع الزوائد (عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات، فقال: يا رسول الله فلم يجبه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد إن حمدي زين وإن ذمي لشين، فقال رسول الله ﷺ ذاكم الله عزّ وجلّ)[٣] ، فاستمع إلى وقاحة هذا مع الرسول الاكرم ﷺ، يهدده بالذم .

---

(١) صحيح البخاري ٤: ١٨٣٤ حديث ٤٥٦٦ و ٤٥٦٤ .

(٢) الحجرات ٤ .

(٣) مجمع الزوائد ٧: ١٠٨ وقال في ذيله (رواه أحمد والطبراني، وأحد إسنادي أحمد ورجاله رجال الصحيح إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع، وإلا فهو مرسل كإسناد أحمد الآخر) وراه الترمذي ٥: ٣٨٧ وقال عنه حسن غريب ، وأحمد في مسنده ٣: ٤٨٨ ، و٦: ٣٩٣ .

وقد حاول الله أن يهذب طباع هؤلاء الاعراب مما كانت طاغية عليهم من صفات البداوة، ويعلمهم كيف يتعاملون مع الرسول الاكرم ﷺ في هذه السورة المباركة، وذكر لهم فضل وجود الرسول بينهم، وقد اهتدى من اتبع هديه وقد ضل من عَنَدَ عنه .

ولكن لا يستغرب الشخص من هؤلاء، فقد يكون للبيئة التي ألفوها في مجتمعهم القبلي وحياة البداوة التي تكون موجبة لقسوة الطباع، ولكن ما يستغربه الانسان هو عمل هؤلاء الأجلاف الأصلاف الذين هم عند قبر رسول الله ﷺ الذين يعطونه ظهورهم ويصرخون في وجه زواره، ألم يتعلموا إلى الآن كيفية التعامل مع الرسول الاكرم ﷺ، فتراهم يعاملونه كالحجر لا ينفع ولا يضر، والحال أنه إذا رفع شخص صوته في الزيارة أو الدعاء حتى لو خطأ يزجرونه بقوله تعالى ﴿لا ترفعوا أصواتكم﴾ فإذا كنتم تعتقدون بأنَّه يرفع صوته عند رسول الله ﷺ فلماذا لا تتأدبون في محضره؟!! ولماذا تؤذون زواره بأنواع الشتائم وأقبح الألفاظ؟!! فانا لله وإنا إليه راجعون .

فهرس

صُحبَة الرسول

في ميزان

المعقول والمنقول

بقلم

حسن عبدالله

بســـم ٱللَّه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة على أشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الظاهرين ؛ وعلى أصحابهم الأوفياء وأولياءهم الأبرار

أمّا بعد :

فقد وقفت على رسالة صغيرة من تأليف الشيخ صالح بن عبد اللّه الدرويش القاضي في المحكمة الكبرى بالقطيف، وكان موضوعها «صحبة رسول اللّه ﷺ» ، ولم يكن العزم على كتابة رد عليها، وتوضيح لما ورد فيها من مغالطات مقصودة أو غير مقصودة، وما فيها من تجاوزات شرعيَّة وعقليَّة، ولكنَّ الوضع الراهن الذي نعيشه من حيث الهجوم المتصاعد على الإسلام ، وبشتى وسائل الإعلام المتيسرة للمهاجمين، سعياً في إطفاء نور اللّه المتمثل الرسول الكريم وأهل بيته عليهم السلام ، وجدت من اللازم عليَّ أن أكتب ما يوجب كشف مغالطاته في حق الصحابة، ورد مزاعمه في حبِّهم والدفاع عنهم، فكانت هذه الرسالة على عجالةٍ ، راجياً أن تسد رَأْبَ ما صدعه هذا الكاتب وأمثاله.

جعلها ٱللّه في صحيفة أعمالي يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى ٱللّه بقلب سليم .

حقيقة الصحبة وتعريف الصحابي:

لقد اختلف في المراد بالصحبة للنبي ﷺ على أقوال كثيرة، ولنذكر المهم دون إشباعٍ له ؛ فهو موضوع طويل جداً، ولكن توصلاً للمراد مما يفي بالنتيجة المطلوبة من البحث ؛ نقول : .

الصحبة في اللغة:

قال في القاموس[١] :..صَحِبَه كسَمِعَه صَحَابَة وصُحْبَةً: عاشره، وهم : أصحاب وأصاحيب وصحبة وصَحْب ، واستصحبه دعاه للصحبة ولازمه.
وقال في المعجم الوسيط[٢] : صحبه أى رافقه، والصاحب المرافق ، واستصحبه جعله صاحباً له ، ولزمه ، ودعاه إلى الصحبة .

الصحبة في الإصطلاح :

لم يزد بعضٌ ممَّن عرَّف الصحبة على المعنى اللغوي، فقال بأنَّ الصحبة في الإصطلاح هي نفسها ما كانت عليه عند اللغويين.

وبعض قال باختلافهما، وهؤلاء بين مضيقٍ لدائرة الصحبة، وبين موسِّع لها.

والشاهد على ذلك ما ذكره ابن الأثير في جامع الأصول[٣] قال:...ثمَّ الصحبة من حيث الوضع تنطبق على من صحب النبي ولو ساعةً، ولكنَّ العرف يخصِّص الإسم بمن كثرت صحبته، ولا حدَّ لتلك الكثرة بتقدير، بل بتقريب[٤]، وإليك بعض آراءهم في ذلك:

---

(١) القاموس المحيط : ١ / ٩١ .
(٢) المعجم الوسيط : ١ / ٥٠٧ .
(٣) جامع الأصول : ١ / ٧٤ .
(٤) ذكر هذا المعنى عن جامع الأصول : الشيخ المامقاني ؛ مقباس الهداية: ٣ / ٢٩٧

١ ـ تعريف السمعاني ؛كما حكاه ابن الصلاح في مقدمته[1]: من طالت مجالسته مع النبي (ﷺ) على طريق التبع والأخذ، بخلاف من وفد إليه وانصرف بلا مصاحبة، قالوا: وذلك معنى الصحابي لغةً [2]، وهو ضعيف لكون طول المكث مؤثراً في المنزلة والاختصاص به أكثر من غيره ليس إلا، علاوة على مخالفته لمعناها في اللغة .

٢ ـ ما عن سعيد بن المسيب: من أنّه لم يكن يعدّ صحابياً إلا من أقام مع رسول اللّه سنة أو سنتين، وغزا معه غزوة أو غزوتين [3].

وسيأتي أنَّ هذا معنى استعمالي للصحبة لا تعريفاً حديًّا له .

٣ ـ الصحابي من طالت صحبته وروى عنه ، حكي عن جماعة.

فيخرج به من قلَّت صحبته ، وقلَّ مكثه مع النبيﷺ .

٤ ـ أنَّه من رآه بالغاً، وقد حكاه الواقدي.

فيخرج من كان قد رآه مميزاً قبل بلوغه، ومات النبي ولمَّا يبلغ .

٥ ـ أنَّه من أدرك زمنه وهو مسلم، حكي عن ابن عبد البر وابن منده.

فيشمل هذا كل من أدرك زمنه وهو مسلم وإن لم يره، وإن مات بعد ذلك على غير الإسلام .

٦ ـ أنَّه من اختصَّ بالرسول واختص به الرسولﷺ، وهذا أضيق التعاريف ؛ لخروج الكثير من الصحابة به عن كونهم صحابة .

٧ ـ أنَّه كل مسلم رأى النبي ﷺ.

(١) ابن الصلاح في المقدمة : ص ٤٢٣ .
(٢) حكاه عنه في مقباس الهداية: ٣ / ٢٩٦ .
(٣) حكاه عنه في مقباس الهداية ٣ / ٢٩٧ ؛ وذكره في الباعث الحثيث : ٢٠٣ ، شرح الألفيَّة للسخاوي : ٣ / ٩٤ .

وهذا هو المنقول عن البخاري[١]، فتشمل كل من رآه مسلماً ولو لم يصحبه، أو مات على غير الإسلام، وهذا ممَّا لا يمكن الالتزام به قطعاً .

والواقع أنَّه لم يسلم أيٌّ من هذه التعاريف عن الاشكال ، بعدم المانعيَّة في بعض منها، أو عدم الجامعيَّة في آخر ، كلزوم خروج بعض من ثبتت لهم الصحبة عن كونهم من الصحابة كجرير بن عبد اللَّه البجلي.

ويلزم منها أيضاً خروج مثل ابن أم مكتوم الذي كان كفيفاً، مع أنَّه مسلَّم الصحبة، أو من أسلم ثمَّ ارتد ومات على الردَّة كعبد اللَّه بن جحش وعبد اللَّه بن خطل .

كما يلزم على مثل تعريف سعيد بن المسيب و أصحاب الأصول خروج جويبر بن عبد اللَّه فإنَّه ممَّن لم يطل مكثه مع النبي ولم يغزُ معه غزوة قط ، مع أنَّه من الصحابة.

وعلى كل حال فقد مات النبي ﷺ عن مائة وأربعة وعشرين ألفاً ممن يعدُّ صحابياً، وعلى ما سلف من تعريفاتهم يلزم خروج الكثير ممَّن عدَّ صحابياً !!؟

فلابدَّ إذن من اشتراط اللقاء كما فعل الشهيد والسيد علي خان صاحب الدرجات الرفيعة فقد عرَّف الصحابي بأنَّه: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام، ولو تخللت ردته بينهما[٢].

الصحبة في الاستعمال :

لعل الكثير من التعاريف التي مرَّت علينا هو في واقعه توضيح لما

(١) حكاه عنه جماعةٌ بل ادعي أنَّه المشهور والمعروف بين المحدثين، ومفاده الرؤية ولو للحظة، حتى لو لم يَرْوِ عنه ﷺ شيئاً .
(٢) الدرجات الرفيعة : ص ٩.

استعمل من المفهوم عند الصحابة أنفسهم، إما بتضييق وإما بتوسعة له، لا أنّه تحديد منطقي لمفهومها.

ومن نماذج استعمال الصحبة في معنى أضيق دائرةً : ما ذهب له أنس بن مالك من أنَّ رؤية النبي ﷺ غير كافية في اعتبار الرجل صحابياً، فقد سئل : هل بقي من الصحابة غيرك ؟ فقال: بقي أناس من الأعراب أمَّا الصحبة فلا[١].

كما مرَّ منَّا نقل اشتراط سعيد بن المسيب لكي يكون الرجل صحابياً أن يقيم مع رسول اللّه سنة أو سنتين أو أن يغزو معه غزوة أو غزوتين[٢].

ولكنَّ السمعاني ألغى اعتبار زمنٍ محددٍ لمعنى الصحبة أكثر ممَّن سبق فقال : أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحبة على كلِّ من صحب النبي شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه.

ولكنَّ أحمد بن حنبل ضيَّق ذلك المعنى فقال: أصحاب رسول اللّه كل من صحبه وروى عن النبي ولو حديثاً أو كلمة [٣]، فإنَّ بين هذا التعريف وما ذكره السمعاني عموم مطلق، والوجه اشتراط أحمد بن حنبل الرواية وهي فرع الرؤية طبعاً .

ولكنَّ الغزالي قال: لا ينطبق اسم الصحبة إلا على من صحبه...إلى أن قال: ولكنَّ العرف يخصصه بمن طالت صحبته.

وقال ابن حجر العسقلاني بعد أن ناقش التعريفات السابقة :..أصح ما وقفت عليه في تعريف الصحابي أنّه من لقي النبي مؤمناً به، ومات على

(١) مقدمة ابن الصلاح: ص ١١٨ ـ ١١٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) جامع الأصول لابن الأثير: ١/ ١٣٠.

الإسلام[١].

و أمَّا ما اختاره هذا الكاتب الذي نحن بصدد المناقشة لما كتبه ؛ فالصحابي عنده: من آمن بالنبي صلى اللّه عليه (وآله) وسلم، وصحبه ولو لفترة من الزمن ومات على ذلك ، وأمَّا طول الصحبة فهو يؤثر في المنزلة ليس إلا[٢].

وهذا قريب جداً من تعريف ابن حجر العسقلاني في اعتبار الإيمان بالنبي ﷺ والموت على ذلك .

وأمَّا ما تُعْرَفُ به صحبة الصحابي ومايثبت له تلك الصفة ، فهي بالإجماع أو بالتواتر أو الشهرة.

ولا بأس بالتعليق على ما عرَّف به هذا الكاتب للصحابي، فنقول :

قد اشتمل تعريفه للصحابي على أمور:

الإيمان بالنبي ـ الصحبة له ـ الموت على ذلك ـ طول الصحبة مؤثر في المنزلة .

فأمَّا الإيمان به ﷺ:

فهو شرط مهم وأساس في الصحابي، ولكن لابدَّ من إدامة هذا الإيمان ، ولعل الكاتب ٱلتفتَ إلى هذا فقال بعد ذلك : ومات على ذلك .

وأمَّا الصحبة له فهي جزء الموضوع ، لتحقق معنى الصحابي لغةً في من يرافقه ﷺ، بل تمام الموضوع في من يصح له ادعاء ذلك .

وأمَّا الموت على ذلك ، فإن كان يقصد الموت على الإيمان بالنبي ﷺ

(١) مقدمة كتاب نقعة الصديان، عن كتاب الإصابة: ١ / ١٠ .
(٢) صحبة رسول اللّه (ص) : ص ٥ .

فهو المطلوب لنا أيضاً وهو تام، وإن كان مقصوده الموت على الصحبة فهو ممَّا لا دليل عليه في الصحابي، بل الكثير منهم قد هاجر ورجع إلى وطنه أو أرسله النبي ﷺ إلى بلد ولم يرجع عنها، فهل يخرج عن كونه صحابياً ؟ كلاَّ وألْفُ كلاَّ .

بقي أمر : وهو أنَّ تخلل الردة بين الإيمان والموت هل يكون مخلاً بالصحبة أم لا ؟

ظاهر الجمهور عدم ذلك، فلو آمن بالنبي، ثمَّ ارتدَّ ، ثمَّ رجع وحسن إسلامه وإيمانه عُدَّ صحابياً، ولم يرتفع عنه معنى الصحبة ؛ على تردد في هذا لمنافاته مع بعض الآيات والروايات، ومن حيث صدق الصحبة ثانياً.

نعم لو قيل بأنَّه لم ينتفِ معنى الصحبة عنه حتى يحتاج إلى البحث في صدقه ثانياً أمكن ذلك .

وأمَّا بالنسبة إلى الرواية عنه ﷺ:

فلم يشترطه هذا الكاتب ـ وهو الحق ـ فإنَّ الرواية عن النبي ليست فصلاً مقوِّماً لمفهوم الصحبة حتى يدَّعى عدم تحققه بدون هذا الفصل، بل يمكن عدّ الرجل صحابياً وإن عدَّ فيمن لم يروِ عنه ﷺ .

والأمر الأخير المتبقي حول التعريف هو اشتراط الاختيار في ذلك ؛ فلو كان مضطراً أو مكرهاً على الإيمان، لم يتحقق منه أهم شرط في الصحبة ، وإن تحققت صحبته للنبي ﷺ بمعناها اللغوي أو الاصطلاحي على بعض التعريفات السابقة.

وكذا يخرج عن تعريفه عند من يشترط في التعريف الإيمان عن معرفة بشخص النبي فمن آمن به وصحبه دون معرفة له على أنَّه نبي اللّه

محمدﷺ الذي أرسله اللّٰه للخلق كافَّة ، فهو ليس بصحابي على هذا .

وأمَّا عدم اشتراط الرؤية من قبل الكاتب:

فهو إمَّا لالتفاته لدخول ذلك في لفظ الصحبة، وإمَّا لإهماله لهذا الشرط

ولكن لا يخفى أنَّ الإكتفاء في تحقق الصحبة بكل من آمن بالنبي وإن لم يره ـ أي مع عدم اشتراط الرؤية ـ يوسِّع دائرة الصحبة لمثل من آمن به ولو في بلد آخر، فاشتراط رؤية النبي أمر مهم في ثبوت الاتصاف بالصحبة ، وإلا فمن آمن به ولم يره، أقوام كثيرون يعدون بالآلاف ، إمَّا لعدم قصدهم لرؤيته، وإمَّا لتعذر ذلك عليهم ، وإمَّا لتوجههم لاشتراط رؤيته، ولكنَّهم لم يُوفَّقُوا لذلك ،كما نقل عن أبي ذؤيب الهذلي حيث رأى النبي بعد موته وقبل دفنه[١]، فلم يعد من الصحابة، وإمَّا لعدم كونهم من أهل عصره أصلاً كالتابعين ومن تلاهم، فكل من جاء بعد موت النبيﷺ ممَّن آمن به ينطبق عليه هذا المعنى مع عدم صدق الصحبة .

ثمَّ إنَّ اشتراط الإيمان مهمٌّ باعتبار آخر وهو أنَّ ذلك يُخرج من دخل في الدين خوفاً من السيف ، أو من دخل فيه رغبة في المال أو الجاه، وليس إيماناً بالدين، ولعل في بعض الروايات المشيرة لأسباب الهجرة توضيحاً لهذا المعنى، كقوله « فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة يحبها فهجرته إلى ما هاجر إليه..»[٢]، فهذه العبارة من الرسول وإن كانت في مقام بيان الهجرة المطلوبة وهي الهجرة إلى اللّٰه فقط، لكنَّها تبين لنا من منظور آخر مطلوبيَّة الإيمان بالدين من أوله إلى آخر عمره، ولذا

---

(١) الدرجات الرفيعة : ص ٦ .

(٢) صحيح البخاري : ١ / ٣ ، ٣٠ ، ٢ / ٨٩٤ ، ٣ / ١٤١٦ ، ٦ / ٢٤٦١ وغيره من المصادر الحديثيَّة.

فيمكن التشكيك في صحبة مَن آمن بالنبي مدَّة حياته وانقلب بعد موته ﷺ وأظهر ما كان مُخفياً له من أمارات النفاق والجحود بالدين وبأوامره ونواهيه.

والأمر المهم الذي ندعيه كما سيأتي مع أدلته هو أنَّ الصحبة تمثلت في الصحابة بصورتين وفي فئتين منهم:

١ ـ صورة تحكي واقع أولئك الصحابة وهي أنّهم أطاعوا النبي في كل شيء وسلَّموا له في أوامره ونواهيه، فهؤلاء هم الذين وردت فيهم الآيات المادحة والروايات المعرِّفة لهم بصفات مخصوصة[1]، والمبينة لمقاماتهم عند اللّه عزَّ وجلَّ.

٢ ـ صورة تحكي واقعاً مزيَّفاً، ومتلبساً بقناع يخفي وراءه الكثير من الحوادث التي صدرت منهم بعد وفاته ﷺ، والتي أخبر بها النبي ﷺ أصحابه، وحذَّرهم الوقوع فيها، بل حذَّر القرآن منها في بعض آياته، قال تعالى ﴿**أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِب عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً**﴾[2]، وقال تعالى ﴿**وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ**﴾[3]

وقوله ﷺ «لا ترجعوا بعدي كفَّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[4]، وعليك بالتتبع لروايات إخبارات النبي بالمغيبات وبآخر الزمان، وستجد الكثير ممَّا حدثناك عنه موجوداً في طيَّات تلك الصفحات، والتي لم

---

(١) ففي تعبير القرآن دقَّة بالغةٌ حينما عبَّر بـ ﴿والذين معه﴾ ولم يقل صحبوه أو من صحبه... فتأمل!

(٢) آل عمران: ١٤٤.

(٣) الفتح: ١٠.

(٤) صحيح مسلم: ١ / ٨٢ رقم ٦٥ ـ ٦٦، صحيح البخاري: ١ / ٥٦، ٢ / ٦١٩، ٤ / ١٥٩٨، مجمع الزوائد: ٦ / ٢٨٤ وقال: رواه أحمد رجاله رجال الصحيح.

يرغب هذا الكاتب أن يكشف الستار عنها خوفاً من ظهور ما لا يمكنه الجواب عنه، فيقع في ما لا تحمد عقباه.

وأهم أمرٍ نمنع من تحققه كلازم للصحبة ـ وهو مدعى الكاتب ـ أن تكون الصحبة بنفسها عاصمة لمن وُصِفَ بها.

وسوف نسرد للقارىء المحترم لاحقاً مجموعة من أسماء الصحابة ممَّن لم يحسن الصحبة في حياة النبي فضلاً عمَّا صدر منهم بعد وفاته [١].

وعلى كل حال فما ذكره من معنى للصحبة لا يمكن الإلتزام به على إطلاقه، بل حتى الكاتب نفسه لو ٱلتفتَ وتأمل في ما عرَّف به الصحابي، لتوجَّه لما يلزم عليه من ذلك فتخلَّى عنه.

فالصحابي عندنا من رأى النبي وآمن به وصدَّقه في كل ما جاء به وسلَّم بكل أوامره ونواهيه قلباً واعتقاداً وعملاً مدَّة حياته ومات على ذلك.

ومن أهم أوامره والذي ما فتىء يكرره خلال حياته هو التمسك بولاية أمير المؤمنين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب عليه السلام.

كما أنَّ من أهم نواهيه منعه عن مخالفة أمير المؤمنين أو الانحراف عن بيعته وجادَّته، فإنَّه مع الحق والحق معه كما نطقت بذلك النصوص النبويَّة المستفيضة إن لم تكن متواترة [٢]، هذا كلُّه من جهة أصل معنى الصحبة لغة

---

(١) وللتوسع في هذا البحث: ارجع لكتاب الدرجات الرفيعة للسيد علي خان المدني، وكتاب النص والإجتهاد للسيد شرف الدين، وكتاب في رحاب العقيدة للسيد محمد سعيد الحكيم، وغيرها من الكتب المبسوطة في هذا المجال.

(٢) سنن الترمذي: ٥ / ٢٩٧ حديث ٣٧٩٨، مجمع الزوائد: ٧ / ٢٣٥، المستدرك: ٣ / ١١٩، ١٢٤، تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣ / ١١٩ حديث ١١٦٢، كنز العمَّال: ١١ / ٦٠٣ حديث ٣٢٩١٢، تاريخ بغداد: ١٤ / ٣٢١، فرائد السمطين: ١ / ١٧٦ ـ ١٧٧،

واصطلاحاً.

وأمَّا من جهة أثر الصحبة ؛ **فنحن الشيعة الإماميَّة نعتقد بأنَّ ذات الصحبة للنبي ليست موجبة لإثبات صفة مدح لم تكن متحققة في الشخص بدونها، وكذلك الصحبة لا توجب نفي ما أُلصِقَ به بالشخص ممَّا دلَّت الروايات عليه** [١].

وهذا هو القول النَّصَفُ الذي يأخذ الحقَّ ممَّن ظلمه، حيث نُسِبَت الصحبة لمن لم تتحقق فيه ، حيث قد وُجِدَ الكثيرُ ممَّن ادعي له المصداقيَّة للصحبة ، ولم يكن كذلك، أو كان منهم ثمَّ بَانَ عنهم بأنْ أساء الصحبة ولم يحترم حقَّ العِشْرَة مع النبي ﷺ ، في حياته أو بعد مماتهﷺ.

إذ أنَّ ممَّن ادعيت له الصحبة من ثبت ارتداده عن الدين بعد أن تَدَيَّنَ به وهم كثر، وليس ذلك ممَّا يدعو للعجب، إذ أنَّ من بين الصحابة ـ على ما عرَّفوا به الصحابي الذين يعدون بالآلاف من ليس مصوناً عن قانون السُّنَن التاريخيَّة أو الإجتماعيَّة، أو معصوماً عن السنن النفسيَّة للإنسان ككائن بشري قد تغلب عليه النفس الأمَّارة بالسوء ، ويغلب عليه هواه، وحبُّهُ الجاهَ والسلطانَ لأن يرتكب ما يخالف أوامر الرسول ونواهيه، والشواهد على ذلك كثيرة من الصحاح فضلاً عن كتب التاريخ والسيرة .

وبعد هذه المقدمة ندخل في البحث ضمن نقاط:

النقطة الأولى: دعوى الملازمة بين النبي وصحبه في الهداية

بعد أن استفتح الكاتب موضوعه ببضع آيات من الكتاب العزيز ذكر أنَّ

وغيرها من المصادر .

(١) ولا شكَّ أنَّ الكثير من الأصوليين ـ من علماء العامَّة ـ يرون هذا الرأي في قول الصحابي ، وإن كان هناك شرذمة منهم مثل ابن حزم وابن تيميَّة يرون أنَّ كل الصحابة على صواب، وأنَّ قولهم حجَّة مطلقاً .

الآيات صريحة في التلازم بين الرسول الكريم وأصحابه ، من حيث تبيينها لوظيفة الرسول بين صحبه، وهو قد قام بها أفضل قيام، وعلَّمهم وربَّاهم أفضل تربية[١]، فلا شكَّ وأنَّ المتربين تحت يده، والمتعلمين بتعاليمه سيكونون أفضل الناس بعده صلى الله عليه وآله.

ولنقرأ معاً هذه الآيات لنرى هل أنَّ في شيء منها إشعاراً ، فضلاً عن التوصيف ، فضلاً عن الدلالة على ما يدعيه هذا الكاتب من تلازم أم لا ؟ قال تعالى ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِم إنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيم﴾[٢] .

وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيينَ رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِين﴾[٣] .

فما ترشد إليه هذه الآيات هو أنَّ اللَّه بعث النبي صلى الله عليه وآله لتعليم الناس ولتزكيتهم وتربيتهم ، فهو بيان للغاية من البعثة ، ولا يختص ذلك بخصوص الصحابة ، فليس فيه مثل ما آدعاه الكاتب من التلازم بين الرسول كمعلِّم والصحابة كمتعلمين ، بتوسط تحقق تلك الغاية فيهم، بل فيها دلالة على عكس مدعاه ومطلوبه، وهو أنَّهم قبل مجيء النبي وقبل تعليمهم كانوا في ظلمات الجهل والضلال، ولكن بعد أن علَّمهم النبي ما ينبغي لهم العلم به، وما ينبغي لهم عمله ؛ هل آهتموا جميعاً لِمَا أمر به صلى الله عليه وآله ؟ وهل اتبعوه ؟ وهل خرجوا من الضلال إلى الهدى بأجمعهم ؟

هذا ما لا تتحدث عنه تلك الآيات ، و من كان له أدنى مسكة من عقل

---

(١) صحبة رسول اللّه صلى الله عليه وآله: ص ٥ ـ ٨.
(٢) البقرة : ١٢٩.
(٣) الجمعة : ٢ .

يتوجه لعدم الملازمة بين أن يكون المعلم كاملاً وبين أن يكون المتعلمون استفادوا مما علَّمهم، والوجدان قائم على ذلك.

وإلا لو تمَّت تلك الملازمة لحكمنا بتزكية كلِّ الأمم والشعوب التي سبقت ملَّتنا، إذ أنَّ الأنبياء - قبل نبيِّناﷺ - قد أرسلوا إلى أقوامهم وعلَّموهم وقاموا بتزكيتهم.

ولكنَّ هذا اللازم واضح البطلان كما لا يخفى.

وعلى هذا، فلا ربط بين ثبوت كل تلك الصفات للنبي ﷺ وبين عدم ثبوتها لمن كان معه من الناس؛ ممَّن قد يتوجه لتعاليمه، وقد لا يتوجَّه لها لعارض أو لمانع، ولو كان المانع هو عدم الرغبة فيها، فقد ورد عن بعضهم اشتغالهم بالصفق في الأسواق، فقد روى البخاري عن أبي هريرة «إنَّ إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإنَّ إخواننا من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم» [١].

وفي أخرى «كان يشغلهم صفق بالأسواق» [٢] وفي ثالثة مثلها [٣] ورابعة كذلك [٤]، وفي خامسة عن أحمد في مسنده [٥]، وفي سابعة «من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق..من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام بها» [٦].

فإمَّا أن تنكر مثل هذه الروايات عن أبي هريرة الراوي لها، وبالتالي

---

(١) صحيح البخاري: كتاب العلم، حديث ١١٥.
(٢) المصدر السابق، كتاب البيوع، حديث ١٩٠٦.
(٣) المصدر السابق، كتاب المزارعة، حديث ٢١٧٩.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنَّة، حديث ٦٨٠٧.
(٥) مسند أحمد، باقي سند المكثرين، حديث ٦٩٧٦.
(٦) المصدر السابق.

يمكن التشكيك في بقيَّة مرويَّاته عن النبي ﷺ [1].

إذن فإمَّا أن ينكروا هذه الروايات ، ويلزم منه أحد أمرين :

١ ـ أن يردوا بعض ما اتفق على صحته، وهو ما وجد في صحيح البخاري ممَّا يرويه هذا الراوي ، ولم يكن معلقاً، وهذا يفتح الباب على مصراعيه للتشكيك والرد لكثير من روايات البخاري .

٢ ـ أن يمنعوا صدور مثل هذه الروايات عن أبي هريرة، وهذا أيضاً يفتح الباب للتشكيك في الكثير من مرويَّات هذا الرجل.

فليس باختيار الكاتب أن يمنع أو أن يُثبت ما شاء له قلمه أو مِقَصُّ رقابته ، وقد اتفق علماؤهم ، وممَّن يعتمد على قوله منهم ، على صحَّة كل ما رواه البخاري في صحيحه ، مما لم يُعَلِّقْهُ ، ووجوب العمل به.

فهو إلزام لهم بما لا مفرَّ منه .

وإمَّا أن يعتقدوا بصدور هذه الروايات ، ويتمُّ الحفاظ على مرويات البخاري ، إلا أنَّها ستكون مبتلاة بهذا الإشكال، وهو انشغال الصحابة عن

---

(١) وفي الواقع ما فتىء أرباب البحث والتحقيق من العامة والخاصة يوماً فيوماً يظهرون المزيد من غوامض حياة هذا الرجل، ولقد بيَّن بعضها قبل ثلاثين عاماً الشيخ محمود أبو رية في كتابه شيخ المضيرة وسبقه السيد عبدالحسين شرف الدين، وتلاهما الكثير ممَّن تتبع أثر هذا الصحابي ، وفي هذه الأيام وصلت بأيدينا رسالة لمؤلف مغربي وهو الدكتور مصطفى بو هندي، واسم الرسالة «أكثر أبوهريرة» شكَّك فيها في ثبوت أصل صحبته للنبي بروايات من قِبَلِهِ نفسه، وأنَّه كان قد سافر إلى طور سيناء للقاء كعب الأحبار فتلا عليه أموراً من التوراة، وهذا يوجب التشكيك فيما يرويه عن النبي خاصة ، وأنَّه كان يهودياً، وكعب الأحبار لم تخرج اليهودية من قلبه كذلك، بشهادة الخليفة الثاني، ولعله أظهر الأسلام ليكيد له، بل ما تكشف عنه كلماته وآثاره، وكلمات أمير المؤمنين وأبي ذرّ وغيرهم من الصحابة حيث يصمونه بابن اليهودية وباليهودي ، وفي هذا أكبر دليل موجب للتشكيك في مرويات هذا الرجل وصاحبه !! خاصة الروايات الإسرائيليَّة .

النبي وعن تعاليمه .

فيثبت مدَّعانا من عدم توجههم الكامل لتعاليم النبي (١).

وكذا يلزم عليهم ما ندعيه في المقام من عدم الملازمة بين ما بُعث لأجله النبي، وما أدَّاه من وظيفة، وبين التزامهم بتعاليمه ﷺ، فيثبت مدَّعانا من عدم التزام الكثير منهم بتعاليمه ، بل عدم مداومة حضورهم عنده للتعلم والإستفادة من علمه ﷺ والأخذ عنه ﷺ .

ثمَّ ما الذي يقصده من قوله «**نصوص صريحة**»، فأي صراحة فيها ؟ وليس من حجَّة عند العقلاء إلا النصوصيَّة أو الظهور، والفرض أنَّها ليست نصَّاً في المدعى كما لا يدعيه هو، فإنَّ النص ما لا يقبل التأويل، ولا ظهور أيضاً فإنَّ الظاهر منها ما ذكرناه آنفاً، وما عداه يحتاج إلى قرينة معينة وأخرى صارفة عن غيره وأنَّى له هذا !!؟ إن كان يتكلم على طريقة العرف في محاوراتهم !.

النقطة الثانية: بِمَ تَكْمُلُ الصحبة ؟

لقد ادعى بأنَّ من كمال نعم اللَّه على نبيِّه أن اختار له خير الأصحاب فهماً ورجولة وشجاعة....إلى آخر ما ذكر.

وهذا أمر مسلَّم في الجملة ولكن..لنا معه في ذلك عدَّة مواقف:

الموقف الأول : أيهما يُكمِل الآخر: النبي بصحبه أم الصحابة بالنبي؟

لا شكَّ أنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ لما اصطفى نبيه لم يستشر أحداً في ذلك وهذا معلوم لكل أحد، وحينما أرسله فإنَّما أرسله إلى الناس كافَّة، ولكنَّ التبليغ

(١) سيأتي في ما بعد ما يشير إلى هذا من فعل بعض الصحابة ؛ بل جُلُّهم ، وكفانا أن نتوجه لما يمكن وروده عليهم من النقص في ما لو أسقطوا مرويات أبي هريرة فقط عن البخاري، فهي بما يساوي ٢٦ ٪ من كل رواياته.

والأنذار كان أولاً لقومه ، ثمَّ شيئاً فشيئاً تدرجت الدعوة حتى عمَّت الخافقين، ولم يكن قبول دعوته من قِبَل الناس شرطاً في صحَّة تلك الدعوة، بحيث إنَّه لو لم يقبل أحدٌ منهم دعوته لزم بطلان نبوته، وهذا مسلم أيضاً، إذن فالنبي نبي ورسول من اللّه عزَّ وجلَّ سواء قبلوا أم رفضوا، فهو نبي بالحق قد جاء من عند الحق شاؤا أم أبوا ، اتبعوه أم خذلوه .

ثمَّ إنَّ دعوته لهم إنَّما كانت لرفع جهالتهم ودحض باطلهم وضلالهم، فهم الذين كانوا محتاجين لدعوته، وبمجيئه لهم تتم النعم عليهم وتكمل معارفهم، فهم أهل الحاجة للتكميل بالتصديق بنبوته[١].

ولكن..هل صدَّقوا أم كذَّبوا ؟ هذا ما لا يفصح عنه الكاتب مخافة انكشاف بعض تلك الصفحات المظلمة من تاريخ مَنْ نسب أو ادعى لهم الصحبة، ومن والاهم ليس إلا .

الموقف الثاني : هل كان الصحابة خير الناس فهماً للنبي؟

ما يتعلق بدعواه أنَّهم خير الأصحاب فَهْمَاً فهذا ما تكذبه الروايات المتناثرة هنا وهناك في صحاحهم وغيرها، وهاهو الخليفة الثاني يقول: «ندمتُ على أمورٍ لم أسأل عنها رسول اللّه قبل وفاته...ومنها أنَّه مات رسول اللّه ولم أسأله عن قوله تعالى ﴿ **وفاكهةٍ وأبّا**﴾[٢] [٣]، وكفى بهذا

(١) فأقرأ قوله تعالى ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فإنَّ خطاب إكمال الدين وإتمام النعمة متوجه للناس.

(٢) عبس : ٣٢.

(٣) بل الأمر مشترك مع الخليفة الأول أيضاً، ولكنَّ يد التحريف من البخاري أبت عن نسبة الجهل لخلفائه فحذف صدر الحديث واكتفى بذيله وهو نُهينا عن التكلف، أو نهانا النبي عن التكلف، وهو ممَّا يُشَمُّ منه رائحة النحت ، علاوة على الروايات

مثالاً للفهم الكامل عند هذا المؤلف، وإلا فالشواهد كثيرة .

وأمَّا الرجولة فهل يقصد أنَّهم كانوا أصحاب كلمة نافذة ؟ وهذا المعنى الكنائي المراد منها، أم يقصد أنَّهم كانوا أصحاب مواقف عظيمة في الحق، فهذا لا ينكره أحدٌ لكنَّه في بعضهم لا مطلقاً، وكذا الكلام في صفة الشجاعة، وقد كان المبرَّز فيها أمير المؤمنين عليه السلام بل إنَّ أمر شجاعته ممَّا ثبت بالتواتر المعنوي.

ولكنَّ كل الذي ساقه المؤلف غاية ما يثبت أنَّ بعض صحابة الرسول كانوا أهل فهم ورجولة وشجاعة ؛ ثمَّ ماذا ؟ وهل يتصور منه أن يثبت به أنَّ كل صحابة النبي وهم بما ينيف على الآلاف كانوا كذلك !!؟ إنَّ هذا لممَّا يُضحك الثكلى ! .

الموقف الثالث : الناس معادن...

ما رام إثبات مدعاه من خلاله وهو قول النبي ﷺ «الناس معادن فخيارهم في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»[1]، فبالإضافة

الكثيرة التي يرويها أرباب الصحاح من الأمر بالتفقه في الدين وأنَّ من أراد اللَّه به خيراً فقَّهه في الدين، بل بعضها عن الخليفة الثاني نفسة، فتأمل ! إذ أي تكلف في معرفة تفسير القرآن ومعاني الظاهر منه ، فانظر فتح الباري: ١٣ / ٢٣٠ ، عمدة القاري: ١١ / ٤٦٨، إرشاد الساري: ١٠ / ٢٩٨ ، المستدرك: ٢ / ٥١٤ وصحَّحه، تفسير ابن كثير: ٤ / ٤٧٣ وصحَّحه .

(١) صحيح البخاري: ٦ / ٢٩٨ ومسلم برقم ٢٥٢٦ باب خيار الناس، إذ أنَّ آفة هذا الحديث هو انتهاء جلِّ بل كلِّ طرقه لأبي هريرة ، وفيه ما فيه، علاوة على وجود حرملة بن يحيى الذي يروي عنه مسلم كثيراً وقد قال عنه أبو حاتم: يُكتَب حديثه ولا يحتج به، وقال عنه ابن عدي سألت عنه عبداللَّه بن محمد الفرهاذاني فقال ضعيف، ولم يجوز أحمد بن صالح الرواية عنه ، وأمَّا من جهة المتن ففي تتمته «..وخير الناس في هذا الأمر أكرههم له قبل أن يقع فيه...» ولعل في هذا إرادة المدح والتقرب من قبل أبي هريرة إلى بعضهم ممَّن كان شديداً على الدين قبل تظاهره بالإسلام،

للمناقشة في سند هذه الرواية، فإنَّ المناقشة في دلالتها واضحة، بل حتى لو تمَّت دلالتها فغاية ما تثبته هو أنَّ التفقه في الدين مع كون الرجل من أهل الخير في الجاهليَّة فهو كذلك في الإسلام بشرط التفقه في الدين، وهذا أجنبي عمَّا يروم إثباته إطلاقاً.

وعجبي لا ينقضي من مثل هذا الكاتب فإنَّ كل استدلالاته بهذه الصورة، فهو يتوهم أو يتقصد هذا النحو من الكلام بأن يذكر الوصف المطلوب تحققه من الصحابة، ومن ثمَّ يدعي ثبوته فيهم كلِّهم ، وكأنَّه أمر مسلَّم الثبوت، وممَّا لا يقبل النقاش أو الإنكار.

أخي الكاتب.. وأنت يا أخي القارىء.. ثبِّت العرش ثمَّ النقش ، فلو قال لك شخص إنَّ في الطريق مَن اسمه زيد، فإنَّ ذلك لا يُثبِت أنَّ كلَّ مَن في الطريق ، أو الذي دخل دارك اسمه زيد !!؟

الموقف الرابع : بين رسالة النبي..وما فعله الصحابة

إنَّ الإنسان العاقل يسير بقدر ما يسير به الدليل مرشداً لطريقه ، فأنَّى يوجهه يختار، ولا ينبغي له أن يوجه هو الدليل ويُكيِّفُه ويُطوِّعه كما يشاء، فإنَّ هذا هو الانحياز ، وعدم الحياد العلمي بأن تجعل الدليل طوع هواك وطبق رؤاك، وهو أمر ممقوت من كل أحد، ولذا نقول : قد صحَّت الآيات بأنَّ الرسول جاء لتزكية المدعوِّين ولتعليمهم وتربيتهم، وقد فعل ما كُلِّف به وأدَّى ما حُمِّل ، ولكن وردت روايات تاريخيَّة موثقة أو أحاديث مصححة ممَّن لا يمكن الطعن عليه فيها، وهي تثبت أنَّه قد صدر من بعض أولئك الصحابة ما يخالف تلك التربية التي أداها النبي ﷺ ، بل ما يخالف

وقبل كل ذلك في بعض الصحاح «رفعه أبو هريرة إلى النبي..» فتدبر !

الدين كلاً، والعقل السليم، فيلزم أحد أمرين:

إمَّا أن نقول ـ والعياذ باللّه ـ إنَّ الرسول قد علَّمهم وربّاهم على ذلك الأمر المشين. وهذا هو الكفر بعينه، كما هو بعيد عن ساحة قدسه ﷺ.

وإمَّا أن نقول بأنَّ ما صدر منهم إنَّما هو من فعلهم الخاص بهم، والذي لم ينصّ عليه النبي ﷺ، بل لا يرتضيه، وهو مخالف لما أراده ﷺ[1]، ولا شكَّ أن لازم القول الأول رمي النبي بالنقص ونسبة عدم حسن تبليغ الرسالة إليه، وهذا ينافي الآيات والروايات المثبتة لعصمته ﷺ وأنّه لم يقصر في التبليغ، بينما لا مانع من الالتزام بالقول الثاني، إذ ليس فيه نسبة طعن لساحته ﷺ، وليس فيه إلا إثبات ما يمكن أن يصدر من أي فرد غير معصوم قابل لصدور الخطأ منه[2].

إن قلتَ: يمكن لنا أن نختار شقاً ثالثاً وهو تكذيب تلك الروايات.

قلتُ: مضافاً إلى كثرة تلك الروايات بحيث لا يمكن تكذيبها كلها، فإنَّ الموجب لتكذيب الخبر ما هو؟

إنَّ الموجب لتكذيبه: إمَّا مخالفته لضروري النقل أو ضروري العقل، وإمَّا وجود ما ينهض بمعارضته من النصوص الأخر، ولا يخفى أنَّ فيما

---

(١) ولذا فقد ذكروا في بعض قضايا خالد بن الوليد قتله عامر بن الأضبط بعد إظهاره الإسلام والسلام، وغضب النبي لذلك وقال اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد ـ قالها ثلاثاً ـ وسيأتي ذكر مصادرها.

(٢) والمشكلة الكبرى التي يعيشها الكاتب وأمثاله هو أنّهم قد ولدوا ودرجوا على هذه الهالة القدسيَّة لمن صَاحَبَ النبي أو عاش معه في زمانه أو روى عنه، وكأنَّ تلك الأمور توجب العصمة لهم، وابتنت عقولهم على ذلك لأجيال متتالية ومترامية الأطراف والأشخاص، ولمسافات فكرية معمقة من قبل الأيدي الخبيثة المغرضة التي ما فتئت تعبث بالتاريخ والحديث والسيرة إرضاءاً لأيدي غريبة عن الدين، واللّه المستعان، ولا حول ولا قوّة إلا باللّه العلي العظيم.

ينقل من وقائع وقعت أو حوادث صدرت من بعض الصحابة، والالتزام بذلك فيها ليس فيه خلاف لضروريٍ من عقل أو نقل، كما ليس فيها روايات أخرى معارضة لها حتى يلزم تساقطهما، والفرض عدم وجود آية تثبت العصمة لهم جميعاً حتى يصار إلى تأويل تلك الروايات مهما أمكن.

كما أنَّ الروايات قد وردت لنا من قبل أشخاص لا يمكن الطعن عليهم كما لو كانت في الصحيحين أو المسانيد الأخرى بشرط الشيخين ، وهكذا في كل رواية، ولو كانت من كتاب غير تلك الكتب، وكانت جامعة لشرائط صحَّة الخبر.

ولو ٱلتزم بسقوطها للزم التخلي عن كل علم الحديث والرجال، وبالتالي يجوز لهم أخذ كل حديث دون البحث في سنده أصلاً، وهو كما ترى ! .

الموقف الخامس : شكر المنعم واجب..فهل أدوا حقه ؟

لا يمانع أحدٌ ، بل ممَّا لا يُنكَر أنَّ تلك الرسالة المحمديَّة، وذاك الهدي النبوي الشريف هو نعمة عظيمة بل هي من أعظم النعم على الصحابة بل على الأمَّة جمعاء، وكما قال تعالى في آخر الآية المذكورة ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤتِيهِ مَنْ يَشَاء**﴾[١]، ولكنَّ السؤال الذي يبقى بلا إجابة بعدُ : هل أدوا حقَّ تلك النعمة ؟ وهل شكروا للّه ذلك الفضل الذي هم فيه ؟ فقد قال تعالى ﴿**قُلْ لاَ أَسْأَلُكُم عَلَيْهِ أَجْرَاً إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾[٢]، فهل تودَّدوا لذوي القربى أو عَادَوْهُم ؟ وقد كان هذا أمراً يسيراً في مقابل تلك النعمة العظيمة

(١) المائدة : ٥٤ .
(٢) الشورى : ٢٣ .

والفضل الإلهي الكبير، والذي لم يؤدوه كما ينبغي ، وقد دلَّت على ذلك الروايات الكثيرة في الصحاح وغيرها .

الموقف السادس : بين المدعي والمنكر

قد قالوا في فقه القضاء: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر» .

وقد ادَّعى الكاتب أنَّ هناك ملازمة بين المحبَّة للرسول والاعتقاد بأنَّه أدى الأمانة، وبين تعديل الصحابة الذين أخذوا عنه الحديث وعاش بين أظهرهم، وأنَّ الطعن فيهم طعن في إمامهم وقائدهم، فما هي بينته على ذلك !؟ ففي كل ما عرضه لم يأتِ لنا بدليل على ما ادَّعى ، لا شكَّ إذن أنَّه يرسل الكلمات جزافاً .

فإذا تبيَّن للمنصف العاقل أن لا بينة للمدعي ، ظهر له أن لا ملازمة بين الأمرين قط ، بل قد يجتمعان في واحد ويفترقان في آخر، والتاريخ وتراجم الرجال فيها من الشواهد ما تُملأ به الصفحات .

النقطة الثالثة : المضاف والمنسوب من الذم والمدح

وفيها عدَّة إشارات مع هذا الكاتب:

الإشارة الأولى : وَتَرُ الصحبة..والتعلم من النبي

لقد حاول ثانية أن يضرب على وتر الصحبة والملازمة بين المعلم والمتعلم ؛ فادعى بأنَّ وِزَانَ الرسول مع صحبه وِزَان رئيس القوميَّة أو الدولة مع أعوانه والمقربين منه فيما لو جاء شخص يدعي انتسابه إليهم، ولكن يطعن في المقربين من الرئيس ويصفهم بالخونة، فلاشكَّ أنَّ هذا الرئيس سيغضب لذلك ولن يرضى أن يوصف المقربون منه بتلك الصفات، وهنا عدَّة أمور:

الأول : لقد قاس الرسول الأعظم بمقياسه الصغير على أنّه رئيس قوميّة أو دولة، ولكنَّ هذا القياس مع الفارق ؛ لأنَّ رئيس الدولة هو الذي اختار بطانته وقرَّبهم وجعلهم مختصين بـه ، بـينما لم يـجعل الرسـول جـميع صحابته من المقربِّين له، بل كلامك أخذ للدعوى في الدليل في الواقع ، وهو مصادرة على المطلوب .

علاوةً على تفرع ما ذكره عن عقيدته القاصرة في النبيﷺ بأنّه قابل للخطأ ، ولذا صحَّ له مثل هذا القياس، والحق عندنا عدم صحَّة ذلك ، بل الأدلة العقليَّة والنقليَّة قائمة على بطلان ذلك، وهي قائمةٌ على أنّـه ﷺ معصوم عن الخطأ في كل شيء وكفانا دلالةً قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

الثاني : لو اكتشف أحد الرعيَّة خيانةً من مقربي الرئـيس ونسـبها إلى الرئيس أو كانت سوف تحسب عليه بما سيشوِّه سمعته عند الملأ، فـلا شكَّ أنَّ كشف هذه الخيانة وتبرئة الرئيس منها ليست ممَّا يغضب الرئيس، بل هي ممَّا يُسرُّه!!؟

الثـالث : قد جعل اعتبار الرسول لصحبه ولقربهم منه كـاعتبار رئـيس البلد أو القوميَّة لذلك، وهذا لو سلَّمناه في حد ذاته[2] ، لم نسلِّم صدوره من النبي ﷺ بنحو عام، فلنا أن نسأله : هـل كـان اعـتبار الرسـول لكـل الصحابة أو لبعضٍ منهم ؟ وهم خصوص من كان يرى فـيهم الاخـلاص والتقوى والامتثال لأوامـره والانـتهاء عـن نـواهـيه ؟ لا أشك فـي عـدم

---

(١) النجم : ٤ ـ ٥ .

(٢) وإن كان من حيثيات أخرى قد يوجب منقصة في النبي، وذلك لكـماله ﷺ ونقصهم ، ولعصمته وقابليتهم للخطأ .

اختيارك للشق الأول وترجيحك للشق الثاني ، وإلا فتعالَ لنقرأ تاريخ الصحابة واحداً واحداً، وَلْنُرِي العَالَمَ أَجْمَع كيف أنَّ بعض من تسمِّيهم بالصحابة كانوا على شك من الرسول في إخباراته[١]، وفي أوامره ونواهيه[٢]، بل حاول البعض منهم التعرض لقتل النبي حين دحرجوا عليه الدباب[٣]، بل لم يقبلوا منه قط تبليغاته المتكررة في ابن عمه وولي أمرهم بعده بلا فصل علي بن أبي طالب[٤].

الرابع : ونسأل الكاتب المعاصر ونخاطب وجدانه : ألم تجلس على مقاعد الدراسة عبر ترقياتك العلميَّة، ووجدت من الطلاب من لم يوافق أستاذه في عرض بعض الأمور أو في القبول بها ؟ بل ألم يكن منك أنت بنفسك مثل هذا الأمر في أن ترفض أو تعارض بعض ما يعرضه أستاذك

---

(١) راجع واقعة صلح الحديبيَّة وقول بعضهم : مالرتبت ارتياباً قبل اليوم، وفي رواية أخرى ما شككتُ مثل اليوم..، وستأتي مصادر هذه القضية ، فانتظر .

(٢) سيأتي منَّا بيان لبعض الموارد التي صدرت منهم وكانت صريحة في الإمتناع عن امتثال أوامر النبي ﷺ ، كما في إحلاله وذبحه الهدي وشكواه أمر أصحابه لزوجه أم سلمة، وكما في «أنحج ورؤوسنا تقطر» صحيح البخاري : ٢ / ٥٩٤ رقم ١٥٦٨ ، وكما في اعتراض البعض عليه في توقيع الصلح مع قريش..و..و .

(٣) وهي قضية العقبة ومرور النبي بها فحاول جماعة من أصحابه قد تآمروا على قتله، وسيأتي ذكر مصادرها .

(٤) وقضية الحارث بن النعمان مشهورة مسطورة في الكتب، حيث أنَّه لما اتصل إليه خبر تنصيب النبي علياً ولياً ومولى للمؤمنين أتى النبي فقال له: أمرتنا بالصلاة فصلينا وبالصوم فصمنا وبالحج فحججنا وبالزكاة فزكينا أموالنا، ولم تكتف بذلك حتى نصبت ابن عمك علينا وليّاً، أهو أمر من اللّه أم من عندك ؟ قال ﷺ بل هو من عند اللّه ، فخرج وهو يقول اللهم إن كان من عندك فأنزل علينا حجارة من السماء فذهب نحو دابته ليركبها فما أتم ركوبه حتى نزلت عليه حجارة من السماء فوقعت على رأسه وخرجت من دبره فمات من حينه» فراجع تفسير قوله تعالى **﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾**

ومعلمك من أمور سواء في مادة البحث أو في منهجه ؟ بل حتى ولو لم تبدِ هذا المعنى لأستاذك حينئذٍ لكن ألم يكن في قلبك شيءٌ منه ؟

كل هذا وكلاكما غير معصوم عن الخطأ في اللسان ولا في الجَنَان ولا في الاعتقاد ، ولكنَّ الفارق بينكم وبين الصحابة ـ مع أنَّهم كانوا كذلك غير معصومين ـ أنَّ معلمهم كان معصوماً بإجماع المسلمين وضرورة العقل والنقل، وأنَّهم رأوا النبي ﷺ دونكم ، وإلى هنا نصل إلى نتيجة وهي :

أنَّ غير المعصوم قابل للخطأ ولكنَّ المعصوم لا نتصور تحقق أو صدور الخطأ منه، وأنَّ الاشتباه منِّي ومن غيري ولو كان هذا الغير هو من الصحابة يمكن تحققه وصدوره، وأنَّ الاختلاف مع المعلِّم يمكن صدوره أيضاً، ولكنَّ الأمر المهم والمتبقي هنا هو أنَّ الإختلاف مع المعلم أمر طبيعي لو كان غير معصوم وقابلاً للخطأ، لأنَّه بشر مثلي، ولكنَّ اختلاف الصحابة مع نبيهم ومعلمهم أليس قبيحاً ؟ وعدم انصياعهم لأوامر نبيهم أليس قبيحاً ؟ بل ألم يكن عدم اعتقادهم بما يقول فضيعاً منهم وأمراً شنيعاً ؟

لا تقل لي كل ذلك لم يصدر، وأنَّ كل ما ذكره المؤرخون محض أساطير وأكاذيب لفَّقوها.

فإنَّ ما أستندُ إليه في دعواي هذه ليس تلك الكتب التاريخيَّة ؛ بل هي روايات الصحاح والأسانيد، فإنَّ مقتضى قواعد البحث العلمي أن تكون ممَّن يتبع الدليل لا ممَّن يُطَوِّع الدليل كما يشاء، أو يقبل منه ما يوافق هواه ويرفض ما يخالفه.

والمصادر موجودة بين يديك ، وليس عليك إلا الخلوة بنفسك متأملاً في الروايات متصفحاً لكتب التأريخ.

ولا تقل إنَّ تلك الكتب كلها أساطير، فتكذب كل ما لا يوافق رأيك .

وياترى : هل يبقى لك كتاب تعتمد عليه لو رددتَ كل ما خالف هواك؟

الإشارة الثانية : الذم والمدح إذا اجتمعا..

وأمَّا ما تعرضتَ له من أنَّ ذمهم يسقط مباشرة وبلا تأنٍ، وذلك في مقابل مدح رئيس الدولة أو القوميَّة لهم، وفي مقابل كل من يذمهم.

فأين قد صحَّ عن النبي الأكرم أنَّه مدحهم ؟ ثمَّ لو ثبت صدور المدح فيهم ـ بناءً على تماميَّة سندها ودلالتها ـ فهو لا يتعدى عدد الأصابع .

وأيضاً لو صدر عنه مدح لبعض الصحابة، حتى ما كان بعنوان الصحابة فلابدَّ من صرفه إلى خصوص الذين اتبعوه بإحسان وأحسنوا الصحبة، وبذلوا أنفسهم دونه، لا كل من تحقق أنَّه صحب النبي بالمعنى الذي ذكرته أوَّل الرسالة، وهو من آمن بالنبي وصحبه ولو لفترة من الزمن ومات على ذلك .

فما العبرة فيمن آمن بالنبي وصحبه مدَّة حياته أو مدَّة حياة النبيﷺ لا حبَّاً في الإسلام وإنَّما لسلطان النبيﷺ أو لوجاهة بين الناس ، وما أكثر أغراض الناس واختلاف أهدافهم وغاياتهم في التقرب من الرؤساء ، هذا أولاً .

وثانياً : لو فرضنا صحَّة مدح النبي للصحابة فقد ثبت عندنا ورود ذمٍّ لبعضهم أو لبعض الصفات الموجودة فيهم، و ثبت عندنا من روايات بطريق صحيح غضب النبي على بعضهم، وعدم رضاه عنهم أو تبرؤه مما عملوا، و ثبت من بعض الروايات أنَّه قد صدر منهم بعد وفاته ﷺ ما لا يُرضيه لو كان حياً بين أظهرهم.

فطريق الجمع بين الأمرين أن نخصص المدح الوارد في الصحابة بمن لم يصدر منه ما يشين الصحبة ويباعدها عنه .

لا أن نردَّ كل تلك الروايات الواردة في حقٍّ بعضهم ممَّا ينافي روايات المدح ، ولنضرب لك مثلاً لعلك تتوجه لما نقول:

لو قال الأب لشخصٍ : أبنائي محبوبون ، وفي خطاب آخر قال: السارق لمالي ليس محبوباً لي مطلقاً كائناً من كان ، ثمَّ توجهت لما يُثبِت ـ بالبيِّنة الشرعيَّة ـ أنَّ بعض أبنائه قد سرق ماله.

فهل تقول بأنَّه يجب رد هذه البيِّنة ، بما ورد من المدح فيهم من قِبَلِ أبيهم ؟

أو تقبل المدح الصادر منه مع إخراج من ثَبَت عليه أنَّه قد سرق عن عموم ذلك المدح ولو كان ابناً له ؟؟

لا شكَّ أنَّ العقلاء يرون أنَّ الثاني أخص من الأولِ فيخصصون المدح ويبقونه على حاله فيمن لم تثبت عليه السرقة منهم .

الإشارة الثالثة : من هو المعيب ؟ مواقف مقرحة للقلوب

لو دار ثبوت العيب بين ثبوته للمعلِّم أو للتلاميذ أو للناقد لهم، فهنا نُعمِل القواعد العلميَّة المستندة للعقل السليم.

فنرى أنَّ المعلِّم فيما لو كان معصوماً وقد بذل جهده في التعليم والتربية والتزكية لهم فهو خارج عن عنوان ثبوت العيب فيه.

وأمَّا التلاميذ فهل تعلَّموا كلَّ ما علَّمهم ؟ وهل وعوا وعملوا بكل ما تعلَّموا ؟ أم تخلَّف العالم منهم عن العمل ؟ إنَّ هذا ما تهدينا إليه بعض الآيات والروايات الواردة في الصحاح ، حيث تثبت عدم انصياعهم لكل

ما قاله معلِّمهم وقائدهم.

١ ـ فاقرأ معي هذه الآية ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِم وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾[1]

فقد نزلت في بعضهم يوم غدير خمٍّ لما رأوا النبي صلى الله عليه وآله رافعاً بيد علي قالوا «انظروا إلى عينيه كأنَّهما عينا مجنون» ، وقيل هو الجُلاَس بن عبيد، أو سويد ، ولكنَّه تاب بعد ذلك عمَّا قال[2] .

٢ ـ واقرأ معي أيضاً قوله تعالى ﴿وَيَقُولُ الذِّينَ آمَنُوا لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَت سُورَةٌ مُحكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ رَأَيْتَ الذِّينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِن المَوْتِ فَأَوْلَى لَهُم﴾[3] فالذين في قلوبهم مرض هم من الذين آمنوا، ومن الصحابة، لأنَّ المفروض أنَّهم آمنوا وهم مع النبي صلى الله عليه وآله .

ثمَّ أَكْمِلْ تلاوة السورة معي ، وَقِفْ عند قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الذِّينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ أنْ لَنْ يُخرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَانَهُم * وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَٰكَهُم فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُم وَلَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ القَوْلِ..﴾[4].

وآقرأ قوله تعالى: ﴿مَالَكُم إِذَا قِيلَ لَكُم ٱنفِرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُم فِي الأَرْض﴾[5] فمن الذي تثاقل عن النفور للجهاد غير الصحابة من الكفَّار والمشركين ؟ هل هم المؤمنون أم غيرهم ؟

٣ ـ وآقرأ معي ثالثة قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً ٱنفَضُوا إِلَيْهَا

---

(١) التوبة : ٧٤.
(٢) سيأتي مصدرها لاحقاً.
(٣) محمد : ٢٠.
(٤) محمد : ٢٩ ـ ٣٠.
(٥) التوبة : ٣٨.

﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[١] ففي البخاري[٢]: أقبلت عيرٌ يوم الجمعة ونحن مع النبي صلى اللّه عليه (وآله) وسلم فثار الناس إلا اثني عشر رجلاً فأنزل اللّه وإذا رأوا تجارةً...»[٣].

وأمّا في الروايات ففيها الكثير ممّا يُثبت عدم انصياعهم لأوامره ﷺ.

فمنها: ما ذكره البخاري في صحيحه من أنّه لمّا تمَّ صلح الحديبيَّة وهمَّ الرسول بالإحلال بالهدي أمر أصحابه بالذبح فلم يقم منهم أحدٌ فأمرهم ثانية وثالثة، فلم يستجيبوا، فدخل إلى خيمة أم سلمة، وآشتكى إليها أصحابه، فقالت له لا عليك منهم آخرج واذبح الهدي، فلما خرج وذبح هديه قاموا متثاقلين الواحد والإثنين»[٤].

بل فيها «جاء عمر للنبي وقال له: أو لستَ نبي اللّه حقاً قال بلى.

قال: أو لسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال بلى.

قال: إذن؛ فلم نعطي الدنيَّة في ديننا؟ قال: إني رسول اللّه، ولستُ أعصيه وهو ناصري، أو قلتُ لك تحج البيتَ العامَ؟ قال: لا، فرجع ولقي أبابكر فقال له ما قال للنبي فأجابه بما أجابه، فرجع عنهما، وهو يقول

---

(١) الجمعة: ١١.

(٢) صحيح البخاري: ٤ / ١٨٥٩ برقم ٤٦١٦.

(٣) وفي تفسير الكشاف ٤ / ٥٣٦ ـ ٥٣٧: قيل بقي معه ثمانية، وأحدعشر، واثنا عشر، وأربعون، فقال عليه السلام «والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادي ناراً، وفي هامش التفسير...وأصل هذه القصة في الصحيحين من رواية حصين عن سالم..وفي لفظ مسلم «منهم أبوبكر وعمر» وفي رواية «وأنا فيهم»، أقول: فهل يمكن بعد هذا أن نحكم على كل الصحابة بأنّهم عدول ولا يمكن التعرض لهم بالنقد والتجريح وقد آذوا النبي وتركوه قائماً ؟؟ والغريب من بعضهم تعليله فعلهم بأنَّ وقتئذٍ لم يكن الإستماع للخطبة واجباً، فاسمع وآعجب !!.

(٤) صحيح البخاري: ٢ / ٩٧٨، صحيح مسلم: ٣ / ١٤١١

فعملتُ لذلك أعمالاً»[١].

ومنها : في حجَّة الوداع لمَّا أمرهم بالإحلال ثمَّ الإحـرام للـحج جـاءه بعضهم، وقال يارسول اللّه ننطلق إلى منى ورؤوسنا تقطر..!؟»[٢].

ومنها : ما في صحيح مسلم[٣] من ظهور ضيق صدور الصحابة من أوامر النبي ﷺ: أهللنا مع رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالحج فلما قدمنا مكة أمرنا أن نحلَّ ونجعلها عمرةً، فكبر ذلك علينا وضاقت به صدورنا... .

وفي لفظ الطبراني في المعجم الكبير[٤]: حتى إذا كان يوم التروية أمرنا فأهللنا بالحج، فقال بعضنا لبعض خرجنا من أرضنا حتى إذا لم يكن بيننا وبين منى إلا أربع نخرج ومذاكيرنا تقطر منيّاً !؟.

فبلغ ذلك رسول اللّه فقال: أتتهموني وأنا أمـين أهـل السـماء وأهـل الأرض !؟.

ومنها : اعتراضهم وطعنهم في تأمير النـبي ﷺ أسـامة بـن زيـد عـلى الجيش، وفيه: فطعن بعض الناس في إمرته، فقام رسول اللّه فقال: إنكم تطعنون في إمرته كما كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل..»[٥]

(١) وفي المصدر هكذا: قال الزهري: قال عمر فعملت لذلك أعمالاً .
(٢) صحيح البخاري : ٢ / ٥٩٤ رقم ١٥٦٨ .
(٣) صحيح مسلم : ٢ / ٨٨٤ برقم ١٢١٦ ، ونفس الحديث بلفظ البخاري: ٢ / ٥٩٤: نطلق ورؤسنا تقطر ، وبلفظ أحمد ٤ / ٢٨٦ و مسند أبي يعلى ٣ / ٢٣٣ : فـقال الناس يارسول اللّه قد أحرمنا بالحج فكيف نجعلها عمرة قال انظروا ما آمركم فافعلوا فردوا عليه القول فغضب ثم انطلق حتى دخل على عائشة غضبان فرأت الغضب في وجهه، فقالت: مَن أغضبكَ ؟ أغضبه اللّه ، قال: وما لي لا أغضب وأنا آمر بالآمر فلا أتبع !!
(٤) المعجم الكبير : ٧ / ١٢٧ .
(٥) صحيح البخاري : ٦ / ٢٤٤٤ ، صحيح مسلم : ٤ / ١٨٨٤ .

ومنها : ما صدر من عمر من منع النبي ﷺ وهو في أيامه الأخيرة أن يكتب كتاباً للهداية لا يضلُّ الناس بعده أبداً، فقال عمر : إنَّ النبي قد غلبه الوجع وعندنا كتاب اللَّه فاختلفوا، وكثر اللغط، قال قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع..» (١).

وهذا غيض من فيض، وإنَّما ذكرنا هذه الموارد دفعاً لتغرير الكاتب بعدم مخالفتهم لتعاليم النبي ﷺ كأستاذٍ لهم ومعلِّم .

وإلا فهي واضحة للعيان ولا تحتاج إلى برهان ، وقانا اللَّه سوء المنقلب

وأما في رجوع العيب للطاعن وأنَّه يرجع طعنه فيهم للطعن في المعلِّم فهذا كلام مرفوض جملةً وتفصيلاً، فإنَّ الناقد البصير فيما لو استند إلى مقدمات علميَّة تامة واعتمد على أدلة معتبرة عند الخصم فنقده يكون نقداً قد صدر من أهله ووقع في محله، ولا يلزم من ذلك رجوع الطعن للمعلِّم، وذلك لفرض التفكيك بين المعلِّم وما جهد من تعليمهم، وبين التلاميذ الذي لم يحسنوا الوفاء للمعلم...!!

هذا مع اعتبار حسن الصحبة والاحترام والتقدير لمن وَفَى منهم، وثبت حسن صحبته له ﷺ حتى انتقل إلى جوار ربه .

الإشارة الرابعة : من عاش المواقف الحرجة مع النبي؟

تفاخره بما فعل من ادَّعى لهم حسن الصحبة بأنَّهم ممَّن وقفوا مع الرسول الأكرم في حروبه حتى بلغت القلوب الحناجر ولم يتخلوا عنه ، يلحظون مجالسه وأنفاسه نفساً بنفس ويتدافعون على فاضل ماء وضوئه..الخ .

---

(١) صحيح البخاري : ١ / ٥٤ برقم ١١٤ .

ولقد قرب ـ هذا الكاتب ـ من نقل الحقيقة ، فالحمد للّه على الصحوة بعد الغفلة ، ولنسأل الكاتب : في أي معركة هجم الكفارُ على المسلمين فثبتوا غير جماعة مخصوصة ، ففي بدر لمَّا حملوا على النبي حينها نادى رسول اللّهﷺ بعليعليه السلام ليدفع المقاتِلَةَ من الكفار عنه.

فارجع للنصوص تجد أنَّها تبين من هم ؟

وهل سمعت في معركة من معارك النبي عنهم بشجاعة أو بسالة إلا ما استثني ؟ وهل كانوا كلهم معروفين بالمبارزة والقتال ، بل هل كان منهم نزالٌ قط ؟؟

وهاك مثلاً من معركة أُحُد لمَّا نزل الرماة عن جبل أُحُد ظناً بالنصر وانتهاء المعركة ومسارعة للغنائم، فَكَرَّ عليهم الكفار وفرَّ المسلمون فمن بقي مع النبي يقيه بنفسه وبسيفه ؟؟

وأينك عن غزوة حنين التي تحدث عنها القرآن إذ أعجبتهم كثرتهم، ولمَّا باغتهم المشركون فرُّوا جميعاً، والعباس ينادي خلفهم: ياأهل بيعة الشجرة يا أهل سورة البقرة !!.

وهلمَّ جرَّاً...

وهكذا في غزوة الأحزاب : من الذي برز لمقابلة عمرو بن عبد ودّ ذاك البطل الذي كان يعد بألف فارس ؟

فقد برز له أمير المؤمنين عليه السلام وتنازلا القتال، وما انجلت الغبرة إلا وعليعليه السلام قد رقى صدر عمرو واحتز رأسه ، وبعد أن احتز رأسه كبَّر المسلمون وانهزم المشركون[1].

---

(١) سيأتي ذكر مصادرها حين الكلام في غزواتهﷺ.

ولقد قال رسول اللّه ﷺ في غزوة الخندق «إنَّ ضربة على لعمرو أفضل من عمل الثقلين أو ـ عبادة الثقلين ـ»[١].

وكذا في خيبر فقد خرج أولاً أبوبكر ولكنَّه سرعان ما رجع يُجبِّن أصحابه، ثمَّ أعقبه عمر بن الخطاب ولم يزد على نظيره بأن رجع يُجَبِّن أصحابه وأصحابه يُجبِّنُونه، فقال رسول اللّه ﷺ «لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحب اللّه ورسوله ويحبه اللّه ورسوله كرَّاراً غير فرَّار»[٢].

ولا يخفى ما في تلك الكلمات من تعريض بمن عداه ممَّن فرَّ أو هو كثير الفرار عن الأبطال[٣]، وكان ما أراد اللّه ورسوله من الفتح المبين لهم على يدي أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمَّا مداومتهم على مجالسه وكثرة مجالسته:

فهذا ليس لكلِّهم وجميعهم، وإلا فهو ممَّا يكذبه التاريخ وتكذبه الكثير من أحوالهم، ففيهم مَن قد كانوا أصحاب أغراض.

فالبعض منهم كان لا يفارق المسجد لأجل لقمة طعام لعلَّها تصل بيد الرسول ﷺ فيلقمها إياه[٤].

---

(١) المستدرك للحاكم : ٣ / ٣٢ ، تاريخ بغداد : ٣ / ١٩ ، مناقب أخطب خوارزم: ١٠٤ ، المغازي للواقدي : ٢ / ٤٧٠ ـ ٤٧١ ، نهاية العقول للرازي: ١٠٤، ومصادر أخرى كثيرة، بل كل من تعرض للمعركة ذكر هذا إلا من أعمى الله بصيرته فلم يبصر الطريق إلى علي عليه السلام .

(٢) مسند أحمد : ١ / ١٥٨ ، ٢٨٤ ، ٣٥٨ ، صحيح البخاري : ٦ / ٢٩١ ، صحيح مسلم : ٢ / ٣٢٤ مع اختلاف بينها في الألفاظ .

(٣) بل إنَّ نفس ذكر هذه الصفات لشخص في مثل المقام يستفاد منه عدم اتصاف غير من ذكرت له بها كما هو واضح ، إلا أن تقوم قرينة على خلاف ذلك، كالقرينة الموجودة على أنَّ النبي لابدَّ أن يكون أشجع الناس .

(٤) كما ذكر ذلك الصحابي الكبير عندهم أبو هريرة ؛ كما في صحيح البخاري:

ومنهم من شغله الصفق في الأسواق[١]، ومنها ما مرَّ من إشارة الآية القرآنيّة ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾[٢].

وأمَّا ما ذكره من أنَّه ﷺ لم يألُ جهداً في تعليمهم كل خيرٍ ونصحهم في الإبتعاد عن كل شرٍّ وتحذيرهم من سوء عاقبته.

فهذا أمر مسلَّمٌ، ولكنَّ السؤال هو: هل أنَّهم كلَّهم اتبعوا نصيحته ﷺ أم لا ؟ وهل حذروا مما حذَّرهم منه ؟ الشواهد والدلائل تقول خلاف ذلك، وعلى المدعي للاتباع والانصياع والارتداع أن يأتي بالبينة على ذلك، أو يكذب بالدلائل تلك البيِّنات.

وأمَّا الاستدلال لإثبات ذلك بنفس صدور النصح والتحذير من النبي فهذا ضحك على الذقون لا يرتضيه ذو مسكة من عقل سليم .

ونتمنى أن يضيف ما نذكره وذكرناه في الطبعات القادمة من كتابه هذا كما وعد القارىء .

الإشارة الخامسة : بين صحب النبي وصحب الوصي

وأمَّا ما استشهد به من مقاتِلَة أمير المؤمنين الذين انحرفوا عنه وحاربوه فهو لا يخلو من أحد أمرين :

فإمَّا أن يكون كلامه هذا على وزان كلامه في صحابة النبي ﷺ مع النبي ﷺ ، والكلام فيه هو الكلام، لضرورة التفكيك بين المربي والمعلم

كتاب العلم رقم ١١٥ ـ كتاب البيوع رقم ١٩٠٦ ـ كتاب المزارعة رقم ٢١٧٩ ـ كتاب الإعتصام رقم ٦٨٠٧ ، وفي مسلم : كتاب فضائل الصحابة : ٤٥٤٧ .

(١) وقد ورد بألفاظ متقاربة وأكثرها هكذا: إنَّ أخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وإنَّ إخوتي من الانصار كان يشغلهم عمل أموالهم» صحيحا البخاري ومسلم : الموارد السابقة .

(٢) الجمعة : ١١ .

وبين التلاميذ، فهو توسيع لدائرة الإشكال لا حلَّ له .

وإمَّا أن يكون كلامه فيه أجنبياً، ونلتزم معه بعدم تحقق بيعة منهم له، ولذا بيَّن صلوات اللَّه عليه في بعض كلماته حقيقة بيعة بعضهم أعني أول من بايع وهم ـ الزبير وطلحة ـ بل بيَّنها لهم مباشرة، وأخبرهم أنَّهم أول من ينقض تلك البيعة .

وأمَّا خروج مَنْ خرج عليه فقد جرَّأهم على ذلك أمثال عمرو بن العاص ، ومروان طريد رسول اللَّه هو ووالده الحكم ، ومعاوية بن أبي سفيان لمَّا أن امتنع عن تسليم أمر الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام.

وأنتم تعترفون في أمَّهات كتبكم بأنَّهم بغاةٌ على الإمام، والباغي على إمام زمانه كافر، هذا بحكمكم أنتم، كما صرَّح به علماؤكم [١] وغيره، و أبوموسى الأشعري والذي قَبِل أن يحكم على إمامه، بل سوَّل له شيطانه أن يتصور تمكنه من خلع الإمامة التي كانت ثابتةً لأمير المؤمنين عليه السلام فخلعها غافلاً أو عامداً متجرأً، فتمَّت الخدعة والمكيدة على خلع علي عليه السلام .

وما علموا أنَّها إمامة إلهيَّة لا يمكن خلعها من قبل أنفسهم، وما كان خواصُّ علي إلا قلَّة قليلة، ولذا قال في أكثر من مقام «**ما ترك لي الحق من صديق**» .

---

(١) لكنَّ ابن تيميَّة يأبى عن الحكم بكفر معاوية، فيقول خرج على إمام زمانه فهو باغ، ولكنَّه مجتهد مخطىء فله أجر واحد، فالباغي ليس بكافر !!
سبحان اللَّه وهل المخطىء بالخروج على إمام زمانه كالمخطىء بفعل أمر صغير جزئي فما لكم كيف تحكمون ؟
وفي الواقع إنَّ هذا التبرير منه ليس لمعاوية فقط، بل لمن خرج يوم الجمل أيضاً، كي لا يحكم بكفرهم كذلك !!

وقبل كل ذلك إنَّ بيعة أمير المؤمنين كانت من اللَّـه عـزَّ وجـلَّ ومـن رسوله ﷺ، ولم تكن منعقدة من الناس ، بل الجلُّ منهم إن لم يكن الكلّ قد بايعوه في الغدير حتى قام الخليفة الثاني مُسَلِّماً عليه بأمر النبي ﷺ وهو يقول له «**بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة**»[1].

فالعجب كيف صحَّت لهم بيعة مَن تـقدم عـليه مـع اشـتغال ذمـتهم وصفق أيديهم ببيعتهم لعلي قبل ذلك، وها أنتم تروون «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني منهما**»[2] فحَقَّ القتلُ على كل من تقدم على أمير المؤمنين عليه السلام بالبيعة لنفسه .

إلا أن تردُّوا هذه الرواية وأمثالها، وهذا ما لا نرتضيه لكم من ردها أو استحقاق القتل لهم ، كما لا ترتضونه أنتم .

النقطة الرابعة : نقد الصحابة بين السلب والإيجاب

لقد حرص المدعون بأنَّهم أهل السنَّة على الالتزام بـعدالة الصـحابة جميعاً، ولم يُعلَم لهم وجه عقلي[3] أو نقلي أو عقلائي يوجب ذلك، بل

---

(١) شواهد التنزيل : ١ / ٢٠٠ ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٢ ، مسند أحمد : ٤ / ٢٨١، الرياض النضرة : ٢ / ١٦٩ ، سرُّ العالمين للغزالي : ص ٢١ .

(٢) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٨٠ج ١٨٥٣ ، المستدرك: ٢ / ١٦٩ح ٢٦٦٦ .

(٣) نعم قد ذكر هذا الكاتب وجهاً يصلح لأن يكون وجهاً عقليًا، وإن كان مسبوقاً به من قبل شارح المواقف ؛ وهو أنَّه يلزم من الطعن في الصحابة عدم الاحتجاج بالسنَّة لأنَّهم هم الذين يروونها.
ولا يخفى على المتأمل أنَّ هذا الإشكال محض توهم فاسد، وذلك أنَّ هذا يتم فيما لو انحصر نقل الحديث والسنَّة من خصوص المطعون فيهم من الصحابة.
وأمَّا مع عدم انحصاره فيهم فلا موجب ولا ملزم لما ذكروا من اللازم، فإنَّ من الصحابة الكثير الكثير ممَّن لا طريق للطعن عليهم بوجه، وسيأتي منَّا ذكر بعضهم.

حتى الصحابة أنفسهم لم يكن عملهم كذلك[1].

إذ أنَّ كل ما ورد من آيات أو روايات هو لمدح بعض الصحابة، وعلى فعل خاص لا مطلقاً، هذا مع تسليم إرادة المدح منها، وإلا فالبعض منها إخبار عن واقعة خاصة وقعت والحكم المتعلق بها .

وأهم دليل ذكره هذا الكاتب من العقل على ذلك: هو لزوم فتح باب الطعن على غير الصحابة من باب أولى، فما الفرق بين الصحابة وغيرهم ما لم تثبت لهم العصمة ؟

ومن هذا الغير الذي تقصده وتخاف أن يَطَلِّع على الطعن عليه أعداء الإسلام ؟

ثمَّ ما هو الدليل على المنع عن الطعن في من ثبت فيه ذلك فيما لو كانت مصلحة الإسلام والحفاظ على السنَّة النبويَّة تقتضي ذلك ؟

وإلا فامنع علماءكم عن البحث في علم الرجال، وهو علم أو فن له

ثمَّ إنَّ الفحص والبحث عن الصحابي المستقيم الطريقة وتمييزه عن الصحابي الذي بدَّل وعطَّل وحرَّف ، هل يوجب ترك السنَّة أو عدم روايتها أو تعطيل الدين كما يدعيه هذا الكاتب ؟كيف ؟ والعترة الهادية عِدْلُ الكتاب، وهم أهل البيت عليهم السلام الذين نصَّ النبي صلى الله عليه وآله في مواطن عدَّة على أنَّهم بهم الهداية، وأنَّ اللازم لهم لاحقٌ والمقصِّر في حقهم زاهقٌ والمتقدم عليهم مارق، فهم قد رووا عن جدِّهم الرسول ٩ كل ما يلزم الدين من أصول وفروع، ومعهم ثلَّة كبيرة من الصحابة الأبرار رووا بما فيه الكفاية عن رواية غيرهم من المنافقين والمتَّهمين والمعتدين ؟ فلماذا لا يؤبه بروايات هؤلاء ويخص الدين بما يرويه أولئك أمثال المغيرة بن شعبة ومروان ومعاوية وبسر بن أرطأة وسالم بن عقبة و..و .

(١) بل ورد العكس من ذلك عن النبي حيث إنَّ مسلم روى عن حذيفة «..اثنا عشر رجلاً من أصحابي لا يدخلون الجنَّة حتى يدخل الجمل في سم الخياط» صحيح مسلم: ٤ / ٢١٤٣ كتاب صفات المنافقين ، وفي رواية أخرى: في أصحابي اثنا عشر منافقاً ثمانية منهم لا يدخلون الجنَّة...» صحيح مسلم: ٨ / ١٢٢ ، السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ١٩٨ ، مسند أحمد: ٥ / ٣٩٠ .

موازينه الخاصة، ولكنَّ لبّه وواقعه الجرح والتعديل.

وهل التجريح إلا أن تقول فلان مطعون فيه ، وفلان كذاب ، وفلان مدلس[1]، وفلان كان يشرب الخمر، و..و...

ولو كان هذا العلم مجرد تعديل فقط لم يصح تسميته علماً[2].

وعلى هذا فالصحابة كغيرهم من الناس الذين يمكن أن توضع أسماؤهم وأفعالهم على مائدة التشريح فيُرى هل كان ثقة متقياً مطيعاً للّه ولرسوله أم لا ؟

والصحبة لو قلنا بنفعها لما تعدى ذلك شرف اللقاء بالرسول الأكرم، ولكنَّ الأمر من زاوية أخرى هو عليهم أشد، لأنَّ من رأى النبي وسمع أوامره ونواهيه ولم يمتثلها كانت عقوبته أشد ممَّن لم يره و لم يسمع منه وإنَّما سمع من الرواة والأخبار ذلك ، وهذا مقتضى اختلاف الرتبة بين الصحابي وغيره .

ويكفينا في إمكان تطرُّق الطعن لبعض من ادعيت له الصحبة ما ذكره البخاري في صحيحه من حديث الحوض «**يقدم عليَّ جماعةٌ من أصحابي**

---

(١) وقد كتب ابن حجر العسقلاني كتاباً أسماه «طبقات المدلسين» وجعل فيه مثل أبي هريرة من المدلسين الكبار، وكذا البخاري و..و.
فما تقول في مثل ابن حجر: هل أنَّ كتاباته كلها أساطير !!؟ وكتب الحميدي كتابه «الضعفاء والمتروكين » وأُلِّفت الكتب في سرد الأحاديث الضعيفة كـ «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» و«اللآلىء المصنوعة» وغيرها.
بل لو لم يكن عندنا إلا قول النبي ﷺ «من كذب علي متعمداً...» لكفى في التشكيك في مرويات بعض من ادعيت له الصحبة، ولم يكن قد حفظ صحبة النبي فيه، كما أنَّه ينبغي التنبيه على أنَّ ذلك لا ينافي حفظ مقام الصحبة لمن وفى بها وأدى حقها كما أراده اللّه منه ورسوله .

(٢) ضرورة اشتمال العلم على جهتي الوجدان والفقدان ، أو جهتي النفي والإثبات.

يوم القيامة وأنا على الحوض فلمَّا قربوا مني حيل بيني وبينهم فأقول: يارَبِّ أصيحابي أصيحابي ؟ فيأتي النداء: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[١]

وفي نص آخر «فيحلؤون دوني فأقول يارَبِّ أصحابي ؟ فيناديني مَلَكٌ إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك لقد رجعوا القهقرى..»[٢].

فهذا الكلام من لسان الرسول يوجب تحقق معرضيَّة الصحابة للطعن، خاصة من رجع منهم القهقرى بعد وفاته ﷺ.

وأعظمها هذه الرواية وهي في ما بعد معركة أحد، فقد روى الإمام مالك أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال لشهداء أحد: هؤلاء أشهد عليهم ، فقال أبوبكرالصديق: ألسنا يارسول اللَّه إخوانهم ؟ أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا ! فقال رسول اللَّه ﷺ بلى ولكن لا أدري ما تحدثون بعدي ؟!! فبكى أبوبكر ثمَّ بكى ثمَّ قال: أئِنَّا لكائنون بعدك ؟»[٣].

بعض من ثبتت لهم الصحبة ولكنَّهم انحرفوا:

وهاك بعض أسماء الصحابة الذين ثبت أنَّهم لم يحسنوا الصحبة بدلالة كلام الرسول في حقهم أو مخالفتهم الظاهرة لأوامره ﷺ ولو بعد وفاته ﷺ:

١ ـ الجد بن قيس الأنصاري، الذي قال النبي في حقه «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر»[٤].

٢ ـ الحرقوص بن زهير السعدي ، ممَّن شهد بيعة الرضوان ثمَّ صار

---

(١) صحيح البخاري : ٨ / ١٤٨ ـ ١٤٩ ، مسند أحمد : ٥ / ٣٨٨ .
(٢) صحيح البخاري : ٨ / ١٥٠ ـ ١٥١ ، الجمع بين الصحيحين : رقم ٢٦٧ .
(٣) الموطأ : ١ / ٣٠٧ ومغازي الواقدي ص ٣١٠ .
(٤) صحيح مسلم : ٨ / ١٢٣ .

رأس الخوارج، وهو الذي قال للنبيﷺ اعدل يا محمد [١].

٣ ـ محلم بن جثامة، قال فيه النبيﷺ: «اللهم لاتغفر لمحلم بن جثامة» لأنَّه قتل صحابياً متعمداً [٢]، فهو الذي قتل عامر بن الأضبط، ولمَّا مات محلم لفظته الأرض ثلاثاً فجُعِل على سفح جبل ورُجِم بالحجارة، فلما أُخبِر النبيﷺ بذلك قال: هي دعائي عليه.

٤ ـ عبد اللَّه بن خطل كان صحابياً ثمَّ ارتد ولحق بمكَّة وقتل يوم فتحها [٣]، وهو ممَّن أمر النبي ﷺ بقتله.

٥ ـ المغيرة بن شعبة، وحاله أوضح من أن يوضح.

٦ ـ سمرة بن جندب، أساء السيرة بعد النبي ﷺ، وكان يبيع الخمر ويقتل الأبرياء، وهو الذي وضع بعض الأحاديث في ذم عليعليه السلام طلباً لرضا معاوية و..و...

٧ ـ عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، شرب الخمر أكثر من مرَّة فقتله أبوه حدَّاً وتعزيراً بعد أن حدَّه عمرو بن العاص في مصر [٤].

والروايات في هذا مختلفة، فقيل بأنَّ كلا ولديه قد حُدَّا؛ أحدهما حده للزنا والآخر حدَّه لشرب الخمر، أي عبد الرحمن والمكنى بأبي شحمة، وعبيد اللَّه، وإن كانت بعض الروايات تفيد اتحادهما، وأنَّ الحد ليس إلا واحداً.

---

(١) فتح الباري: ٨ / ٦٩، الإصابة: ٢ / ٤٩ برقم ١٦٦٣، وقيل بأنَّه ذو الخويصرة.
(٢) الطبقات: ٢ / ١٣٣، ٤ / ٢٨٢، الإصابة: ٥ / ٧٨٥.
(٣) التمهيد لابن عبد البر: ٦ / ١٧٥ ـ ١٧٦، الأحاديث المختارة: ٣ / ٢٥٠.
(٤) السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ٣١٢، سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي: ص ١٧٠ وفي ط: ص ٢٠٧، إرشاد الساري: ٩ / ٤٣٩، شرح النهج: ٣ / ١٢٣ ط مصر.

٨ ـ الوليد بن عقبة الفاسق بنص آية النبأ ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾.

وغيرهم من الصحابة الذين خانوا الصحبة وتنكروا لها بعد النبي ﷺ، أو في حياته.

٩ ـ قدامة بن مظعون: وقد شرب الخمر في زمان عمر وجلده، فغاضبه ثمَّ كلمه واستغفر له [١]، بل قال أبو أيوب: لم يُحدَّ أحدٌ من أهل بدر في الخمر إلا قدامة بن مظعون[٢].

ولكنَّ العجب لا ينقضي من مثل الحاكم في المستدرك [٣] حيث جعل من مناقب قدامة هذا أن نصَّبه الخليفة عمر بن الخطاب والياً من قِبَلِه على البحرين[٤]، وقد نسي الحاكم أن يعد من مناقبه شربه الخمر فيها، فلم يذكره في ترجمته !!

١٠ ـ أبو محجن الثقفي ممَّن شرب الخمر مراراً، بل لم يكن ينفك عن ذلك حتى نفاه عمر إلى جزيرة وجعل عليه رجلاً حارساً ففرَّ منه، وخرج إلى سعد حيث كان زمن معركة القادسيَّة، وذكر ابن عبد البر أنَّه كان منهمكاً في الشراب لا يكاد يقلع عنه، ولا يردعه رادع ولا لوم لائم[٥]،

---

(١) الإصابة: ٥ / ٤٢٤ ـ ٤٢٥، الاستيعاب: ٣ / ٢٤٨، السنن الكبرى: ٣ / ٢٥٣، ٨ / ٣١٥، المصنف لعبد الرزاق: ٩ / ٢٤١.

(٢) الموضع السابق من الإصابة والاستيعاب والمصنف.

(٣) المستدرك: ٣ / ٤٢٦.

(٤) ولا يخفى أنَّ حكمة التنصيب هو أنَّه خال حفصة بنت الخليفة، وخال أخيها عبد الله بن عمر، كما أنَّه زوج أخت الخليفة، فلاحظ في نسبه المعجم الكبير للطبراني.

(٥) الاستيعاب: ٤ / ١٨٢، بل هو القائل شعراً:

إذا متُّ فادفنى إلى جنب كرمةٍ ... تروِّي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فإنَّني ... أخاف إذا ما متُّ أن لا أذوقها

وذكر عن قبيصة بن ذؤيب أنَّ عمر جلده في الخمر ثمان مرأت [١]، وفي رواية أخرى أربع مرَّات [٢]، وفي أخرى سبع [٣].

تلك عشرة كاملة ، وإن كان في زوايا الكتب والروايات الكثير منها .

آيات...يدعي دلالتها:

وأمَّا الآيات التي ادعى أنَّها نزلت في فضلهم فليدلنا عليها!!

إذ ليس إلا آية بيعة الرضوان تحت الشجرة، وهذه ـكما يقول العلماء ـ قضية خارجيَّة مختصة بجماعة خاصَّة، وهم خصوص مَن بايع تحت الشجرة، فلا تشمل غيرهم .

مع أنَّ آخرها يصرِّح بالتهديد لمن كفر بعد ذلك.

وفي آية أخرى يصرح بسوء العاقبة لمن نكث بعد ذلك.

وفي ذلك كله إشعار بتوقع النكث والكفر من بعضهم بعد ذلك ، بل التصريح بوقوعه متحققٌ بعد وفاة النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنْقَلِب عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً**﴾[٤] ، فإن منعت دلالة هذه الآيات والروايات على مدعانا، فالمنع عن مدعاك ممَّا ذكرتَ من آيات وروايات أولى وأولى .

معجم البلدان : ٢ / ٢٦٣ .

(١) الاستيعاب : ٤ / ١٨٣ ، المصنف : ٧ / ٣٨١ باب حد الخمر ، ٩ / ٢٤٧ .

(٢) فتح الباري : ١٢ / ٨١ .

(٣) المصنف لعبد الرزاق: ٩ / ٢٤٧ .

(٤) آل عمران : ١٤٤ .

وكذا آية الوعد: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ الذِّينَ آمَنُوا مِنْكُم وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا ٱستَخْلَفَ الذِّينَ مِن قَبْلِهِم وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُم دِينَه الذِّي ٱرتَضَى لَهُم وَلَيُبْدِلَنَّهُم مِن بَعْدِ خَوْفِهِم أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَر بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَئِكَ هُم الفَاسِقُون﴾[١]، وهذه الآية ظاهرة في الوعد من اللّه للمؤمنين به حقاً بأن يجعلهم المستخلفين في الأرض وأن يعطيهم الأمان بشرط أن يتوجهوا بالعبادة إلى اللّه وأن لا يشركوا به شيئاً وإلا فمن يكفر به فهو في عداد الفاسقين المساوين للكفّار في العقاب، على ما يستفاد من آيات أخر، بل لا يبعد مساواة الفسق للكفر في نفسه كما يمكن استظهاره من بعض الآيات، وللعلماء وأهل التفسير في هذه الآية آراء متعددة.

فقد قال الفخر الرازي تبعاً لصاحب الكشاف الزمخشري في تفسيره[٢]؛ بأنَّها دالة على صحة خلافة الخلفاء الأربعة فإنَّهم هم الذي آمنوا ولم يبدلوا ولم يغيروا، ووافقه البيضاوي، فقد تحقق مصداقه المنحصر فيه، وقالوا ما اجتمع الموعود والموعود به إلا لهم.

وقال آخرون هي دالّة على الإستخلاف للمسلمين جميعاً بعد نصرهم على الكفار في الجزيرة، أو بعد فتح مكّة، فهي مساوقة ومرادفة لقوله تعالى: ﴿اليَوْمَ يَئِسَ الذينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُم فَلاَ تَخْشَوهُم وَٱخْشَونِ..﴾[٣]، ولقوله تعالى: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي...﴾[٤].

وقالت طائفة ثالثة بأنَّ الموعودين بهذا هم الأئمة عليهم السلام، وأنَّ موعدهم

---

(١) النور: ٥٥.
(٢) الكشاف: ٣ / ٢٥٢.
(٣) المائدة: ٣.
(٤) المائدة: ٣.

معلوم عند اللّه مخفي علينا، وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام ، والذي ذكره الشيخ الطبرسي في مجمع البيان.

وعلى هذه التفاسير المختلفة لا تتم دعواهم على إرادة الخلفاء الأربعة، أضف إلى ذلك عدم دعواهم النص على استخلافهم وخلافتهم، بل هم بين من ادعي نصبه بالشورى[١]، وبين من نصب بالتعيين من سابقه[٢]، وبين من جعلها شورى بين ستة[٣] وأمر بحبسهم في دار إلى ثلاثة أيام، جاعلاً الأمر بيد عبد الرحمن بن عوف.

ولمّا عوتب الخليفة الثاني في ذلك قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني ـ يعني أبا بكر ـ وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ـ يعني رسول اللّه بدعواه أنّه لم يستخلف ـ[٤].

واعتقدوا أنَّ في ذلك فضيلة له من التوجه للتخيير بين الأمرين، ولكنَّ الحق المبين هو أنّه بلا دليل ولا مرشد، وليست إلا السياسة المدبَّرة والمبيَّتة منه لمن يليه ، وأي شورى تلك التي يحبس فيها المرشَّحُون وهم المرشِّحُون أنفسهم، وهل فيهم خير أن لو انتخبوا مَن لم يرتضه عبد الرحمن أن يضرب عنق الممتنع ؟ وبأي وجه شرعي يقتل ؟ فهو إمّا خليفة للمسلمين، وإمّا مقتول، وإمّا موافق للآخر، ولو كان ذا باطل ؟

---

(١) كدعواه نصب الخليفة الأول .

(٢) كتنصيب أبي بكر للخليفة الثاني حيث إنَّه قد نصَّ عليه، وقد سبق من أمير المؤمنين ذلك له فقال للثاني «احلب حلباً لك شطره...فلشدَّما تشطرا ضرعيها..» .

(٣) كما صنع ذلك الخليفة الثاني في شوراه المزعومة .

(٤) ولا يبعد أن يكون هذا التبرير ممَّن تأخر من محبيه ومريده، وإلا فبعيد صدوره عنه وهو العارف بنص النبي ﷺ على الخليفة بعده أمير المؤمنين عليه السلام في الكثير من المواطن .

وأمَّا بقيَّة الآيات ففيها أمرٌ لهم باتباع النبي ﷺ واستماع أوامره وعدم التقدم عليه، وإعزازه والرجوع له في الحكم في ما لو شجر بينهم نزاع أو خصومة، وأمثال هذه الموارد.

وليس فيها من مدح لهم تلميحاً فضلاً عن التصريح به.

ولعلَّ أعمَّ ما يتصور دلالته على دعوى تلك المنزلة لهم هي من قِبَل قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَالذِّينَ مَعَهُ..**﴾[1] فتستفيد ذلك من المعيَّة الموجودة فيها، فنسأل : أي معيَّة هي المقصودة في الآيـة ؟ لا شكَّ أنَّ المعيَّة البدنيَّة ليست ذات أثر حتى تقصد، فكم من رجل بدنه معك وقلبه عليك، إذن فالمقصود منها المعيَّة القلبيَّة والعقليَّة، ولذا لم يكتف القرآن بهذا المعنى من المعيَّة بل صرَّح بما ذكرنا في آخر الآية فقال: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ الذِّينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَ أَجْرَاً عَظِيماً**﴾[2].

ولا يخفى الوجه في ذكر كلمة **منهم**، فإنَّه علاوة على عدم إرادة المعيَّة الجسديَّة ـ وهي عمدة أدلتكم في تحقيق الصحبة بالرؤية البصريَّة ـ قـد نصَّ على خصوص المؤمنين منهم والذين يعملون الصالحات مـنهم، لا مطلق من كان معه ، وهل يحتاج عاقل لأكثر من هذا البيان لفهم التخصيص منها !!؟.

وأمَّا الروايات التي يدعي صدورها في مدحهم فلا تزيد عـلى عـدد الأصابع ـ هذا إذا صحَّ صدورها ـ حيث قد ناقش في سندها الكثير مـن أعلامكم [3].

---

(١) الفتح : ٢٩ .
(٢) الفتح : ٢٩ .
(٣) فارجع لكتاب: الفوائد المجموعة فـي الأحـاديث المـوضوعة للشـوكاني فـي

وبعد كلٍّ هذا؛ فمن الواضح أنَّ الفتوحات المنتسبة إليهم يحتاج الأمر فيها إلى إثبات عدالتهم قبلها وبعدها ، إذ ليس من شرائط الفاتح لبلدٍ أن يكون عدلاً متقيًّاً، إذ قد روي أنَّ اللَّه ينصر هذا الدين ولو بالرجل الفاسق أو الكافر ؟!

وما ذكره من سلسلة اللوازم على الطعن في الصحابة من لزوم الجرأة على القرآن والطعن فيه أو لزوم الطعن في السنَّة لأنَّ ذلك طعن في حَمَلَتِها، وتشويه أمجاد الإسلام وحضارته.

فكل تلك لوازم فاسدة، بل هي غير لازمة للكشف عن فساد بعضهم أو كذب دعواه الصحبة له، أو دعواهم الصحبة له ﷺ قط .

فإنَّ صدور طعن في بعض الصحابة ليس مانعاً عن الرواية عن الصحابة

مناقشته للأحاديث التي رويت في مدحهم، وكذا لكتاب إحقاق الحق للسيد المرعشي، ولكتاب اللآلىء المصنوعة للسيوطي ، وأمَّا حديث العشرة المبشرة بالجنَّة فهو مما نقطع بأنَّه موضوع على لسان النبي للمناقشة في سنده ومتنه، ولمخالفته لضرورة العقل والنقل ، إذ كيف يسوغ من الحكيم أن يعطي الأمان لهم مع علمه بأنَّ منهم من لم يدخل الإيمان قلبه قط، ومنهم من سيرتكب ما يخالف أوامره عزَّ وجلَّ في مستقبل عمره ، بل منهم من ارتكب الذنب غير المغفور عندهم وهو الإشتراك في قتل خليفة المسلمين عثمان ، بل إنَّ ما بينهم من الحرب والكلمات يكشف كشفاً قطعياً عن وضع هذا الحديث!.
ولنا في هذا الحديث بحث مستقل نسأل اللَّه التوفيق لطباعته، وأمَّا حديث أصحابي كالنجوم..فقد طعن فيه شيخهم ومن إليه يرجعون وهو ابن تيميَّة فقد ذكر الشيخ محمود أبو رية أنَّه بعد طبع كتابه أضواء على السنَّة المحمديَّة لقيه محب الدين الخطيب فلامه على ما كتب، وقد كان بمرأى من حديث أصحابي كالنجوم...
فأجابه الشيخ بأنَّ هذا الحديث ضعيف، وقد ضعَّفه علماؤكم فقال من ؟ قال: أنت ؛ في تعليقك على كتاب المنتقى للذهبي ص ٧١ ، فاشتد غضبه، وقال: في أي صفحة من كتابي؟ قال: ص ٥٥١ ، وفيها: يقول ابن تيميَّة «وحديث أصحابي كالنجوم ضعَّفه أئمة الحديث فلا حجَّة فيه» فبهت الخطيب ، عن كتاب المنتقى من آراء علماء المسلمين ص ٤٢ للسيد مرتضى الرضوي .

الآخرين الذين لم يرد فيهم طعن، والفرض عدم توقف الوثوق بالسنَّة أو وصول القرآن وتواتره على أولئك الأشخاص المطعون فيهم .

والخلاصة : أنَّ الذي يبدو لنا أنَّ هذا الكاتب ليس له غرض أساسي في توثيق وتعديل كل الصحابة، ولكنَّه لمَّا لم يجد طريقاً أو وجهاً يستطيع به توثيق الشيخين وبعض من تابعهم ومالأهم ، آضطرَّ للقول بعدالة كل الصحابة، فوقع في مشكلة أكبر منها.

فارجع أخي القارىء إلى رشدك وآبحث عن الحقيقة، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل، وستسأل في قبرك ويوم القيامة عن معتقداتك ، بل ستسأل حتى عن الأشخاص الماضين والمعاصرين لك ، إذاكان توليهم ديناً يدان به ، فهيء جواباً يصنع لك طريقاً من قبرك للجنَّة، فإنَّك ستكون وحدك في قبرك، ولن ينفعك فلان وفلان حباً ولا دفاعاً، بل النافع لك هو اتباعك للحق، والحقُّ بتصريح النبي صلى الله عليه وآله عند علي **«علي مع الحق والحق مع علي»**[1].

فانظر لحالك إن لم تكن معه، فمن الآن فسارع وآلتحق بركب علي عليه السلام قبل أن يعاجلك الفناء، وليس بعد ذلك إلا الحساب ، وحينئذٍ لسان حال المتخلف عن ركب علي : ﴿**رَبِّ ٱرجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحَاً**﴾[2]

النقطة الخامسة[3] : غزوات النبي صلى الله عليه وآله :

(١) مجمع الزوائد : ٧ / ٢٣٦ وقال إنَّ رجاله رجال الصحيح إلا سعد بن شعيب، وهو اشتباه من النساخ فهو سعيد بن شعيب شيخ صالح صدوق راجع في ترجمته تهذيب التهذيب: ٤ / ٤٨ ، سنن الترمذي: ٣ / ١٦٦ ، جامع الأصول : ٩ / ٤٢٠ ، المستدرك : ٣ / ١٣٤ ، والكثير من المصادر الأخرى .

(٢) المؤمنون : ١٠٠ .

(٣) قد ذكر هذا الكاتب بعض غزوات النبي وبعض الآيات النازلة فيها، فراجع كتابه

لقد استند في الأدلة التي عرضها من آيات وروايات إلى ما ورد من مدح للصحابة في ما بذلوه في الغزوات مع النبي ﷺ من نفس ونفيس من مال وأولاد وعتاد، وهذا المدح من القرآن لهم قد خلّدهم، وسدَّ طرق الطعن عليهم أو تخوينِهم في أدب التلمذة والتعلم من النبي ﷺ.

ولنأخذ جولة سريعة حول تلك الآيات التي ادَّعى توافرها على هذا المعنى، وأقدم على البحث في غزواته ﷺ مقدمة عبر عدة أمور:

١ ـ إنَّ الغزوة الأولى التي كانت للنبي هي غزوة بدر، وقد كانت حداً فاصلاً بين الحق والباطل، بحيث إنَّ معنويَّات المسلمين كانت ضعيفة، لخوفهم من كثرة المشركين وقلَّتهم، ولذا نزلت بعض الآيات مشيرة لذلك الموقف النفسي الذي كانوا قد عاشوه، علاوة على تجبين المنافقين لهم وغيرهم من ضعاف النفوس.

خلافاً لما ادعاه الكاتب من عدم وقوع النفاق قبل بدر، وأنَّه وقع بعدها

٢ ـ إنَّ الدراسة الموضوعيَّة للحدث التاريخي ينبغي أن تكون جامعة لكل جوانب الحدث ـ ما قبله وما بعده، بالإضافة لتفاصيل جزئياته ـ ومن الطبيعي أن تشتمل هذه الدراسة كلاًّ من الشخص والفعل الخارجي ، وإلا فالتقييم للحدث لا يكون موضوعياً، بل يكون ناقصاً، فالحكم الناتج عنه غير صادق، وكما هو المتعارف من أحكام المؤرخين وكتَّاب السيرة وعلماء السلاطين، حيث إنَّهم يبلورون وينحتون من الحدث ما شاؤا وكيف شاؤا، تبعاً لأغراض من ينحتون له .

ولا ينكر علينا بأنَّه ما الحاجة لتقييم الحدث التاريخي الصادر من

صحبة رسول الله ﷺ : ص ٢٣ وما بعدها .

الصحابة ؟

فإنَّه استنكار بارد، ومحاولة فاشلة لتثبيط الجهود العلميَّة للمحققين والباحثين حول سيرة الرسول وسيرة أصحابه.

وإلا فمن الواضح الحاجة الماسَّة لذلك ، ولو لم يكن إلا الحاجة لإعادة صياغة الحدث كما وقع لكان هذا في حد نفسه غرضاً عقلائياً كافياً لمشروعيَّة البحث، فضلاً عن الأغراض الأخرى التي تذكر في محلها من السبب في تأريخ العلوم وتدوينها ، ككشف الكذب الذي وقع منسوباً للنبي ﷺ، وما تبع أو لازم ذلك من وضع وتدليس وافتراء في متغيرات الأحداث في زمانه ﷺ أو بعد وفاته ﷺ ، ممَّا جعل التابعين وتابعي التابعين وحتى الأجيال اللاحقة لهم يسيرون على تلك النغمة المحرَّفة، ويضطرون لركوب الموج برضاً منهم أو بإكراهٍ على ذلك.

ولا شك أنَّ مثل هذا الكاتب شريك مع أولئك الأشخاص في محاولة طمس تلك المعالم، وبعثرة أوراق الحدث التاريخي بكل جهد لهم، فهو شريك مع المتقدمين في ما وقع من نحت وتحريف و..و..

٣ـإنَّ القرآن مع نزوله على النبي دفعة واحدة ليلة القدر ـ وقيل في غير ذلك الوقت ـ لكنَّه نزل أيضاً تدريجاً لمصالح مذكورة في محلها ، وعلى كل حال فالآيات كانت مربوطة بمواقعها من الحدث الذي يقع من المسلمين أو بينهم أو مع المشركين ، فتتنزل الآيات المرتبطة بذلك الحدث وحكم اللّه فيها، بل قد تسبق الآية ذاك الحدث إعجازاً من اللّه في ذلك ، ولكنَّ المهم هو معرفة أنَّ القرآن منظومة إلهيَّة متكاملة، ولا يمكن تجزئتها لفظاً أو معنى ، منطوقاً أو مفهوماً، بل ينبغي ملاحظتها بمجموعها

حين دراسة نص منها، أو تحليل حدث تاريخي قد نزلت فيه آيات من القرآن .

وهكذا.. ينبغي أن يتوجه الباحث للنصوص القرآنيَّة، لا أن يحاول ـ عن علم وتعمد أو عن جهل وغفلة ـ تجزئة المدلول القرآني بنقل آيات ذات المضمون الموافق لهواه، ولما يروم الوصول إليه، ولا يهمه بعد ذلك أن يكون ما أوصله للقارىء موافقاً للحق المراد للّه أو لا !!

ولذا فنحن سنحاول أن نربط الآية بالحدث الذي ذكره، وبعبارة أخرى : أن نشير إلى ذلك الارتباط الذي لا ينفك المعنى عن إرادته من الآيات النازلة على قلب نبيِّ اللّه ﷺ، فهي كالخاص بالنسبة للعام، وكالمقيَّد بالنسبة للمطلق .

وبعد هذا فهنا مواقف :

الموقف الأول : معركة بدر:

ففي مرحلة التهيؤ لها كان المسلمون من جهة قد أخذتهم هيبة قريش وقوتها، وكثرة عدَّتِها وعتادها، ومن جهة أخرى: لابدَّ لهم من إثبات صحَّة موقفهم وتمسكهم بالدين الجديد.

فمن غلب عليه الجانب الأول ظهرت منه علائم النفاق والضعف والتخاذل.

وأمَّا من غلب عليه الجانب الثاني فقد أظهر البسالة والثبات.

فمثل المقداد الذي قال للنبي ﷺ «إنَّا لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى ﴿**اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون**﴾، ولكن نقول لك : تقدما

وقاتلا ونحن معكم»[١]..

فاقرأ ما نزل من آيات في معركة بدر الكبرى فقد كان جلُّ سورة الأنفال في معركة بدر، وتأمل في مضمون ما سنتلو عليك من آيات عبر مقاطع :

المقطع الأول : خروج المسلمين للحرب

قال تعالى: ﴿**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُم كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى المَوْتِ وَهُم يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُم اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُم وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُم وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الكَافِرِينَ * لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ البَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ المُجرِمُونَ***﴾ الأنفال ٥ ـ ٨.

ففي هذه الآيات صراحة ما بعدها صراحة في أنَّ قسماً من الصحابة كان كارهاً للدخول في حرب مع قريش، ومن المُبرِّرات ما ذكرناه سابقاً، ومنها ما هو معروف من أنَّهم لا رغبة لهم في محاربة قومهم وإن كانوا كفاراً ، ولذا عبَّرت الآية بقوله ﴿**يُجَادِلُونَكَ**﴾، والمجادلة وقعت حول الحق ، وهل الصحابة المتبعون للنبي في كل أمورهم يجادلون في الحق أيها الكاتب المحترم ؟؟

ومَنْ هم الكارهون : هل هم فريق من الكفار أم فريق من المؤمنين ؟؟.

ويناسب هنا أن نذكر ما يؤيد كراهة البعض الخروج للقتال فقد أخرج مسلم والحاكم وابن كثير والبيهقي حين أخبرهم الرسول بقدوم قافلة أبي سفيان فتكلَّم أبوبكر فأعرض ﷺ عنه، وتكلم عمر فأعرض ﷺ عنه، ثمَّ

---

(١) تفسير الكشاف : ٢ / ١٩٨.

قام سعد بن معاذ فتكلم، فسُرَّ ﷺ بقول سعد ونشَّطه[١]» ولكنَّ مثل صاحب تفسير الكشاف[٢] ممَّن خان الأمانة فقال : فتكلم أبوبكر فأحسن وتكلم عمر فأحسن..» ومحا بتزويره إعراض النبي عنهما[٣].

وأمَّا الخليفة الثالث فلمَّا ساءت علاقته مع المصاهر له والمُنَصِّب له خليفةً في شورى الستَّة عبدالرحمن بن عوف، لقيه الوليد فسأله عن عدم حضوره مجلس الخليفة، فأجابه: أن أبلغ عني الخليفة أنِّي لم أغب عن بدر، ولم أفرَّ يوم عينين «أحد»[٤].

وفيه تعريض بغيابه عن بدر ، والذي عبَّر عنه البعض بالفرار، وذلك لخروج كل المسلمين فيها أو أغلبهم، إذ كانت هي المعركة الفاصلة، وتعريض بفراره في معركة أحد كما سيأتي .

هذا كله مع سبق وعد اللَّه لهم إمَّا اغتنام القافلة التي خرجوا لها ـ عِيْر قريش ـ وإمَّا النصر، ومع كل هذا لم تكن لهم رغبة في ذلك.

فإن لم يكن ما صدر منهم حاكياً لامتناعٍ فلا أقل من الشك في وعد اللَّه

---

(١) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤ برقم ١٧٧٩ ، المستدرك : ٣ / ٢٨٣ برقم ٥١٠٤ ، السيرة النبويَّة لابن كثير: ٢ / ٣٩١ ـ ٣٩٥ ، دلائل النبوة : ٣ / ١٠٦ .

(٢) تفسير الكشاف : ٢ / ١٩٨ .

(٣) وقيل إنَّ ما قالاه فيه نظر لعزَّة قريش وأنَّها ما ذلت مذ عزَّت..ونظير هذا الكلام الذي أوجب من النبي الإعراض عنهما ، فلاحظ مغازي الواقدي: ١ / ٤٨ ، ولكنَّ حبَّ الشيء يعمي ويصم !!

(٤) تاريخ المدينة ؛ ابن شبة ٣ / ١٠٣٣ ، مسند البزار: ٢ / ٥٢ ، وفيه تبرير من عثمان لمَّا وصله كلامه بأن قال: أمَّا إنَّما لم أحضر بدراً لمكان ابنة رسول اللَّه ﷺ وأمَّا الفرار من معركة أحد فقد عفا اللَّه ورسوله عمن فرَّ من المعركة » واللطيف في الأمر أنَّ الخليفة عثمان قد فرَّ عن محل المعركة حتى وصل إلى ينبع، فاحسب المسافة بين جبل أحد في المدينة ومدينة ينبع، وعليك استنتاج مقدار شجاعة الخليفة وبسالته !! حتى قال له النبي لمَّا رجع: لقد ذهبت بها عريضة .

لهم، فماذا تقول أيها الشيخ الجليل؟

ولمَ غضضت النظر عن مثل هذه الآية ولم تذكرها ؟؟

المقطع الثاني : أجواء المعركة وما بعدها

قوله تعالى: ﴿وَٱعلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَٱبنِ السَّبِيلِ إنْ كُنتُم آمَنْتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرقَانِ يَوْمَ ٱلتَقَى الجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيء قَدِيرٌ * إذْ أَنتُم بِالعدْوَةِ الدُّنيَا وَهُم بِالعدْوَةِ القُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُم وَلَوْ تَوَاعَدْتُم لاَخْتَلَفتُم فِي المِيعَادِ وَلكِن لِيَقْضِي ٱللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِيَهْلَكَ مَن هَلَك عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَة وَإنَّ اللَّه لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إذْ يُرِيكَهُم ٱللَّهُ فِي مَنَامِك قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُم كَثِيراً لَفَشِلتِم وَلَتَنَازَعْتُم فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ ٱللَّه سَلَّمَ إنَّهُ عَلِيمٌ بِذَات الصُّدُور * وَإذْ يُرِيكَهُم إذْ ٱلتَقَيْتُم فِي أَعْيُنِكُم قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُم فِي أَعْيُنِهم لِيَقضِي ٱللَّه أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإلَى ٱللَّهِ تَرْجِعُ الأُمُورُ *﴾ الأنفال ٤١ ـ ٤٤ .

فهذه الآيات تبين وجوب الخمس في ما ظفر به المسلمون من غنائم، ولكنَّها وإن كانت نزلت في غنائم معركة بدر، ولكنَّ خصوص المورد لا يخصص الوارد، ولذا فهي تشمل كل ما يغنمه الإنسان من شيء، بقرينة قوله تعالى: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ والغنيمة مطلق الفائدة .

ثمَّ تبين الآيات موقعيَّة المسلمين بالنسبة للمشركين، وقرب ركب قريش منهم، كما يبين أثر الرؤيا التي أراه اللَّه إياها في نفوس المسلمين حيث قلَّلهم في أعين المسلمين، وكثَّر المسلمين في أعينهم، ولو أراهم إياهم على ما هم عليه في الواقع لتنازعوا في الإقدام على الخروج إليهم ومحاربتهم، وبالطبع نتيجة التنازع الفشل، والخلاصة بيان امتنان اللَّه عزَّ

وجلَّ على المسلمين بأن سلَّمهم عن ذاك المكروه، رغم أنَّهم كانوا مهيئين للتنازع والفشل لولا أنَّ اللَّه سلَّم...

المقطع الثالث: الأنفال ...حُكْمٌ وحِكَم

قوله تعالى ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْـفَالُ لِـلَّهِ وَالرَّسُـولِ فَـاتَّقُوا اَللَّـهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُم وَأَطِيعُوا اَللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُم مُؤْمِنِين**﴾ الأنفال ١

وفي هذه المقاطع من الآيات يبين القرآن حكم الأنفال، ولكنَّ الذي يظهر من آخر الآية أنَّهم قد اختلفوا فيها وتخاصموا ـ كما تشير له بعض الروايات ـ ولذا قال في آخرها ﴿**فَاتَّقُوا اَللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُم**﴾، والأمر بالتقوى ليس إلا لإمكان فعل مخالف للتقوى ومنافٍ لها، وكذا أمرهم بإصلاح ذات البين ليس إلا لوقوع ما يوجب النزاع والتخاصم، ثمَّ التعقيب على ذلك بوجوب إطاعة اللَّه ورسوله وأنَّ إيمانهم مشروط بالالتزام بتلك الإطاعة.

ومن الشواهد على وقوع التخاصم بينهم ما رواه أبو أمامة قال: سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال ؟ فقال: فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، فساءت فيه أخلاقنا فانتزعه اللَّه من أيدينا وجعله لرسوله، فقسَّمه رسول اللَّه بين المسلمين»[1].

بل في بعضها ممَّا مرَّ من المصادر السابقة أنَّ النبي أمر أحدهم بوضع السيف الذي غنمه في موضع ما يأخذه المسلمون فقال : وضعته ورجعت وفي نفسي شيءٌ لا يعلمه إلا اللَّه !!

---

(١) مسند أحمد : ٥ / ٣٢٢ ، السيرة النبويَّة: ٣ / ٢١٩ ، مجمع الزوائد: ٧ / ٢٦، تفسير ابن كثير: ٢ / ٢٨٤ ، وتوجد نصوص أخرى مقاربة لها في الألفاظ .

فياترى ما هو الذي في نفسه أيها الكاتب !!؟

وفي رواية أخرى له:

قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها، فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم أحق بها منّا...، وقال الذين أحدقوا برسول اللّه: لستم بأحق بها منّا ؛ نحن أحدقنا برسول اللّه...»[1]

المقطع الرابع : قضية الأسرى

قوله تعالى ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلاَ كِتَابٌ مِن اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُم فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ الأنفال: ٦٧ ـ ٦٨ .

ومن الواضح أنَّ مفاد الآية اختلاف المسلمين في الأسرى، فبعض يقول اقتلوهم وبعض يقول ائتسروهم، فبيَّن اللّه عزَّ وجلَّ أنَّ الأسر إنَّما يكون بعد الإثخان في الأرض لا قبلها، ولذا بيَّن في آية أخرى من سورة محمد أنَّ حكمهم ضرب رقابهم أو الفداء[2].

وبهذا رفع اللّه اختلاف المسلمين حولهم، ثمَّ بيَّن أنَّ الأسر موافق لعرض الدنيا لا للآخرة، وأنَّ سبق أمر اللّه أوجب عدم استحقاقهم للعذاب العظيم فيما لو أقدموا على ما أرادوا.

فكيف كانوا كذلك ؟ وكيف صدر منهم ذلك ؟ ألم يكونوا يرجعون في كل أمورهم للرسول ؟ وهل المتبعون لخطى النبي ﷺ والذين لا يحيدون

---

(١) الدر المنثور: ٤ / ١٠٥ ، وأخرى مثلها: ٤ / ١٠٨ .

(٢) وقد أمر الرسول ﷺ عليّاً بأن يقتل اثنين وهما عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث، وأخذ الفداء من ثمانية وستين رجلاً ـ تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٦ .

عنه قيد أنملة يختلفون كهذا الاختلاف ؟

﴿سُبْحَانَ ٱللَّهِ مَالَكُم كَيْف تَحْكُمُون﴾ .

وفي هذا المقطع أكبر دلالة على أنَّ الرضا والعفو الذي ادعاه الكاتب لكل أهل بدر ليس في محله، إذ أنَّ بعضهم أهل عرض الدنيا وآخرون من أهل الآخرة ، كما أنَّ بعضهم راغب في الغنائم لا في عزَّة الإسلام، وبعضهم ليس إلا لأخذ الثأر والإنتقام.

فكيف يُدَّعى شمول العفو والرضوان لهم كلهم.

وكيف يدعى أنَّ لهم الحق في أن يذنبوا ما شاؤا ويرتكبوا من المعاصي ما أرادوا حتى في مستقبل أيامهم !!؟

والحق أنَّ التأمل في آخر الآية يقضي بأن يكون عفو اللّه عنهم لكتاب سبق منه في ذلك، لمصلحة غيبيَّة لا نعلمها، وقد خفيت علينا ، والشاهد على هذا ظهور أمارات استحقاق العذاب العظيم .

المقطع الخامس : صورة من المعركة

قوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُم..﴾ .ـ إلى قوله تعالى ـ ﴿إِذْ يُغَشِّيكُم النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِن السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُم وَيُثَبِّت بِهِ الأَقْدَامَ﴾ الأنفال: ١١.

ففي الشق الأول منها لمَّا طرقهم الخوف من كثرة قريش استغاثوا باللَّه عزَّ وجلَّ فأمدَّهم اللَّه بألف، وقيل بثلاثة آلاف ، وقيل: إنَّ القراءة آلاف من الملائكة، فأورثهم ذلك اطمئناناً، ولذا غشيهم النعاس للأمن الذي تحصَّلوا عليه، ولو لم يكن أمن لما غشيهم النعاس، فناموا فاحتلم أكثرهم وضربهم العطش فأمطرهم اللَّه حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤا وشربوا من الماء ما شاؤا[1] .

وبعد كل هذه الجولة فيما يتعلق بمعركة بدر لم يظهر لنا شيءٌ مما آدعاه هذا الكاتب من دلالة الآيات على رضا اللَّه عزَّ وجلَّ عن كل الصحابة مطلقاً ـ من مضى منهم ومن سيأتي .

الموقف الثاني : معركة أحد

لقد أنزل اللَّه في ما يتعلق بمعركة أُحُد ما يقارب ستين آية من سورة ال عمران ـ كما ذكر الكاتب ـ ولكنَّه لم يذكر من تلك الستين إلا ثلاث آيات أو أربع ، وكأنَّها ليس فيها أمر ذو أهميَّة للكاتب أو ممَّا يمس الصحابة فأهمل ذكرها ؟ ولعل فيها ما لا يوافق غرضه من الكتاب ؟

أو أنَّ فيها ما يوجب نقض غرضه ، خاصة مع ضمِّ الروايات المتعلقة

---

(١) تفسير الكشاف : ٢ / ٢٠٣ بتصرف .

بمعركة أحد ؟

فَلِمَ ـ يا أخي الكاتب ـ تحاول إخفاء الحقائق التاريخيَّة المتعلقة بالموضوع.

وهب أنَّ هذا تمَّ لك وقبلناه ؛ ولكن ما الموجب لإخفاء بعض الروايات المتوافرة في الصحاح والأسانيد ؛ والمُفَسِّرة لبعض الآيات النازلة حول المعركة ؟

ولو قبلنا أنَّ كتب المؤرخين والسِّيَر كانت كلها أساطير بنظرك ـ وإن كان نظراً قاصراً وغير ذي بعد علمي ـ فهل أنَّ صحيحي البخاري ومسلم أساطير ؟؟

وهل أنَّ كل كتب الحديث الأخرى أساطير أيضاً ؟

وهل يسوغ في البحث العلمي أن يرمي الباحث كل مادَّة علميَّة لا توافق رغباته وآراءه بأنَّها أساطير وترهات وخرافات ؟؟

فإلى متى إخفاء ما لا يمكن إخفاؤه يا أيها المدَّعون الإتباع للسنَّة ؟؟ .

المقطع الأول : مقدمات المعركة

لمَّا أن انهزمت قريش في معركة بدر اتَّعدت[1] لطلب الثأر فجمعت عدَّتها وعَتَادِهَا وتهيَّأت للثأر، فكتب العباس للنبي ﷺ بذلك ، فكان رأي النبي ﷺ أن لا يخرج من المدينة لرؤيا رآها، ولكنَّ الأنصار أشارت عليه بالخروج، ولمَّا همَّ ﷺ بذلك ولبس لأمَة[2] حربه ردَّت إليه الأنصار الأمر، وقالوا: لا تخرج ؛ فقال: الآن وقد لَبِستُ لأمَة حربي ولا ينبغي لنبي إذا

---

(١) أي أعطت وعداً على نفسها وعهداً منها، وأوعدت المسلمين بالعودة لقتالهم، ثأراً لما أصابهم من معركة بدر .

(٢) اللامة واللأمة : أداة الحرب من درع ومغفر وسيف

لبسها أن ينزعها حتى يقاتل ويفتح عليه [(١)].

وعلى هذا الأساس خرج الرسول ﷺ في أَلْفٍ من أصحابه، ولمّا وصلوا منطقة خارج المدينة انخذل عنه عبدالله بن أبي بن سلول في ثلث القوم، ولمّا وصل النبي ﷺ جبل أُحُد تحصَّن في سبعمائة من رجاله، وجعل خمسين رجلاً على الجبل وأمرهم بالثبات سواء انتصرنا أم هُزِمْنَا.

ولكنهم لمّا رأوا المسلمين قد انتصروا ودخلوا على المشركين يغنمون من أموالهم نزلوا عن الجبل خلافاً لأمر النبي، وبقي اثنان أو ما ينيف ، فلما رأى المشركون ذلك كرُّوا على المسلمين من فوق الجبل فجرى ما جرى على المسلمين من ويلات، فضُرِب النبي وشجَّ رأسه وكسرت رباعيته وأغمي عليه ، وقد فرَّ المسلمون لذلك... [(٢)].

المقطع الثاني : خديعة موت النبي ﷺ

قوله تعالى **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُل أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُم عَلَى أَعْقَابِكُم وَمَنْ يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ الشَّاكِرِين﴾** آل عمران : ١٤٤ .

كان المسلمون قد بايعوا النبي ﷺ على أن ينصروه ولا يخذلوه في موقف من المواقف، وقد سبق منّا بيان خذلان بعضهم له بالكلام قبل معركة بدر.

وأمّا في معركة أحد ففيها ظهرت خفايا نفوس لم تكن لتظهر لولا

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٧ .
(٢) صحيح البخاري : ٤ / ١٤٨٦ حديث ٣٨١٧ ، أنساب الأشراف ١ / ٣١٨ وغيرها من المصادر .

امتحان اللَّه لهم بهذه المعركة، فاعلم أنَّه لمَّا رمى ابن قمئة الحارثي رسولَ اللَّه بحجر فكسر رباعيَّته وشجَّ وجهه تقدَّم ليقتله، فذب عنه مصعب بن عمير حتى قتله ابن قمئة هذا، فظنَّ أنَّه قتل النبي فنادى ـ وقيل إنَّ المنادي هو الشيطان ـ أنْ: «قُتِلَ محمدٌ» ففشا في الناس خبر قتله فانكفأوا فناداهم رسول اللَّه : إلي يا عباد اللَّه.. فرجعت له فئة فَلاَمَهُم على هربهم[1] فقالوا يارسول اللَّه أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولَّيْنا مدبِرِين .

وقد روي أنَّه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين: ليت عبداللَّه بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان [2]، ولم يَرُق لهذا المُفَسِّر أن يذكر من هم أولئك البعض، ولكن في بعض كتب السير أنَّهم كانوا جماعة من كبار الصحابة .

وقد نقل السيوطي في تفسيره للآية فقال: ذلك يوم أُحُد حين أصابهم ما أصابهم من القتل والجرح ، وتداعوا نبيَّ اللَّه ؟ قالوا «قد قُتل»، وقال جماعة منهم: لو كان نبيَّاً ما قُتل، وقال أناس من عِلْيَةِ أصحاب النبي ﷺ: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيُّكم حتى يفتح اللَّه عليكم أو تلحقوا به.

وذكر لنا أنَّ رجلاً من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار يتخبط في دمه، فقال له أشعرت أنَّ محمداً قد قُتِل ؟ فقال الأنصاري: إن كان محمَّدٌ قد قُتِل فقد بلَّغ، فقاتلوا عن دينكم، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ

(١) وفي تفسير الطبري ٤ / ١٢١ أشار لما فيه تأنيب اللَّه عباده الذين فَرُّوا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم .
(٢) تفسير الكشاف : ١ / ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، تاريخ الطبري : ٢ / ١٧٩ ، مغازي الواقدي: ١ / ٢٨٠ ، تفسير ابن كثير: ١ / ٦٤٩ ، والسيرة النبوية له: ٣ / ٦٨ .

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ...﴾ يقول ارتددتم بعد إيمانكم [١].

المقطع الثالث: غلبة المسلمين لولا...شواهد بلسان الفارّين

قال تعالى ﴿وَلَقَد صَدَقَكُم ٱللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحِسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُم وَتَنَازَعْتُم فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَنْ يُرِيدُ الدُّنيَا وَمِنكُم مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُم لِيَبْتَلِيكُم وَلَقَد عَفَا عَنْكُم وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * إِذْ تُصعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم فَأَثَابَكُم غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلاَ مَا أَصَابَكُم وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *﴾ آل عمران: ١٥٢ ـ ١٥٣.

فقد بيّنت الآيات ظهور المسلمين على المشركين، وكاد النصر أن يكمل ولكنَّ رؤية المسلمين للغنائم أعجلهم بترك أماكنهم، فتنازعوا الترك وعدمه[٢]، وكانت كلمة الفصل بنزولهم عن الجبل الذي كان يكوّن ظهراً للنبي يحميه عن الأعداء، فما إن ارتفعت الحماية عن النبي ﷺ بعصيان المسلمين لأوامر النبيِّ حيث رأوا ما يُحبّون من الغنائم، حتى أجهز الكفار عليهم بأن تحوَّطوهم من أعلى الجبل بقيادة خالد بن الوليد، ولكنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ قد عفا عن أولئك العصاة وتفضل عليهم بالمغفرة [٣].

---

(١) الدر المنثور: ٢ / ٣٣٥.

(٢) قلوا: والله لنأتين الناس فنصيبَنَّ من الغنائم، فعصوا وانطلقوا ولم يبق منهم إلا عبد الله ومعه دون العشرة، صحيح البخاري: ٤ / ١٤٨٦ حديث ٣٨١٧.

(٣) ومما يؤسف له أنَّ هذا الكاتب لا يقتصر تقطيعه للنصوص والشواهد على كتب التاريخ والسيرة، بل تعدى حتى بالنسبة للقرآن، فنجده هنا يستقطع من الآية أولها وآخرها، ويكتفي منها بقوله ﴿ولقد عفا عنكم﴾، ولكن لا يغيب عن الاخ القارىء أنَّ العفو من الأمور ذات التعلق، فلو سأله شخص: عن أي شيءٍ عفا اللَّه عنهم، فإنَّ العفو فرع تحقق المعفو عنه، ولابدَّ أن يكون ذلك عن ذنب صدر منهم؟ كل هذه الاستفسارات حاول الكاتب إخفاءها عن القارىء.

ثمَّ بيَّنت موجب العفو عنهم، وهو الذنب الذي ارتكبوه في المعركة ولمَّا تنتهِ بعدُ، ألا وهو فرارهم من الزحف وهو المعبَّر عنه بقوله: ﴿تُصْعِدُون وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُم فِي أُخْرَاكُم﴾.

ولعلَّك لا تصدِّق بصدور هذا الذنب منهم ، والعلَّة هي كونهم صحابة[١]، فهاك بعض الشواهد على ما ذكرنا من الذنب [٢] والمعصية :

١ ـ قال محمد بن مسلمة: «سمعتْ أذناي وأبصرتْ عيناي رسول اللّه ﷺ يقول يومئذٍ وقد انكشف الناس إلى الجبل وهم يلوون عليه وإنَّه ليقول: إليَّ يا فلان ، إليَّ يا فلان ، أنا رسول اللّه ! فما شرح منهما واحد عليه ومضيا[٣].

وفي هذا أكبر شاهد على تحقق الفرار من بعض الصحابة، والفرار من الزحف يعدُّ من الكبائر، بل من أكبر الكبائر .

٢ ـ فقد روت أمُّ المؤمنين عائشة عن أبيها: «كان أبوبكر إذا ذكر يوم أحد بكى ثمَّ قال: ذاك يوم طلحة...ثمَّ أنشأ يحدث قال: كنتُ أول من فاء[٤] يوم أحد..فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول اللّه فقلت: كنْ طلحة التيمي حيث فاتني مافاتني، يكون رجلاً من قومي ...» [٥]، ولا يخفى أنَّه مع اعترافه

---

(١) والعجب لا ينقضي منهم ! إذ كيف يحاولون إثبات صدق صحبتهم من مثل هذه الآية بتصريحها بالعفو عنهم، ويثبتون من جهة أخرى أنَّهم مفعوٌّ عنهم لكونهم من الصحابة ، ألا يلزم الدور الباطل من هذا الاستدلال ؟؟

(٢) فقد كان الصحابة أنفسهم يعدونه ـ على بساطتهم ـ ذنباً ويعترفون به ، فما الداعي لك أيها الكاتب لأن تنفي عنهم ما يثبتونه لأنفسهم ؟ .

(٣) شرح نهج البلاغة : ١٥ / ٢٣ ـ ٢٤ عن مغازي الواقدي .

(٤) فاء : رجع .

(٥) الطبقات لابن سعد : ٣ / ١٥٥ ، السيرة النبوية لابن كثير: ٣ / ٥٨ ، كنز العمال: ١٠ / ٢٦٨ ، البداية والنهاية: ٤ / ٢٩ ـ ٣٢ ، تاريخ الإسلام للذهبي : ص ١٩١ ،

بالفرار يتمنى أن يكون المنافح عن رسول الله هو طلحة بن عبيد اللّه التيمي لأنّه من قومه، ولكنَّ أمنيته لم تتحقق فقد كان طلحة من الفارِّين أيضاً، فاستمع لهذا الخبر لتعرف ذلك:

٣ ـ «لمَّا دوَّن عمر الدواوين جاء طلحة بنفر من تيم يستقرض لهم وجاء أنصاري بغلام مصفَّر سقيم، فسأل عنه عمر فأُخبِر أنَّه البراء بن أنس بن النضر ففرض له أربعة آلاف ، وفرض لأصحاب طلحة ستمائة فاعترض طلحة، فأجابه عمر إني رأيت أبا هذا جاء يوم أُحُد وأنا وأبوبكر قد تحدثنا: أنَّ رسول اللّه قد قُتِل ؛ فقال : يا أبا بكر ويا عمر: مالي أراكما جالسين؟ إن كان رسول اللّهِ قُتل فإنَّ اللّه حي لا يموت»[1].

فإذا ثبت كون طلحة فوق الجبل معهما فهو من الفارِّين أيضاً، ولعله فرَّ بعدهما وكان نظر الأول للرجل مع الرسول سابقاً على ذلك، ولمَّا وصل لهما جرى بينهما ما جرى [2].

وقال أنس بن مالك «إنَّه لمَّا انتهى إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد اللّه في رجال من المهاجرين والأنصار قد ألقوا بأيديهم، فقال ما

المستدرك للحاكم : ٣ / ٢٧ ، تاريخ الخميس : ١ / ٤٣١ ، وغيرها من المصادر، والمناسب ذكره أنَّهم يروون: «أنَّ أبابكر أشجع الناس لأنَّه ثبت مع النبي مدافعاً عنه يوم بدر، في عريش النبي » مجمع الزوائد ٩ / ٤٦١ ، وقد ينسبون الرواية إلى علي عليه السلام حتى تكون أقرب للقبول ، ولكن للأسف فالرواية قد رواها بلا إسناد، وقال عنها الهيثمي: فيها من لم أعرفه ، بل يكذبها صحيحة ابن إسحاق من أنَّ سعد بن معاذ هو الذي كان يحرسه يوم بدر ؛ عيون الأثر لابن سيد الناس ١ / ٢٥٨ ، فتأمل !!.

(١) تاريخ الطبري : ٢ / ١٩٩ ، لباب الآداب : ص ١٧٩ .

(٢) ولا يخفى أنَّ تمني الخليفة أبي بكر كون الرجل طلحة ؛ لا يثبت أنَّه كذلك ، فلعله كان رجلاً آخر، وبهذا التشكيك يستقرب ما ذكرناه من أنَّه من الفارِّين أيضاً .

يجلسكم ؟ قالوا: قُتِل محمد رسول اللّه (١).

٤ ـ كان عثمان ممَّن فرَّ وجاء بعد ثلاثة أيام من الواقعة فقال له رسول اللّه ﷺ : لقد ذَهَبْتَ بها عريضة (٢).

٥ ـ قال الذهبي: انهزم الناس عن رسول اللّه ﷺ يوم أحد فبقي معه أحد عشر رجلاً، وقال أُفرِد يوم أحد في سبعة نفر من الأنصار وآثنين من المهاجرين (٣)، وقيل: معهم سهل بن حنيف .

٦ ـ أخفى عثمان بن عفَّان أحد جنود قريش وهو معاوية بن المغيرة بن أبي العاص «ابن عمه» وقد أخبر اللّهُ نبيَّه بذلك فأصدر أوامره بجلبه وقتله، ولمَّا جاءوا به ادَّعى عثمان أنَّه جاء يطلب الأمان له ! فأعطاه الرسول الأمان له ثلاثة أيَّام، لكنَّه لم يخرج وبقي ثلاثاً يستعلم أخبار الرسول ليأتي بها قريشاً، ولما عاد الرسول ﷺ في اليوم الرابع فرَّ معاوية، فأدركه زيد بن حارثة وعمار بن ياسر فرمياه حتى قتلاه (٤).

---

(١) الكامل في التاريخ : ٢ / ١٥٦ ، دلائل النبوة : ٣ / ٢٤٥ ، وقد نصَّ في مجمع الزوائد على أنَّ من الفارِّين أبو بكر وعمر فراجع: ٩ / ١٢٤ وذلك بإخراج الطبراني والبزار، كما أنَّ رجال الثاني هم رجال الصحيح إلا محمد بن عبد الرحمن ومحله الصدق .

أقول: وليس يضر ذلك عندهم ما دام اللّه عزَّ وجلَّ قد عفا عنهم وغفر لهم تلك الخطيئة ، وهذا ليس مطلبنا، ولكن يكفينا منه ثبوت أنَّ من الصحابة من لم يكن بتلك المرتبة التي تنسب له من قبل المتأخرين عن تلك الحقبة الزمنيَّة، إذ مع اعترافهم أنفسهم بذلك فما الداعي لإنكارنا وقوعه منهم ؟.

(٢) الكامل في التاريخ : ٤ / ٢٨ ، تاريخ الطبري : ٢ / ٦٩ ، السيرة الحلبيَّة : ٢ / ٥٠٤ ، وقيل بأنَّه وصل في فراره إلى ينبع وكما حدَّث هو عن نفسه .

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ص ١٩١ ، صحيح مسلم : ٥ / ١٧٨ ، أقول : كان الاثنان من المهاجرين هما علي ابن أبي طالب وسهل بن حنيف ، ولكن أقلامهم تأبى عن ذكر ذلك، فلاحظ الرسالة العثمانيَّة ص ٢٣٩ ، وكذا شرح النهج: ١٣ / ٢٩٣ .

(٤) النزاع والتخاصم: ص ٢٠، السيرة الحلبيَّة: ٢ / ٢٦٠

٧ ـ ذكر الحاكم عن سعد «لمَّا جال الناس عن رسول اللَّه ﷺ تلك الجولة تنحيتُ، فقلتُ: أذود عن نفسي، فإمَّا أن أُستَشْهد وإمَّا أن أنجو..إلى أن قال: فقال رسول اللَّه ﷺ أين كنتَ اليوم يا سعدُ؟ فقلتُ: حيث رأيتَ»[١]

وغيرها الكثير من المواقف والحوادث التي يتنزه القلم عن ذكرها، ويترفع عن التعرض لها، لوضوحها ومعرفة كل أحد بها.

ولا ينقضي العجب من هذا الكاتب وأمثاله حيث يحاولون التصفيق بيد واحدة، فيرموا عن غير قوسهم، ويركبوا غير مركبهم، كل ذلك انتصاراً لأقوام ذهبوا بأعمالهم ولهم حسابهم الخاص عند اللَّه .

ولعلَّهم أسفوا لمَّا لم يشاركوهم في مثل تلك الأمور، فقاموا للدفاع عنهم حتى ينالوا ما نالوا ؟؟

المقطع الرابع : القران يتحدث عن الفارِّين

قوله تعالى **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُم يَوْمَ ٱلتَقَى الجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱستَزَلَّهُم الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُم إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيم﴾** الأنفال : ١٥٥ .

فإنَّ الآية أصرح ممَّا قبلها في بيان تحقق الفرار من الزحف خوفاً من المشركين، ففي تفسير الكشاف التصريح بأنَّه لم يبقَ مع الرسول إلا سبعة أو أحد عشر أو اثنا عشر..، وفي دلائل النبوة للبيهقي عندما سُئِلَ ﷺ عن الفارِّين من أرض المعركة يومئذٍ، قال: كفر عامَّتهم [٢].

وروى الشيخ المفيد من طرقنا عن علي عليه السلام لمَّا انهزم الناس يوم أحد عن رسول اللَّه لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قط، ولم أملك نفسي،

---

(١) المستدرك للحاكم النيسابوري : ٣ / ٢٦ .
(٢) دلائل النبوة : ٣ / ٢٨٣ .

وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعتُ أطلبه فلم أره، فقلتُ ما كان رسول اللّه ليفرَّ وما رأيته في القتلى ، وأظنه رُفِعَ من بيننا إلى السماء، فكسرتُ جفن سيفي وقلت في نفسي: واللّه لأقاتلنَّ به عنه حتى أُقتَل، وحملتُ على القوم فأفرجوا عني فإذا أنا برسول اللّه قد وقع على الأرض مغشيّاً عليه، فقمتُ على رأسه فنظر إليَّ فقال: ما صنع الناس يا علي ؟ فقلتُ: كفروا ؛ يا رسول اللّه وولَّوْا الدُّبُر من العدو وأسلموك...»[1].

وإن كان العامَّة سيأولون الكفر هنا بأنَّه ليس المقابل للإسلام ولا الإيمان، بل المراد به كفر النعمة ليس إلا ، ولا مشاحة في الاصطلاح، ولكن فليقبلوا هذا التأويل والتوجيه منَّا ـ نحن الإماميَّة ـ في بعض الصور والأحوال أيضاً، لتساوي الدلالات حينئذٍ .

وعلى كل حال فليس غرضنا بيان حكمهم ، من حيث الثبات أمام العدو أو الفرار، ولكنَّها روايات تُذكر في الباب فأحببنا ذكرها، تنويهاً على حال الصحابة، في مقابل ما دلَّس به هذا الكاتب على القُرَّاء من إخفاء ما ينبغي إظهاره، أو التمسك بما هو ظاهر من صفاتهم لكل أحد وتعميمها على جميعهم ، وكأنَّه ليس يوجد غيره من صفات وأحوال .

وأمَّا آخر هذا المقطع، والذي اقتطع الكاتب مثيله من آية أخرى، وهو صدور العفو من ساحة القدس الإلهي ـ وهو العفوُّ الكريم ـ فهو مزيد تفضل ومنَّة من اللّه عزَّ وجلَّ عليهم، لعلَّهم يتَّقُون في مستقبل أيامهم ولا يرجعوا

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد : ١ / ٧٨ ، ولا يخفى أنَّ عطف تولية الدبر على الكفر يكشف عن التغاير بين المعنيين، وفي هذا ردٌّ لمن قال بأنَّ المراد بالكفر نفس الفرار وتولية الدبر، بل عقَّب على ذلك بقوله «وأسلموك» أي أنَّهم أسلموا النبي للكفار يصنعون به ما لا يستطيعوا فعله في ما لو كان المسلمون معه .

إلى مثلها، وذلك من حيث إنَّ الشيطان قد استزلَّهم فتابعوه، خاصة وأنَّهم قد سبق منهم بيعته ﷺ على أن ينصروه ويؤازروه وأن لايخذلوه، فكان ذلك منهم خروجاً عن عهدهم، ونقضاً له، ومع كلِّ هذا فقد عفا اللّٰه عنهم

والسؤال الذي أثاره هذا الكاتب، ونحتاج للإجابة عليه هو: أنَّ عفو اللّٰه ومغفرته عنهم عفوٌ عن كل ذنوبهم حتى المستقبليَّة منها، فضلاً عن الماضية فيما قبل المعركة ؟ أم أنَّه عفوٌ عمَّا صدر منهم في هذه المعركة من الفرار الذي صدر منهم ليس إلا ؟

إنَّ الذي يُستفاد بل يَنُصُّ عليه بعض المفسرين كتفسير ابن كثير والكشاف والبيضاوي والرازي، بل الجلُّ منهم أنَّه عفوٌ عمَّا صدر منهم هنا في هذه الواقعة، إذن فتعدية العفو لغيره من المعارك أو المواقف، فضلاً عمَّا صدر قبلها أو يصدر بعدها في مستقبل أيَّامهم ليس منظوراً إليه في الآية إطلاقاً.

فمن يدعيه يُحمِّل النص ما لا يتحمل، بل ينسب إلى القرآن وإلى الرسول، بل إلى اللّٰه عزَّ وجلَّ ما لم يقله وما لم يُرِده، بلا دليل أو بينة وبرهان مبين.

وما الداعي إلى أن يعفو عنهم فيما يصدر عنهم مستقبلاً ؟

وهل هو إلا تغريرٌ بهم وإلقاء لهم في المعصية.

وبعد ذلك ما فائدة التكليف لهم، إذ أنَّهم معفوٌّ عنهم في كل ما يصدر أو سيصدر عنهم مستقبلاً، فهم في الجنَّة على كل حال أحسنوا أو أساؤا ؟!.

وأي عاقل يرى أنَّ عفو السيِّد عن مولاه وعبده في ذنبٍ صدر منه في

يومٍ ما بأنّه عفوٌ صدر منه في حق كل ذنوب عبده ذاك ؛ السابقة والمستقبلة ؟؟

حاشا وكلاَّ للعقلاء أن يدَّعُوا ذلك !

المقطع الخامس : ردة الفعل المعاكسة

قوله تعالى : ﴿الذِّينَ ٱستَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُم القَرْحُ لِلذِّينِ أَحْسَنُوا مِنْهُم وَٱتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ * الذِّينَ قَالَ لَهُم النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُم فَاخْشَوهُم فَزَادَهُم إيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ *﴾ آل عمران : ١٧٢ ـ ١٧٣ .

لمَّا رجع المسلمون من أُحُد سمعوا بأنَّ أبا سفيان يهمُّ بالرجوع لهم وإعادة الكرَّة عليهم في المدينة، فتهيأ النبي ﷺ للقتال وعزَّم بأصحابه أن يهبُّوا معه، فخرجوا بعد لأْيٍ شديد، وامتناع من البعض[1]، والبعض استجاب مباشرةً، فخرجوا وخيَّموا في حمراء الأسد، ولكنَّ اللّه عزَّ وجلَّ قد أرعب قلوب المشركين فرجعوا إلى مكَّة، ولم يتقدموا إلى المسلمين، فرجع المسلمون سالمين في أنفسهم، وقد تفضل اللّه عليهم بالنعم، واختلف فيها: فقيل هي السلامة، وقيل التجارة التي ربحوها، وقيل رضا اللّه وعفوه عنهم، وقيل إرعاب المشركين..

وعلى كلّ حال فالآية متصلة بما قبلها، فالاسم الموصول هنا راجع للمؤمنين المذكورين في الآية السابقة، فهم الذين استجابوا للّه وللرسول، ولذا قال النبي ﷺ: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة بالأمس .

---

(١) إذ أنَّ من أخبرهم بعزم أبي سفيان ـ وهو أبونعيم وقيل غيره وهو المقصود من كلمة الناس ـ الرجوع ، قد أرعبهم منه وخوَّفهم لقاءه، علاوة على كثرة الجرحى بينهم

ولكنَّ تتمة الآية فيها مزيد اختصاص لجماعة منهم ـ في ما لو بنينا على أنَّ كلمة «منهم» للتبعيض ـ فمفادها أنَّ الذين أحسنوا واتقوا من الذين استجابوا، لا كل الذين استجابوا، فهي تتعرض لحكم مَنْ أحسن وآتقى ممَّن استجاب فقط، وهذا هو المعنى الظاهر منها.

خلافاً لما ذكره صاحب الكشَّاف والفخر الرازي وغيرهم من دعوى إرادة التبيين، وأنَّ كل الذين استجابوا أحسنوا واتقوا، فهي دعوى بلا برهان، إذ أنَّ إحسانهم مشكوك فيه، خاصة بعد أن صدر منهم ما صدر في الأمس المذكور وهو يوم أُحُد، ولذا ذكر في الكشاف أنَّ النبي ﷺ قال لهم : سوف أخرج ، وأقاتلهم ، ولو كنت وحدي: «حسبنا آللّه ونعم الوكيل» .

الموقف الثالث : معركة الخندق

وقد سُمِّيت الأحزاب لتحزب قريش والقبائل واليهود وكانوا نحو عشرة آلاف فارس، والمسلمون كانوا ثلاثة آلاف ، وفي هذه المعركة الكبيرة نزل ما يصل إلى تسع آيات من سورة الأحزاب .

ولكنَّ هذا الكاتب ـ كعادته ـ اقتصر منها على ثلاث آيات وهي مما يوافق هواه، وترك ما يمكن أن يخدش بكرامة مَنْ ينافح عنهم مستميتاً بماله ودمه وقلمه وفكره، فاستمعْ لهذه الآيات لترى صحَّة دعوانا وكذب دعواه على إطلاقها:

المقطع الأوَّل : صور من نعم اللَّه...

قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آذكُرُوا نِعْمَةَ آللَّهِ عَلَيكُم إِذْ جَاءَتْكُم جُنُودٌ فَأَرسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وكَانَ آللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً * إِذْ جَاءُوكُم مِن فَوْقِكُم وَمِن أَسْفَلَ مِنكُم إِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَت القُلُوبُ الحَنَاجِر وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ**

الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ٱبْتُلِي الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً *﴾ الأحزاب : ١١ .

في هذه الآيات تذكير من ٱللّه عزَّ وجلَّ بنعمته على المسلمين بأن أعانهم على ردِّ تلك الجنود حيث جاءوهم من جانبين: من الأعلى وهم اليهود والقبائل، ومن الأسفل وهم قريش.

كما بيَّنت الآيات الحالة النفسيَّة للمسلمين من خلال الفزع الذي انتابهم بصورتين: زاغت الأبصار ؛ أي مَالَتْ وكادت أن تأفل وتطير من محلها، وبلغت القلوب الحناجر، كنايةً عن قرب الموت لهم.

فظنوا ظنَّ السوء بالنبي ونبوَّة النبي فقالوا: لو كان نبي حقٍّ لما خذله ربُّه، وهو ظنٌّ سوء باللّه عزَّ وجلَّ، وشكٌّ في حقيَّة رسالة النبي ﷺ .

وإليك شاهداً على ذلك الخوف والقلق النفسي والشك الذي انتابهم: فقد ذكر البيهقي[1] في سننه الكبرى عن حذيفة: قال رجل: لو أدركتُ رسول اللّه قاتلتُ معه أو أبليتُ ، فقال له حذيفة أنتَ كنتَ تفعل ذلك ؟ لقد رأيتنا مع رسول اللّه ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة ومرَّ ﷺ فقال: ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة فلم يجبه منَّا أحدٌ، ثمَّ نادى الثانية ثمَّ قال: يا حذيفة قم فأْتِنَا بخبر القوم، فلم أجد بدَّاً من ذلك، وقد ذكر اسمي..

وقد رواه مسلم أيضاً[2].

ومن عباراتهم قول معتب بن قشير: كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ونحن لا نقدر الآن أن نذهب إلى الغائط[3].

---

(١) سنن البيهقي : ٩ / ١٤٨ .
(٢) صحيح مسلم : ٣ / ١٤١٤ .
(٣) تفسير الكشاف : ٣ / ٥٢٦ .

وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ خطاب للذين آمنوا، هذا مع أنَّ منهم الثابت القلب والقدم، هذه طائفة خاطبها القرآن، والطائفة الثانية الذين هم على حرفٍ، والثالثة هم المنافقون الذين لم يكن الإيمان إلا بألسنتهم.

فأمَّا قول المنافقين؛ فقد حكاه القرآن، وأمَّا قول مرضى القلوب فهو ما حكيناه سابقاً عن معتب وأمثاله، وأمَّا قول المؤمنين فهو: أنَّنا مُبْتَلَوْن من اللَّه في هذه الوقعة، ولذا حكى عنهم القرآن ﴿..وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً..﴾

وأمَّا ضعاف القلوب فهم الذين قالوا ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً..﴾

المقطع الثاني:...وكان عهدُ اللَّه مسؤولاً

قوله تعالى ﴿وَلَقَد كَانُوا عَاهَدُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولاً * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُم الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُم مِن المَوتِ أَوْ القَتْلِ وَإِذاً لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً *﴾ الأحزاب: ١٥ ـ ١٦.

من الأمور التي أوجبت زيادة خوف المسلمين ووجيبهم هو مخالفة بعض القبائل لهدنتها مع النبيِّ، ونقضها للعهد المضروب منهم للنبيِّ بأن لا يحاربوه ولا ينتصروا لغيره عليه، وهذا الذي أوجب لهم الخوف ونقض ما عاهدوا رسول اللَّه عليه في بيعتهم لهم بعد تراجعهم له في أحد حيث أخذ العهد عليهم أن لا يفروا ثانية وإلا نزل بهم العذاب، وبأن لا يولُّوا الأدبار، ولا يفرُّوا من الزحف، والتقريع والإيعاد من اللَّه لهم واضح من قوله ﴿وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولاً﴾، فإنَّهم سيسألون عن ذلك العهد، وما كان منهم اتجاهه، وهل حافظوا عليه أم نقضوه وجعلوه وراء ظهورهم؟

ثمَّ يعقب على ذلك بأنَّ الفرار الذي صدر منكم لن ينفعكم، فإنَّ الموت ليس ممَّا يختصُّ تحققه بأرض القتال والمعركة، بل هو بيد اللَّه يجعله حيث يشاء ويوقعه بمن شاء وقتما يشاء.

ونضيف هنا توضيحاً للإشكال: إنَّ الذين عاهدهم اللَّه على عدم الفرار هل هم الصحابة أم المنافقون أم الكفار؟ وهل أنَّ الفرار وقع منهم أم لا؟ وهل حصَّلوا على ما أمَّلوا من الفرار أم لا؟

نرجو من الكاتب أن يتأمل في النصوص القرآنية جيداً قبل أن تمسك يده بالقلم مرَّة أخرى.

المقطع الثالث: من الذي لم يؤمن واقعاً؟

قوله تعالى: ﴿**قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**﴾ الأحزاب: ١٨ - ١٩.

إذا دخلت كلمة قد على المضارع تفيد توقع الحدوث، أو كثرته، ولكنَّها باعتبار نسبة ذلك للَّه فهي تفيد حتميَّة ذلك، ولعلَّ الإخبار بقد لإيهامهم عدم علم اللَّه بواقع حالهم، وحقيقة الأمر أنَّ اللَّه يعلم حال هذه الطائفة من الصحابة، فهم ظاهراً مؤمنون، بل يتظاهرون بذلك أمام المؤمنين، ولكنَّهم إنَّما يسايرون المؤمنين لتثبيطهم عن الحرب والخروج مع الرسول ﷺ لمقاتلة المشركين بعد ذلك، وكانوا يقولون: ماكان محمدٌ وأصحابه إلا أكلة رأس، ولوكانوا لحماً لأكلهم أبو سفيان.

فكانوا يستدعون ضعاف القلوب من الصحابة إليهم ويثبطونهم عن القتال، لكنَّ كلَّ هذا لا يعني أنَّهم لم يكونوا من الصحابة ظاهراً، خاصة على معنى الصحبة عندكم، وهو: من رأى النبي زماناً، أو مَن رآه وصحبه وروى عنه.

وكذا على المعنى المختار لك أيها الكاتب بأنَّ الصحابي من آمن بالنبي وصحبه ولو لفترة، ولا شكَّ أنَّ هؤلاء ممَّن رآه وآمن به، ولكن هكذا تكون القلوب المريضة التي لم تؤثر فيها الصحبة، وكما وصفها القرآن فقد قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[1]، فتراهم يُسايرون المؤمنين إلا أنَّ قلوبهم ليست معهم، ويخافون أن يتخطفهم الموت، والمعبَّر عنه في الآيات بالبأس، فلا يقدمون عليه إلا للدفاع عن أنفسهم.

ولكن بعد انتهاء المعركة يُحادُّون المؤمنين بألسنتهم طلباً للغنائم، وكأنَّهم قاتلوا معهم، ولذا أخبر في آخر الآية بأنَّهم يُظهرون لكم الإيمان، ولكنَّهم ليسوا مؤمنين واقعاً :﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾.

ولا داعي للتكلف مِن قِبَل بعض المفسرين بأن يقولوا عنهم بأنَّهم طائفةٌ أخرى لم يتحقق منهم الإيمان أصلاً، فإنَّ هذا المعنى الذي ذكروه ينافي الحكم بإحباط أعمالهم، فإنَّ إحباط العمل ليس إلا بعد صدور العمل الصالح الحسن دون السيىء، ولو لم يكن منهم عمل صالح سابقاً لما كان داعٍ للحكم بالحبط كما لا يخفى !

المقطع الرابع : من آمن وصدَّق وآزر ؟

---

(١) البقرة : ١٤.

قوله تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُه وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُه وَمَا زَادَهُم إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً *﴾الأحزاب: ٢٢ .

هذا بيان لقسم من الصحابة الذين قد ناصروا النبيَ وصدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، وهم الذين بلغوا من الإيمان الدرجة الكبيرة، ولذا فلم يزدهم تجمُّع الأحزاب خوفاً، و لم يورثهم شكاً في دينهم، أو في رسالة نبيهم، كما وقع ذلك للطائفة السابقة من الصحابة فقال حاكياً حالهم: ﴿وَيَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾، حيث ظنُّوا ظنَّ الجاهليَّة ، ولكنَّ هذا ليس مدحاً لكل الصحابة ؛كما هو واضح .

ومَن يدَّعي ذلك فليراجع معلوماته الأدبيَّة، ومعارفه في مبادىء اللغة العربيَّة .

وعلى هذا يتَّضح أنَّ الصحابة لم يكونوا كلّهم على نسقٍ واحدٍ، وفي درجة واحدة من الإيمان بالنبي وبحقيَّة رسالته، بل كانوا يتفاوتون في ذلك، وهذا في حد ذاته ليس عيباً فيهم، ولكنَّ العيب والنقص فيمن يدعي لهم ما لا يدعونه لأنفسهم.

ويكفينا دليلاً على ذلك ما مرَّ سابقاً في عدَّة مقاطع من اعترافاتهم بالفرار وبالخذلان وبالخوف وبالجبن وبالشك .

المقطع الخامس : بطل المعركة الخالد أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام: فمن المؤسف جدَّاً أن يحاول هذا الكاتب اللفَّ والدوران حول آيات العفو والغفران للصحابة، ويعطف على ذلك بآيات التأييد والنصر من قبل ٱللّه عزَّ وجلَّ للمؤمنين، دون تعرض لمن تمَّ النصر والتأييد على يده وبسيفه .

ففي معركة بدر الكبرى كان أكثر قتلى المشركين بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكذا في أُحُد، وهكذا في معركة الخندق هذه.

فمن الذي برز لعمرو بن عبد ود العامري حينما طلب المبارزة من المسلمين ؟ هاك النصوص التي تحكي ذلك:

١ ـ قال حذيفة لبعضهم:...«يا لُكَع وكيف لا يحتمل؟ وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة ـ يعني نفسه ـ وجميع أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبد ودٍّ، وقد دعا إلى المبارزة فأحجم الناس كلهم ما خلا عليّاً، فإنَّه برز إليه وقتله اللَّه على يده.

والذي نفس حذيفة بيده لَعَمَلُهُ ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة»[١].

٢ ـ روى الحاكم في المستدرك قول النبي صلى الله عليه وآله: لَمُبَارَزَةُ علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ودٍّ يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة»[٢].

وفي لفظ آخر أفضل من عبادة الثقلين، وفي ثالث تعدل عمل الثقلين.

فيا ترى لو سألنا هذا الكاتب : هل كان من الحق والعدل والإنصاف أن تهمل ذكر رجل كان سبب النصر في تلك المعركة بل في غيرها أيضاً، محاولاً إخفاء الحقيقة الناصعة، وتجعله كأحد عامَّة الصحابة الذين

---

(١) الإرشاد للمفيد : ١ / ١٠٢.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٣ / ٣٢ ـ ٣٤، وراجع ما يقرب من هذه الألفاظ : تاريخ بغداد: ٣ / ١٩ ، مناقب الخوارزمي: ص ١٠٤ ، المغازي للواقدي: ٢ / ٤٧٠ ـ ٤٧١ ، عيون الأثر: ٢ / ٦٢ ، نهاية العقول للرازي: ص١٠٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٤ / ١٢٢ ، دلائل النبوة: ٣ / ٤٢٢ ، سيرة ابن هشام: ٣ / ٢٦٥ ، الطبقات لابن سعد: ٢ / ٦٨ ، السيرة الحلبيَّة: ٢ / ٣٢٠.

تمتدحهم لمجرد صحبتهم ؟

وهل تعدل مَنْ تساوي أو تفضل ضربَتُه فقط في ذلك اليوم لعمرو بن عبد ودّ كل أعمال الثقلين بل عبادتهم، وإلى يوم القيامة، تعدله بمن جبن عن قتال الأبطال ؟

فما لكم كيف تحكمون !!؟

وهل بقي المسلمون وتمَّ لهم النصر لولا سيف علي عليه السلام في ذلك اليوم، وفي غيره من أيَّام المسلمين، فأين تشدقك في الكثير من خطبك وكلماتك عبر الإنترنت وغيره بحب علي ، وبأنَّك الموالي له والمحب، والمبغض لعدوه ؟؟ وهل ينفتل المحب عن ذكر محبوبه ؟؟

أم هل يقدر المحب على أن لا يطيع محبوبه ؟ بل يرى اللذَّة كل اللذَّة ومنتهى الكمال أن يتوصل لإداء فرض المحبَّة من الطاعة والولاء ، أليس كذلك أيها المحب الواله !!؟

الموقف الرابع : ما يتعلق بصلح الحديبيَّة

لقد وقع صلح الحديبيَّة في السنة السادسة من الهجرة، ومنشأ ذلك: أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قد رأى رؤيا أنَّه دخل البيت، وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرَّف مع المعرِّفين، فخرج ومعه ألف وأربعمائة من أصحابه، وكان خارجاً قاصداً للعمرة لا الحرب، فمنعته قريش من دخول مكَّة ، وتمَّت المراسلات بينهم حتى تمَّ الصلح المذكور، وكان الكاتب للصلح هو علي عليه السلام [1]، فكان سلام الله عليه هو مبعوث الرسول صلى الله عليه وآله إلى قريش [2]، وكان

(١) روى في المصنف ٥/ ٣٤٣ رقم ٩٧٢١ عن عكرمة بن عمار قال: أخبرنا أبو

الصلح بشروط معينة مذكورة في محلها .

وهنا عدَّة مقاطع:

المقطع الأول : الفتح المبين..بين إرادة اللّه ونظرات الصحابة

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً * لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ..﴾ سورة الفتح : ١ ـ ٢ .

والمراد أنَّ اللّه عزَّ وجلَّ سيرزقك الفتح المبين مستقبلاً، وهذا الصلح مقدمةً له ليس إلا، بل هو الفتح واقعاً حيث إنَّ قريش اعترفت بوجود مستقل للنبي ﷺ، ولرسالته وللقوة التي عنده، فاضطرت للمصالحة معه والمهادنة لمدَّة عشر سنين ، فجرى الصلح كما أراد النبي بإرادة اللّه، ولكنَّ قِصَر نظر البعض أوجب امتناعهم عن ذلك وتأبيهم عن قبوله، فصدر منهم ما أغضب الرسول ، فاستمع لهذا الكاتب ما يقول: «الاشتياق إلى مكَّة يفوق الوصف، وقد بُشِّروا بدخولها، ولكنَّ محبَّتهم للرسول وطاعته والتأسي به والزهد في الدنيا والرغبة فيم عند اللّه هي سمة ذلك الجيل»[3].

واقرأ ما نتلوه عليك هنا لترى صحَّة دعواه من كذبها:

١ ـ روى البخاري أنَّ عمر بن الخطاب كان يسير مع النبي ﷺ ليلاً فسأله عمر عن شيءٍ فلم يُجبه رسول اللّه ﷺ، ثمَّ سأله فلم يجبه، ثمَّ سأله

زميل سماك الحنفي أنَّه سمع ابن عباس يقول: كاتب الكتاب يوم الحديبيَّة علي بن أبي طالب وقال معمر: سألتُ الزهري فضحك وقال: هو علي بن أبي طالب ولو سألت عنه هؤلاء ـ يعني بني أميَّة ـ لقالوا: عثمان .

(٢) تاريخ الطبري : ٢ / ٦٣٠ .

(٣) صحبة رسول اللّه : ص ٢٩ ـ ٣٠ .

فلم يجبه، فقال عمر ـ يخاطب نفسه ـ ثكلتك أمُّك يا عمر ؛ نزرت رسول اللّه ﷺ ثلاث مرات كلّ ذلك لا يجيبك.

قال عمر: فحركتُ بعيري ثمَّ تقدمتُ أمام المسلمين وخشيت أن ينزل فيَّ قرآنٌ، فما نشبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخ بي، قال : لقد خشيتُ أن يكون نزل فيَّ قرآنٌ، فجئت رسول اللّه فسلَّمت عليه، فقال: لقد أنـزلت عليَّ الليلة سورة لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس، ثمَّ تلا: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾[1].

٢ ـ قال في الدرر الكامنة[2]: عظم الصلح على نفر من المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام.

أقول : ولم يصرح بهذا البعض من هو تحاشياً عن ذكر اسمه لئلا يستلزم منقصة توجب زوال الهالة القدسيَّة حوله، لكونه من كبار الصحابة، مع عدم توجههم إلى أنَّ ذلك الشخص يعترف على نفسه بذلك ولا يجد في نفسه مانعاً عن ذكر هذا الكلام عنه .

٣ ـ روى البخاري[3]: قال فقال عمر بن الخطاب: فأتيتُ نبي اللّه ﷺ . فقلتُ: ألستَ نبي اللّه حقاً ؟

---

(١) قد حكى هذه النسبة للبخاري الكثير من المصادر، ولكنَّنا لم نعثر عليهافي الموضع المحتمل وجود الرواية فيه وهو: ٢ / ٩٧٨ ، ولكنَّ كل من ذكر الرواية نسبها للبخاري، فلعلها حُذِفت من الطبعات الجديدة، ومنها: تفسير القرطبي: ١٦ / ٢٥٩ نقلها بلفظ البخاري وفيه: ثكلت أم عمر، تفسير ابن كثير : ٤ / ١٨٤ وفيه: تقدمتُ مخافة أن يكون نزل فيَّ شيء، مسند أبي يعلى: ١ / ١٣٨ ، البداية والنهاية : ٤ / ١٧٦ ، الإمتاع: ص ٣٠٢ .

(٢) الدرر الكامنة : ١ / ١٩٣ .

(٣) صحيح البخاري : ٢ / ٩٧٨ برقم ٢٥٨١ ، صحيح مسلم : ٣ / ١٤١١، واللفظ هنا للبخاري .

قال: بلى .

قلتُ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟

قال : بلى .

قلتُ: فلمَ نعطي الدنيَّة في ديننا إذاً ؟

قال: إني رسول اللّه، ولست أعصيه وهو ناصري .

قلتُ: أو ليس كنت تحدثنا أنَّا سنأتي البيت فنطَّوَّف به ؟

قال: بلى فأخبرتك أنَّا نأتيه العام ؟

ثمَّ خرج من عنده وجاء أبا بكر وحدثه بما حدث به النبي ﷺ فأجابه بما أجابه.

قال الزهري: **قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً** !!![1]

٤ ـ قال الواقدي في مغازيه:...جعل عمر يرد الكلام على رسول اللّه...[2]

٥ ـ وفي نفس المصدر السابق: ارتبتُ ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمتُ إلا يومئذٍ ، وراجعتُ النبي مراجعة ما راجعته مثلها قط، ولو وجدتُ ذلك اليوم شيعةً ـ وفي رواية مائة على مثل رأيي ـ تخرج عنهم رغبة عن القضيَّة لخرجتُ[3] .

وفي هذا الكلام دلالة واضحة على الرغبة في التمرد على قرار النبي

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ٥٩ : إنَّ من الأعمال التي عملها أن قطع شجرة الرضوان التي بايع الناس عندها رسول الله، وكان المسلمون يأتونها فيتبركون بها، وقال السيوطي في تفسير هذه الآية: قال عمر: **ما شككتُ إلا يومئذٍ،** أقول: إنَّ متعلق الشك غير مذكور فلعله أبهم، والإبهام للتعميم والتعظيم!!.

(٢) كتاب المغازي : ٢ / ٦٠٦ .

(٣) مغازي الواقدي : ٢ / ٦٠٧ .

بالصلح ، ولكنَّ المشكلة هي عدم وجود الأنصار .

٦ ـ ذكرنا سابقاً: أنَّ النبي ﷺ أمر الصحابة بعد الصلح أن يحلقوا وينحروا هديهم، فلم يقم أحدٌ منهم ، فدخل إلى أمّ سلمة شاكياً لها حال أصحابه، فقالت: لا عليك منهم آخرج وآحلق .

فخرج وحلق وذبح فقاموا متثاقلين الواحد تلو الآخر، فحلق جماعة وقصَّر آخرون[1]، منهم عثمان بن عفَّان [2].

٧ ـ وبعد ذلك الصلح قال : رسول اللّه يرحم اللّه المحلِّقين.

قالوا: والمقصِّرين ؟

قال : يرحم اللّه المحلقين.

قالوا: والمقصرِّين ؟

قال : يرحم اللّه المحلقين.

قالوا : والمقصرِّين ؟

قال : والمقصرين .

قالوا : يارسول اللّه ؛ فلمَ ظاهرتَ الترحّم للمحلِّقين دون المقصرِّين ؟ قال: لأنّهم لم يَشُكّوا [3].

المقطع الثاني : السكينة عامة أم خاصة ؟

قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ**

---

(١) البداية والنهاية : ٤ / ١٦٩ .

(٢) مسند أحمد : ٣ / ٨٩ حديث ١١٨٦٥، طبقات ابن سعد: ٢ / ١٠٤ .

(٣) مسند أحمد : ١ / ٣٥٣ حديث ٣٣١١ ، تاريخ الطبري : ٢ / ٦٣٧ ، البداية والنهاية : ٤ / ١٦٩ ، وفي رواية قال مالك بن ربيعة: وأنا محلوق يومئذٍ فما سرَّني حمر النعم أو خطر عظيم، الطبقات لابن سعد : ٢ / ١٢٤ .

إيمَانِهِم وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ الفتح : ٤ .

ليس من الأمور الخافية أنَّ السكينة التي أنزلها آللّـه هـي فـي قـلوب المؤمنين، لا في قلوب كل الصحابة، كما يمكن لهذا الكاتب أن يدعيه، إذ أنَّه قد مرَّ عندنا سابقاً ـ عبر بعض الآيات ـ نفيُ الإيمان عن بعض الصحابة واقـعاً، وإن كـانوا مـحكومين بـالإيمان عـلى حسب مـا يُـظهِرُونَهُ أمـام المؤمنين.

كما أنَّ منهم مرضى القلوب الذين تحدث القـرآن عـنهم فـي آيـات متعددة: ﴿ وأمَّا الذِّينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَتْهُم رِجساً إِلَى رِجْسِهِم ﴾[1]، ﴿ أفي قلوبهم مرضٌ أم آرتـابوا ﴾[2]، ﴿ فـترى الذيـن فـي قـلوبهم مـرضٌ يسـارعون فيهم ﴾[3].

فهل أنَّ السكينة التي أُنزِلَت عمَّتهم كلَّهم أيُّها الكاتب ؟ وقد رأينا أنَّ منهم الشاكَّ ومنهم المرتابَ ، ومنهم المنافِق ، والمثبِّط ، و..و..؟

المقطع الثالث : بيعة الرضوان...الأمل والمآل

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْ الْمُؤمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِم وَأَثَابَهُم فَتْحاً قَرِيباً ﴾

تتعرض هذه الآية لما وقع من بيعة الرضوان تحت الشجرة المعروفة بشجرة الرضوان، والتي قدَّمنا سابقاً أنَّ الخليفة الثاني قـطعها بـعد ذلك وفاءاً لوعده الذي ضربه على نفسه في صلح الحديبيَّة بـقوله: «فـعملتُ لذلك أعمالاً».

(١) التوبة : ١٢٥ .
(٢) النور : ٥٠ .
(٣) المائدة : ٥٢ .

حدَّث سلمة بن الأكوع فقال: بينما نحن قافلون من الحديبيَّة نادى منادي النبي ﷺ: أيّها الناس ؛ البيعة..البيعة ، قال: فسرنا إلى رسول اللَّه وهو تحت شجرة سمُرَة، فبايعناه، وذلك قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

كما قد ذُكِرَ في سبب نزولها: أنَّ الرسول ﷺ حين نزل الحديبيَّة بعث جوَّاس بن أميَّة الخزاعي رسولاً إلى أهل مكَّة، فهمُّوا به، فمنعه الأحابيش، فلمَّا رجع دعا عُمَرَ ليبعثه فقال : إنِّي أخافهم على نفسي، لِمَا عُرِف من عداوتي إيَّاهم، وما بمكَّة عَدَوِيٌّ يمنعني، ولكن أدلُّك على رجلٍ هو أعزّ بها مني وأحبّ إليهم: عثمان بن عفَّان فبعثه...»[١]

ولقد حاول هذا الكاتب أن يثبت أنَّ الصحابة كلَّهم ممدوحٌ ، وكلَّهم عدولٌ من خلال هذه الآية ، بقرينة أنَّ الرضا في الآية عامٌّ شاملٌ لكلِّ الصحابة، ولكنَّ ما رامه ليس ممَّا يمكن إثباته من هذه الآية فضلاً عن غيرها من الآيات لوجوه:

أولاً : إنَّ متعلق الرضا في الآية هو «**المؤمنين**»، وليس الصحابة لفظاً ولا معنى، وذلك لعدم اعتبار كل الصحابة مؤمنين، وهذا مسلَّم حتى بالنسبة للكاتب لو أعطى التأمل حقَّه ، فالمرضيُّ عنه مَن تعنون بعنوان المؤمن، وليس من اتصف بأنَّه من الصحابة، وإن كان المؤمنون من الصحابة ، لكن قد ثبت أن في الصحابة من خرج عن الإيمان، فلا تنافي بين الأمرين .

ثانياً : قد اعترف الكاتب بأنَّ منادي الجهاد نادى: لا يخرج معنا إلا من شهد الواقعة، فممَّن خرج معهم جابر بن عبد اللَّه وهو من الذين لم

(١) تفسير الكشاف : ٤ / ٣٣٩ ، وأخرجه أحمد من رواية عروة عن المسور ومروان

يشهدوا المعركة معهم[1]، لكنَّه من المؤمنين حقاً فلم يمانع النبي في حضوره معهم، وذلك لمعرفته به .

وممَّن كان في بيعة الرضوان عبدالله بن أبي رئيس المنافقين ، ومن المعروف المسلَّم أنَّ عبد الله هذا ممَّن شهد البيعة .

وممَّن حضر البيعة أيضاً الحرقوص بن زهير السعدي أو التميمي، وهذا صار من رؤوس الخوارج بعد ذلك، بل هو الذي قال للنبي «آعدل يا محمد»، وقد تقدم منَّا ذلك .

ثالثاً : إنَّ متعلق الرضا في الآية مبهم، وعلى هذا فلا يمكن لنا ولا له بأن نحدد متعلق الرضا ما هو ؟

ولكنَّ الذي يمكن البحث فيه هو أنَّ الإهمال لمتعلق الرضا لا يمكن من قبل الحكيم تعالى ، حيث يلزم أن يكون صدور الرضا منه تعالى عنهم سواء فعلوا ما يوجبه أو لا. وكذا الإطلاق غير ممكن في المقام، وذلك للزوم أن يصدر الرضا منه تعالى عنهم حال صدرو أي فعل، وفي كل زمان ـ الماضي والحاضر والمستقبل ـ ومكان ، وهذا ما لا يلتزم به عاقلٌ ، خاصَّة مع ملاحظة آيات العذاب لبعضهم وما نزل فيهم ، وتكفينا شاهداً على هذا سورة الفاضحة ـ التوبة ـ

إذن فليس إلا تقييد الرضا ، فلابدَّ من كون الرضا مقيَّداً بالرضا في زمان خاصٍّ وعن فعل مخصوص في ظرف قد اختصَّ به، والمرضيُّ عنهم جماعةٌ خاصَّة كما نصَّت عليه الآية، علاوة على كون ذلك غايته ذلك الزمان، دون ما بعده من الزمان .

---

(١) صحبة رسول الله ﷺ : ص ٢٦ .

إذن فلا دلالة في الآية على شيء من الإطلاق ممَّا يروم إثباته هذا الكاتب .

المقطع الرابع : من هم السابقون ؟

قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالذِّينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وَرَضَوْا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِك الفَوْزُ العَظِيم﴾ التوبة : ١٠٠ .

لقد حاول الكاتب جاهداً إقناع القارىء بأنَّ الصحابة لا يمكن أن تصل لساحتهم أقلام النقد والطعن من أي أحدٍ، بل تشدق بمنع خيال المتخيل للطعن، وهو من المبالغة المفضوحة ، خاصة مع وجود القرائن على صحة نقد الناقد، بل واقعيَّة ذلك في حد ذاته، وباعتراف كبراء القوم به.

بل الآيات التي بعدها والتي قبلها تؤلِّف منظومة واحدة في المعنى الذي نروم بيانه، من عدم استواء عدالة الصحابة وإخلاصهم وإيمانهم على درجة واحدة.

فياترى إلى متى نظل نكابر على عقولنا ووجداننا؟

وعلى كل حال فهاك بعض الكلمات حول هذه الآية تنفع في رد ما ذكره وإثبات ما منع من تحققه ، فضلاً عن تصوره، فضلاً عن تخيله:

أولاً : إنَّ الحكم المذكور في الآية هو ـ كما يقول العلماء ـ من القضايا الخارجيَّة، أي من الوقائع الخاصة الشخصيَّة المختصة بأشخاص بأعيانهم، ومثل هذه القضايا لا يمكن تحصيل حكم كلي منها.

فالسابقون جماعة خاصة ، والمهاجرون كذلك، والذين اتبعوهم بإحسان مثلهم.

لكن ليس كل متبع لهم، بل خصوص من اتبعهم باختيار منه وإحسان، فلا تشمل الآية المتبع لهم عن كراهية وقهر، أو المتبع لهم لأغراض دنيويَّة.

هذا بالنسبة للموضوع.

بل حتى ولو كانت من القضايا الحقيقيَّة لم تنفع هذا الكاتب في شيء من أمر مدعاه، وذلك لثبوت خروج بعض الأفراد عنها قطعاً، وقد قال أهل الإختصاص يكفي لنقض الموجبة الكليَّة ثبوت السالبة الجزئية.

فما يدَّعيه من ثبوت الرضا لكل الصحابة مطلقاً، وما يَّدعى لنقض هذه الكليَّة ثبوت أنَّ بعض الصحابة ممَّن سبق في الهجرة أو من الأنصار قد فعل ما يوجب غضب اللَّه عليه، ولو بتوسط غضب نبيِّه كما في روايات كثيرة.

وهذا ثابت بالنصوص الكثيرة حول بعض الأشخاص، كما مرَّ منَّا ذكر بعض الروايات المثبتة لذلك عنهم، فلا تبقى للقضية الكليَّة التي يريدها دعامة إلا وانهدَّت.

ثانياً: وأمَّا بالنسبة لمحمول القضيَّة فالرضا الذي منهم عن اللَّه لا ينفع المستدل في شيء ممَّا يروم إثباته[1].

وأمَّا الرضا الذي من اللَّه عنهم فعمومه لجميعهم هو محل الكلام، فإنَّه من الأمور التي تتَّسع وتضيق على حسب متعلَّق الرضا، فإن كان وسيعاً

(١) وذلك لوضوح اختلاف متعلق الرضا بين رضا اللَّه عزَّ وجلَّ ورضا الناس، بل حتى لو عرف متعلق رضا اللَّه لم يُجدِ، إذ أنَّ رضاهم عن اللَّه وعن نبيهﷺ من الواجب عليهم تحصيله ووظيفة مطلوبة منهم، بينما رضا اللَّه عنهم كان محض تفضل وامتنان منه تعالى عليهم.

عاماً كان الرضا كذلك، وإن كان ضيقاً فهو كذلك أيضاً.

وهنا نجد أنَّ الرضا قد صدر عن خصوص مَنْ سبقت له الهجرة ، بل ليس كل من سبقت له الهجرة، وإنَّما خصوص الأوائل منهم، وثابت لمن سَبَقَتْ منه النصرة للنبي ﷺ، لا لكل صحابي من الأنصار.

بل يمكن لنا القول بأنَّ الهجرة الممدوحة والمرغوب فيها من قبل اللّه عزَّ وجلَّ هي خصوص الهجرة إلى اللّه وفي اللّه كما في قوله تعالى: ﴿الذِّينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ..﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِه ثُمَّ يُدْرِكهُ المُوتُ..﴾[2].

وهكذا أكثر الآيات الذاكرة للهجرة أو النصرة كما في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بن مَرْيَم لِلحَوَارِيين مَن أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾[3].

ثالثاً : يمكن النقض على هذا المدَّعى ببعض الآيات الأخر التي لا يمكن له الإلتزام بها، ففي مثل قوله تعالى: ﴿الذِّينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّه وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ...﴾، فهذه تثبت المدح بالصلاة من اللّه على كل من أصابته مصيبة فقال هذا القول، ولو كان القائل غير مؤمنٍ.

فما يتشدق به هذا الكاتب من مدحٍ مدَّعى للصحابة وقد استفاده من الآية، ليس ممَّا يوجب اختصاصاً لهم بالمدح دون غيرهم من الناس.

وكذا في قوله تعالى ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُم لَهُم جَنَّاتٌ

---

(١) النحل : ٤١.
(٢) النساء : ١٠٠.
(٣) الصف : ١٤.

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِي ٱللَّهُ عَنْهُم وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الفَوزُ العَظِيم﴾(١).

وقوله تعالى (إنَّ المُسلِمِينَ وَالمُسلِمَاتِ وَالمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَّاشِعِينَ وَالخَّاشِعَاتِ وَالمُتَصَدِّقِينَ وَالمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُم وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أعدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾(٢).

فهل يلتزم الكاتب بثبوت الرضا لكل من كان صادقاً ولو لم يكن جامعاً للصفات الأخرى الموجبة لدخول الجنَّة والخلود فيها ؟

وهل يقبل الكاتب أن يكون كل من تحصَّل على واحدة من هذه الصفات، المذكورة في الآية الثانية يكون مستحقاً للمغفرة والأجر العظيم، ولو لم يكن جامعاً للصفات المعتبرة في المستحق للمغفرة ممَّا لم يذكر في الآية، كصفة الثبات في القتال وعدم الفرار من الزحف، وصفة الإطاعة للَّه وللرسول والوفاء بالعهد والأمانة والانصياع لأوامره ونواهيه، وصفة المصلي المؤدي للحج و..و..و ، فهل يلتزم الكاتب بهذا هنا ؟

وكل ما يجيب به على هذا نجيب به على مدَّعاه في الآية.

رابعاً : قد اختلف في المراد بالسابقين من المهاجرين مَنْ هم ؟

فقيل إنَّهم من صَلَّوْا القبلتين.

وقيل الذين شهدوا معركة بدر.

وعن الشعبي: من بايع بيعة الرضوان ما بين الهجرتين، ومن الأنصار

---

(١) المائدة : ١١٩ .
(٢) الأحزاب : ٣٥ .

أهل بيعة العقبة الأولى، وكانوا سبعة نفر، وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين[1].

وعلى كل حال : فسواء جعلنا المهاجرين والأنصار مِصْدَاقَيْ «السابقون» بكسر كلمة ﴿الأَنصَارِ﴾ ، أو جعلنا الأنصار معطوفاً على ﴿السَّابِقُون﴾ فيرتفع، فيكون قسماً آخر في مقابل ﴿السَّابِقُون﴾، فهذا لا يغير في النتيجة شيئاً، وذلك لأمرين :

١ ـ أنَّ موضوع ﴿السَّابِقُون﴾ مجمل غير مبيَّن، حيث قد تقدم اختلاف المفسرين في المراد بهم من هم ، أو هو مبيَّن ولكنَّه خاص بطائفة منهم، لا أنَّه لكل الصحابة .

٢ ـ أنَّ الأنصار لا يمثلون كل الصحابة ـ في ما لو غضضنا النظر عن المهاجرين ـ فثبوت تعلق الرضا بهؤلاء أو بجميعهم لا يوافق مدَّعى الكاتب من عدالة كل الصحابة ـ مهاجرةً وأنصاراً ـ كما لا يخفى .

بل يمكن دعوى أنَّ المراد بالسابقين من المهاجرين والأنصار جماعة مخصوصة.

بل حتى لو أريد بهما فردٌ واحدٌ من المهاجرين ـ وهو أمير المؤمنين عليه السلام ـ وفرد آخر من الأنصار لم يكن بذلك بأس ، خاصَّة مع وصف المهاجرين بأنَّهم الأولون وأوَّل من أسلم هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

فإنَّ العرب تستعمل في كلامها لفظ الجمع وتريد به شخصاً واحداً، وفي القرآن شواهد على ذلك، كما قد مرَّ عندنا حول الآية ـ ٧٤ التوبة ـ من أنَّ المراد بها الجُلاَس بن سويد ؛ وهو فرد واحد مع أنَّ لفظها لفظ الجمع:

---

(١) تفسير الكشاف : ٢ / ٣٠٤.

﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَد قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ﴾، وغيرها من الآيات القرآنيَّة .

وقد وردت بعض الروايات المفسرة للآية ـ موضع البحث ـ بأفراد معينيين ، وهذا واضح .

خامساً : يمكن النقض على المستدل بالآية ـ على عموم الرضا لكل الصحابة ـ وهو هذا الكاتب وأمثاله :

بأنَّ هذه الآية مع تحديد السابقين في الهجرة بما بين البيعتين، أو ما كان قبل معركة بدر؛ بعدم شمولها للمهاجرين في السنة السابعة وما بعدها، إذ أنَّ بيعة الرضوان كانت في السنة السادسة من الهجرة، وكذا مِن الأنصار مَنْ تأخرت نصرته للنبي ﷺ عمَّن كانوا أوَّل قدوم النبي المدينة، فإنَّهم ليسوا من السابقين في النصرة ، فلا تكون شاملة لكل الصحابة [١].

سادساً : ليس من الممكن أن تدل الآية على عدالة كل الصحابة ؛ وذلك لكون الآية في سورة التوبة، وهي مدنيَّة بعد ظهور الإسلام وعلوِّ شأنه، ولذا اشتملت هذه السورة على فضح الكثير من أعمال المنافقين حتى كان البعض منهم كلَّما رأى حذيفة يسأله: هل نزل فيَّ شيءٌ خوفاً من فضحهم[٢]، ولذا فمن أسمائها الفاضحة.

ولكنَّ المسلمين والصحابة منهم على الخصوص لم تكن أعمارهم قد

---

(١) وقد سبق أن قلنا بأنَّ نقض الموجبة الكليَّة يكفي فيه ورود السالبة الجزأيَّة .

(٢) بل حتى المبلِّغ لها أولاً ـ وكان أبو بكر ـ لمَّا أن أرسل النبي ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام ليأخذها منه، ويبلغها أهل مكة سأله أبو بكر: أأمير أو مأمور، قال بل مأمور من النبي ﷺ، فرجع أبو بكر إلى النبي ﷺ وهو يبكي ويقول: أنزل فيَّ شيء يارسول اللَّه ؟ قال : لا يُبَلِّغ عن اللَّه إلا أنا أو رجل مني.

أقول: فهل بعد بيان هذه المنزلة والتفضيل لعلي عليه السلام بيانٌ ؟

فما لكم كيف تحكمون ؟؟

تحددت بما قبل نزول هذه الآيات، ولم تكن أعمالهم لتنقطع عند هـذا الحد، بل اتصلت أعمالهم حتى بعد نزولها بامتداد أعمارهم، وإن كانت نزلت في آخر عمر النبي، بل استمرت بعد ذلك .

فياترى : هل يمكن الإلتزام ببقاء الرضا عنهم من قِبَل اللّه حتى بـعد ذلك، ولو فعلوا ما فعلوا من مخالفات شرعيَّة في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته ﷺ ؟

هذا ما لا يمكن الإلتزام به من أي عاقل فضلاً عن عالم، وقد سبق منَّا ذكر بعض الأمور التي جرت بين الصحابة أنفسهم، أو بينهم وبين النبي.

ومن أهم ما جرى بينهم وبين النبي فيما بعد هذه الآيات حادثة الدواة والكتف، وحادثة تنفيذ جيش أسامة ، بـل أعـظمها عـلى القـلب، وهـو محاولة اغتيال النبي في قضيَّة دحرجة الدِّباب .

فأمَّا الحادثة الثانية فقد رواها لنا البخاري فقال: بعث رسول اللّه بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد **فطعن بعض الناس في إمرته!** فقام رسول اَللّـه ﷺ فقال: **إن كنتم تطعنون في إمرته فقد طعنتم في إمرة أبيه من قبل ، وأَيْمُ** اللّهِ إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ ، وإنَّ هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده [1].

وأمَّا الحادثة الأولى فقد حدَّث البخاري بهاكذلك ، فلنستمع له يحدثنا بها كما رويت له : لمَّا اشتدَّ بالنبي ﷺ وجعه قال: آئتوني بكتاب أكتبُ لكم كتاباً لا تضلوا بعده، **قال عمر: إنَّ النبي ﷺ غلبه الوجع ، وعندنا كتاب**

(١) صحيح البخاري : ٦ / ٢٤٤٤ برقم ٦٢٥٢ ، صحيح مسلم : ٤ / ١٨٨٤ ، الطبقات : ٢ / ١٨٩ .

اللّه حسبنا، فاختلفوا وكثر اللغط ! قال: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع ، فخرج ابن عباس يقول: الرزيّة..كل الرزيّة ما حال بين رسول اللـه ﷺ وبين كتابه[١].

وحدَّث بها مسلم في صحيحه هكذا : اشتدَّ به ﷺ وجعه فقال: آئتوني بدواة وصحيفة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً، فتنازعوا.

فقال بعضهم: إنَّ رسول اللّه يهجر[٢]، استعيدوه...[٣].

وفي رواية ثالثة : قال عمر: إنَّ النبيﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن وحسبنا كتاب اللّه، مَنْ لفلانة وفلانة ؟ ـ يعني مدائن الروم، إنَّ النبي ﷺ ليس بميت حتى يفتحها، ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو إسرائيل موسى» [٤].

فلغطوا واختصموا، فمنهم من يقول ما قال عمر[٥]، ومنهم من يقول: قرِّبُوا يكتب لكم رسول اللّه ﷺ كتاباً لن تضلُّوا بعده أبداً.

فلما كثروا اللغط وغمُّوا رسولَ اللّه قال : قوموا عني[٦].

فهذه نماذج ممَّا جرى مع النبي ﷺ من الصحابة، بل من كبراءهم، بل من السابقين ـ عندكم ـ الأوَّلين من المهاجرين، كل هذا في أواخر أيَّام حياته ، فكيف بما بعد وفاته من أمور وحوادث نصفح عنها تنزهاً، وحفاظاً

---

(١) صحيح البخاري : ١ / ٥٤ برقم ١١٤ .
(٢) يهجر من الهجر أي الهذيان، وذلك بسبب شدة المرض، فيقول ما لا يدرك .
(٣) صحيح مسلم : ٣ / ١٢٥٩ ، ويظهر منها أنَّ مسلم أكثر تحاشياً عن ذكر ذاك القائل من البخاري حيث حرَّف الرواية هنا فقال: قال بعضهم.. .
(٤) إمتاع الأسماع : ٥٤٦ .
(٥) صحيح البخاري :كتاب العلم: ١ / ٥٤ .
(٦) صحيح مسلم : ٣ / ١٢٥٩ .

على القارىء المحترم عن الملالة، وإعادة ذكر ما هو من المسلَّمات في التاريخ والحديث، ممَّا جرى منهم على ابنة نبيِّهم الزهراء البتول ، وزوج ابن عمِّ الرسول عليها السلام [١].

والخلاصة أنَّنا لا ننكر فضلاً للصحابة أثبته اللَّه لهم ، ولكن ليس لكل من يدَّعى أنَّه من الصحابة مثل ذلك الفضل ، بل للبعض منهم فقط ، بل إنَّ بعضهم ممَّن أساء للنبي ﷺ، فهل نعدُّ إساءته فضلاً .

وأخيراً..: لا يفتأ هذا الكاتب يفهم الأشياء فهماً معكوساً على أثر عدم معرفته بمصطلحات العلوم كالمنطق وأصول الفقه، وحتى مداليل اللغة: فهو يقول: «انظر إلى العموم في قوله تعالى ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ﴾، ولا نعلم أي عموم يدعيه فيه ويجديه فى إصلاح دعواه !!

ويقول : ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ﴾ نعم الذين هاجروا مع النبي والذين نصروه هم السابقون...» ؟!!.

عجباً ؛ كيف يعكس المعنى ؟ فالآية تُخصص الرضا بمن سبقت منه الهجرة، وبمن سبقت منه النصرة، وهذا يقول كل مَنْ تحققت منه الهجرة، وكل من تحققت منه النصرة فهو مشمول بالحكم بالرضا، فانظرْ للفرق بين المعنيين !! وانع ـ أيُّها القارىء ـ على هذا الكاتب فهمه للعبارة العربيَّة .

الموقف الخامس : غزوة تبوك...شواهد من مشاهد

إنَّ من مميزات سورة التوبة أنَّها من آخر ما نزل على النبي من السور ؛

(١) ولقد كتب العلماء كثيراً في هذه الواقعة بما يثبت صدورها عنهم بعد موت النبي مباشرةً ؛ فارجع لكتاب تشييد المطاعن للسيد ناصر حسين ، وكتاب الهجوم على بيت فاطمة، وكتاب المحسن بن فاطمة، وكتاب أين الإنصاف ؟ وكتاب محنة فاطمة ، وغيرها من كتب المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين .

فقد كانت في السنة التاسعة من الهجرة، وكان أكثرها لفضح المنافقين ومرضى القلوب ، وكانت غزوة تبوك بخروج النبي ﷺ من المدينة لمحاربة الروم، وللثأر لجعفر بن أبي طالب ومن مات معه من المؤمنين في معركة مؤتة، وكان عدد مَن معه ثلاثين ألف رجل، منهم عشرة آلاف فارس، ولكن انفصل ـ في موضع خارج المدينة ـ عبداللّه بن أبي بمجموعة من الجيش يقدر بالثلث ، وصاروا يُثبِّطون الخارجين مع النبي ﷺ عن الخروج معه .

ثمَّ إنَّ الآيات التي وردت في حق هذه الغزوة يمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

الأول : ما يشير لتثاقل الناس عن الخروج للجهاد بعد ثرائهم واشتغالهم بأموالهم وأعمالهم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالَكُم إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُم إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالحَيَاةِ الدُّنيَا مِن الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ إلاَّ قَلِيلٌ * إلاَّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُم عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُم وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ *﴾ التوبة : ٣٨ ـ ٣٩ .

وقال تعالى : ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَت عَلَيْهِم الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَو اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُم يُهلِكُونَ أَنْفُسَهُم وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُم لَكَاذِبُون﴾ التوبة: ٤٢ .

ففي هذه الآيات عتاب شديد من اللّه عزَّ وجلَّ للصحابة على عدم نفرهم لمَّا استنفرهم الرسول ﷺ، وتعييرٌ مع تبيينٌ لواقع حالهم بأنَّهم قد رضوا بالحياة الدنيا وبِلَذَّاتِها، وفضَّلوا ذلك على نعيم الآخرة وجنَّاتها.

ثمَّ تهديد ووعيد شديد اللهجة منه تعالى لهم بأنَّه إن لم تنفروا ينزل

اللّه عليكم العذاب الأليم، ولا تكونوا مستحقين لصحبة مثل هذا النبي العظيم فيستبدل اللّه قوماً غيركم، وليس في ذلك أدنى ضرر عليه .

فياترى : هل أنَّ هذا العتاب والتهديد منه تعالى كان للصحابة أم كان للكفار أو للمنافقين ؟؟

ولمزيد تأكيد واقع حالهم يبين حقيقة نواياهم بأنَّ همَّتهم قد ضعفت وصارت إلى درجة أنَّهم يستحبون السفر القريب و المغنم الواضح المقصود، وأمَّا مع بُعدُ الشُّقَّة عليهم فيتطلبون المعذرة منك لعدم استطاعتهم ذلك، بل يُقسِمُونَ على هذا، مع علم اللّه بكذبهم .

الثاني : ما يتعلّق بالمقابلة بين ما يجب على المسلمين والمؤمنين عمله لأجل التهيؤ للجهاد ، وما صَدَرَ منهم في الخارج : قوله تعالى: **﴿انفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنْفُسِكُم فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُم خَيْرٌ لَكُم إنْ كُنْتُم تَعْلَمُون﴾** التوبة: ٤١ .

وقوله تعالى : **﴿وَإِذَا أُنْزِلَت سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ استَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُم وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ القَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِم فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ *﴾** التوبة: ٨٦ - ٨٧ .

فهذه الآيات تبين ماكان مفترضاً أن يقوم به المسلمون من النفر للجهاد وبذل الغالي والنفيس من المال والنفس والولد.

ولكنَّ الأمر المؤسف ما عبَّرت عنه الآية الثانية من تثاقلهم واعتذارهم بطريقة شبه مؤدبة ؛ وهي الاستئذان منك في عدم الخروج، فنزل القرآن مُبَكِّتاً لهم، وذامَّاً لفعلهم، بعدم الفقه لأمر هذا الدين، وأهميَّة الجهاد في سبيله.

فياترى ـ أيها الكاتب المحترم ـ هل أنَّ هؤلاء من الصحابة أم من غيرهم ؟ ألا بربِّك قل لي .

الثالث : ما يتعلق بأمر المنافقين وهو آيات كثيرة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم الذِّينَ يُؤذُونَ النَّبِي وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُم يُؤمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤمِنُ لِلمُؤمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلذِّينَ آمَنُوا مِنكُم وَالذِّينَ يُؤذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُم عَذَابٌ أَلِيم﴾ التوبة: ٦١

﴿يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِم سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلْ ٱستَهْزِؤا إنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهزِؤن * لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُم إنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُم نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُم كَانُوا مُجرِمِينَ *﴾ التوبة: ٦٤ ـ ٦٦.

وقوله تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَاقَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إسْلاَمِهِم وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقِمُوا إلاَّ أَنْ أَغْنَاهُم ٱللَّهُ وَرَسُولُه مِن فَضْلِهِ فَإنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْراً لَهُم وَإنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُم ٱللَّهُ عَذَاباً أَلِيماً فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم فِي الأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ *﴾ التوبة: ٧٤.

ففي هذه الآيات صفات للمنافقين ممَّن صحَّت منه الصحبة للنبي، ولو لفترةٍ ما، وآمن به وروى عنه، ثمَّ صدر منهم النفاق ، ولكنَّ كل ذلك لم يمنع ٱللّه عزَّ وجلَّ من أن يُنزِل فيهم قرآناً يُتلَى ، فضحاً لهم وتعريضاً بمواقفهم الخاذلة للنبي[1].

---

(١) أقول : إذاكان القرآن نفسه يقوم بفضح بعض المنافقين ومرضى القلوب، ويعرف النبي بهم والنبي يعرف الناس بهم، ولو بالوصف دون الإسم، فلا بدَّ وأن يكون ذلك لغرض سَامٍ، وغاية قصوى يريدها القرآن من ذلك، ونحن نقتفي بالقرآن في هذا الأمر ونتبع سنَّة الرسول .

هذا مع سبق بيعتهم للنبي وعهدهم له بعدم الخذلان وبالنصرة له في كل المواقع ، فنقضوا العهد وخالفوا ما بايعوا النبي عليه .

وأمَّا الآية الثانية: فقد قيل بأنَّها نزلت في الجُلاَس بن سويد بن الصامت بن خالد الأوسي ، وقيل في عبد اللّه بن أبي ، وقيل في أهل العقبة [١].

فإنَّه ﷺ لمَّا كان في غزوة تبوك قال الجُلاَس بن سويد: واللّه لئن كان ما يقول محمدٌ حقاً لإخواننا الذين خلَّفناهم ، وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شرٌّ من الحمير.

فنقل ذلك الكلام إلى رسول اللّه ربيبُهُ عامر أو عمير بن قيس الأنصاري فاستدعاه الرسول ﷺ فأنكر، فرفع عامر يديه نحو السماء وقال: اللهم أنزل آية في تكذيب الكاذب وتصديق الصادق منَّا، فنزلت هذه الآية ، فتاب عندئذٍ الجلاس وحسنت توبته وإسلامه .

وأمَّا القول بنزولها في أهل العقبة ففيها إشارة لما اتفقوا عليه من الهمِّ بقتل النبي ودحرجة الدباب عليه أو قطع زمام ناقته حتى تسقط به في الوادي، وذلك عند مرجعه من تبوك [٢].

وكل ما يُشكِل به هذا الكاتب علينا فهو إشكال على كتاب اللّه وسنَّة رسوله ، إلا أن ينكر وجود مثل هذه الآيات في القرآن ، أو ينكر وجود كل سورة التوبة ـ الفاضحة ـ في القرآن، أو وجود الروايات في الصحاح والسنن ، وحينئذٍ فلا كلام لنا معه !!

(١) مجمع البيان : ٦ / ٩٠ .

(٢) تفسير الكشاف : ٢ / ٢٩١ ، وفي هامشه كتب ابن حجر العسقلاني: أخرجه أحمد من حديث أبي الطفيل قال: لمَّا قفل رسول اللّه ﷺ من غزوة تبوك..وساق الحديث» وذكر في ذيل الحديث : لمَّا كان بعد ذلك وقع بين عمَّار ورجل منهم شيء ممَّا يكون بين النآس، فقال أنشدكم اللّه كم أصحاب العقبة الذين أرادوا أن يمكروا برسول اللّه ؟
فقال : ترى أنَّهم أربعة عشر، فإن كنتَ فيهم فهم خمسة عشر.

تواثق خمسة عشر رجلاً أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل، فأخذ عمَّار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة يسوقها[1]، فبينما هم كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح، فالتفت فإذا قوم متلثمون، فقال: إليكم إليكم يا أعداء اللّه فهربوا[2].

وفي رواية أنَّ أسيد بن حضير سأل الرسول ﷺ عن سبب تخلفه عن القوم ومشيه في الليل عبر العقبة، فقال: أتدري ما أراد المنافقون البارحة ؟

قال : وماذا أرادوا ؟

قال : أرادوا أن يقطعوا أنساع راحلتي وينخسوها حتى يطرحوني من راحلتي.

فقال له: عيِّنهم فيقتلهم أهل عشيرتهم، وإن شئت عيِّنهم لي فلا تبرح حتى آتيك برؤوسهم .

فقال رسول اللّه: **إني أكره أن يقول الناس إنَّ محمداً لمَّا انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل أصحابه** [3].

وليس غائباً عنك ما رواه مسلم بسنده عن حذيفة عن النبي ﷺ أنّه

ومن هذا الوجه رواه الطبراني والبزار وقال: روي من طرقٍ عن حذيفة ، وهذا أحسنها وأصلحها إسناداً، ورواه ابن إسحاق في المغازي، ومن طريقه البيهقي في الدلائل عن الأعمش عن عمرو بن مرَّة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان ـ وساق الحديث إلا أنّه قال اثني عشر رجلاً فانتهت إلى رسول اللّه فصرخ في وجههم فولوا مدبرين .

(١) وفي بعض الروايات الأخر بالعكس .

(٢) راجع لمعرفة تفاصيل هذا: سنن البيهقي : ٩ / ٣٣ ، وقيل بأنّه أحسنها وأصلحها سنداً، البداية والنهاية : ٣ / ٣٢٧ ، زاد المعاد: ٣ / ٥٤٥ ، أنساب الأشراف: ص ٢٣٦ ، مغازي الواقدي : ٣ / ١٠٤٢ ، تفسير ابن كثير : ٢ / ٦٠٤ .

(٣) إمتاع الأسماع : ٤٧٨ ـ ٤٧٩ .

قال: «**في أصحابي** إثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنَّة حتَّى يلج الجمل في سُمِّ الخياط»[١].

ولا يفوتنَّك قول النبي ﷺ «في أصحابي» ، وكذا قوله «قتل أصحابه» في الرواية السابقة .

الرابع : ما يتعلق بمدح أمير المؤمنين والمؤمنين معه، وكذا ما يتعلق باستقبال الوفود: قوله تعالى: ﴿**لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ التوبة: ٨٨ .

ممَّا لا شك ولا ريب فيه لدى كل متتبع لمواطن نزول الآيات القرآنية، وهو ممَّا لابدَّ وأن يحصل به القطع أنَّه لا توجد آية مدحٍ في القرآن إلا وعليٌّ على رأس الممدوحين فيها.

وقيل بأنَّ موارد مدحه عليه السلام بلغت ثلاثمائة آية[٢]، بل نُسِب إلى أحمد بن حنبل أنَّه قال : لم يصلنا من روايات الفضائل في أحد من الصحابة ما وصلنا في علي بن أبي طالب عليه السلام [٣].

إن قلت : من المعروف تاريخياً أنَّ أمير المؤمنين لم يكن مع النبي في هذه الغزوة، بل بقي في المدينة ، فكيف يكون مشمولاً بها ؟

قلتُ : إنَّ المدح في الآية لمن كان مع النبي، وليس المقصود خصوص المعيَّة البدنيَّة، وإلا فقد كان معه الكثير من المنافقين، ولا يمكن أن تكون الآية شاملة لهم بالمدح ، بل يمكن لنا دعوى عدم إرادة المعيَّة البدنيَّة

(١) صحيح مسلم : ٤ / ٢١٤٣ كتاب صفات المنافقين ، سنن البيهقي: ٨ / ١٩٨ ، مسند أحمد : ٥ / ٣٩٠ وغيرها من المصادر .

(٢) تفسير الحبري :

(٣) المستدرك للحاكم النيسابوري : باب أول فضائل أمير المؤمنين عليه السلام .

أصلاً، وأنَّ المراد مَن كان معه على الحقِّ وعلى الدعوة للّٰه عزَّ وجلَّ، ولهذا الدين.

ولا شكَّ أنَّ أمير المؤمنين هو أوّل من كان معه على هذه الدعوة، فهل تتعقل أن تخرجه عن دلالتها وتدخل الأباعد والمتأخرين في هذه الدعوة؟ وإنَّما أبقاه النبي ﷺ في المدينة محافظاً عليها عن انقلاب المنافقين وإفسادهم، حيث تخلف فيها الكثير منهم والمتربِّصُون بهذا الذين الدوائر، وأي جهاد أعظم من هذا، مع عدم حبِّه عليه السلام للتخلف، لفرط رغبته في مصاحبة الرسول ﷺ في كل غزواته، بل كان متعطشاً للذهاب معه، ولكنَّ طاعته الكبيرة للرسول جعلته يمتثل أمر النبي بالبقاء، بل كان اختياره البقاء أحد فردي التخيير بينه وبين خروجه وبقاء النبي في المدينة ـ كما دلَّت عليه الروايات ـ، ولذا لم يرد عندنا ولا عند العامَّة أن خرج علي عليه السلام في جيش أو غزوة أو سريَّة مأموراً، بل كان فيها كلِّها هو الأمير، ولذا كان من ألقابه أمير المؤمنين سلام اللّٰه عليه.

وهاك بعض الشواهد على مدائح علي:

أحدها: لمَّا عزم الرسول ﷺ على الخروج لغزوة تبوك قال لأمير المؤمنين إمَّا أن تخرج وأبقى في المدينة وإمَّا أن تبقى وأخرج، فإنَّ المدينة لا تصلح إلا بي أو بك[1].

فقبل عليٌّ بأن يبقى في المدينة، ولكن لمَّا شارف الرسول على الخروج بالجيش تكلَّم المنافقون في عليٍّ وقالوا: لو كانت له في ابن عمه

---

(١) ميزان الإعتدال: ١ / ٥٦١، مناقب ابن المغازلي: ص ٣٢.

حاجةٌ لأخرجه معه ـ فتأثر أمير المؤمنين لذلك[١] ـ وأخبر النبي بما قالوا، فقال له: «**أما ترضى أن تكون مني بمزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيَّ بعدي**»[٢]

ثانيها: لمَّا قدم وفد ثقيف على رسول اللّه في شهر رمضان، سألوه أن يدع اللات لهم مدَّة ثلاث سنين لا يهدمها، فأبى عليهم ذلك، وقال لهم النبي: لتسلمنَّ أو لأبعثنَّ إليكم رجلاً مني أو كنفسي، فليضربنَّ أعناقكم، وليأخذنَّ أموالكم، وليسبينَّ ذراريكم.

فقال عمر: فجعلتُ أنصب صدري وأقوم على أطراف أصابعي..رجاء أن يقول هو هذا، فالتفتَ إلى عليٍّ فأخذ بيده وقال: هو هذا، هو هذا[٣].

ثالثها: حادثة تبليغ سورة براءة، وقد مرَّ منَّا ذكرها، وفيها أنَّ الرسول ﷺ قال لأبي بكر:...أُمِرتُ أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي[٤] أو مني[٥].

رابعها: وفد نصارى نجران وقصَّة المباهلة المعروفة المشهورة؛ بل

---

(١) لعلَّ هذا من كلام الراوي.

(٢) صحيح البخاري: ٥ / ٢٤، صحيح مسلم: ١٥ / ١٧٣، المستدرك على الصحيحين: ٢ / ٣٣٧، مسند أحمد: ١ / ١٧٧ ـ ١٧٩ ـ ١٨٢ ـ ١٨٤، ٣ / ٣٢ وما بعدها، الخصائص للنسائي: ص ٨٢، وغيرها من المصادر الكثيرة جداً، بل قيل بتواتره، وهو قوي، لكثرة رواته وتعدد طرقه وطبقاته بما يؤمن منهم التواطؤ على الكذب.

(٣) مجمع الزوائد: ٦ / ١٦٣، مناقب ابن المغازلي: ص ٤٢٨.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢ / ٥٤٣، الخصائص للنسائي: ٩١، تفسير الكشاف: ٢ / ٢٤٣، مسند أحمد: ٢ / ١، ٤ / ١٦٤، ١١ / ١٥١، المستدرك للحاكم: ٣ / ٥١، كنز العمال: ١ / ٢٤٦، ٦ / ١٥٣، تاريخ أبي زرعة: ص ٢٩٨، والكثير من المصادر غيرها.

(٥) راجع كلمات المفسرين حول سبب نزول الآية فستجد المزيد من هذه العبارات من تفسير سورة براءة، وكذا راجع تفسير الحبري..

المدعى تواترها: حيث إنَّهم بعد أن وفدوا على النبي ﷺ تدارسوا أمر المسيح ، فردَّ اللّه دعواهم وكلّف الرسول ﷺ بمباهلتهم إن أصرُّوا على ذلك، وطلبوا المباهلة، وفي يوم المباهلة جاء الرسول، وفي إحدى يديه الحسن، وفي الأخرى الحسين، وتتبعه فاطمة، وأمير المؤمنين عليهما السلام بين يديه أو خلفهما، فلمّا رأوا ذلك خافوا وقالوا: لا نباهلك ، ولكن ندفع الجزية، فكتب علي ذلك الصلح بينهما.

فيا ترى : لمَ لم يباهل الرسول العظيم بأصحابه ؛ وهم هم ـ كما تراهم ـ ألا يوجبون استجابة دعاءه ؟

ألم يكن الرسول واثقاً في أصحابه تمام الثقة ؟

ولمَ لم يعترض الصحابة عليه ـ كما اعترض بعضهم في موارد أخرى ـ على أخذ الحسنين والزهراء وأمير المؤمنين عليهم السلام ؟

ألم تفكر في كل هذا أيُّها الكاتب القدير ؟

ولمَ لم تشر في كتابك إلى مثل هذه الوفود، وما جرى بينها وبين النبي ﷺ ؟

ألم يكن خوفاً من أن تُلزَم بالتعرض لمثل هذه المقامات الثابتة لأمير المؤمنين عليه السلام ؟

خامسها : بَعْثُ النبي ﷺ إلى اليمن : فقد بعث بعثين أحدهما ـ وهو أولهما ـ بعث خالد بن الوليد وبقي فيهم ستة أشهر ولم يسلموا.

ثمَّ بعث أمير المؤمنين عليه السلام إليهم فلمّا وصلهم وقرأ عليهم كتاب الرسول ﷺ أسلمت همدان جميعاً في يوم واحد، فأرسل للنبي بذلك ، فسجد ﷺ شكراً للّه، وكان أن اصطفى له جارية منهم، فأرسل خالد مع

بريدة رسالة للنبي ﷺ يخبره بذلك ، فغضب النبي ﷺ لذلك وقال: «لا تقع في علي فإنَّه مني وأنا منه وهو وليُّكم بعدي»[١].

أليس في هذا كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد ؟

وبعد كل هذه المواقف والمقاطع السريعة مع هذا الكاتب نراه يعود ويكتب آيات كريمة أخرى من القرآن :

فمنها: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم تَرَاهُم رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُم فِي وُجُوهِهِم مِن أَثَرِ السُّجُود ذَٰلِكَ مَثَلُهُم فِي التَوْرَاةِ وَمَثَلُهُم فِي الإِنْجِيل﴾[٢].

ومنها : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّموا بَيْنَ يَدَي ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي﴾[٣].

ومنها: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤمِنُوا حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾[٤].

فهذه الآيات تعطي خلاف ما يرومه هذا الكاتب ، فمدَّعاه هو عدالة كل الصحابة، وشدة إخلاصهم وإيمانهم بالنبي ﷺ.

ولكنَّ الآية الأولى هنا ـ مثلاً ـ غاية ما تفيده هو تحقق هذا الوصف لجماعة خاصة، وهم خصوص الذين معه ، وقد سبق منَّا القول بأنَّه لا يمكن الالتزام بأنَّهم مَن يكونون معه بأبدانهم، وإلا فالكثير ممَّن كان معه

(١) السيرة النبويَّة لابن كثير: ٤ / ٢٠٣ نقلاً عن السنن الكبرى للبيهقي : ٢ / ٣٦٩ ، الكامل لابن الأثير: ٢ / ٣٠٠ ، تاريخ الطبري: ٣ / ١٣٢ .
(٢) الفتح : ٢٩ .
(٣) الحجرات : ١ ـ ٢ .
(٤) النساء : ٦٥ .

بأبدانهم كانوا ممَّن نزلت فيهم آيات المنافقين.

بل المراد بالآية الذين معه على هذا الأمر الجامع ، وهو الدين الخالص الذي يدعو له مرسَلاً به عن ربِّه ، علاوة على أنَّا لا نمنع ثبوت مثل هذه الصفات لبعض الصحابة بل لكثير منهم، ولكنَّ هذا الكثير يقابله من لم يكونوا كذلك .

وأمَّا في الآية الثانية فهي تنهى عن التقدم ـ في الأمر و النهي ـ على النبي ﷺ ، أو التقدم في الأفعال أو الإقصار عنه ﷺ، ونقول: ينبغي لكم أيها الصحابة أن تسيروا على طبق أوامره ونواهيه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[1] دون تقدم عليها أو تثاقل ولا تأخر عن أدائها.

ولكنَّ ـ أخي القارىء ـ إليك مثالاً من واقع حياة الصحابة مع النبي ﷺ تبين لك كيفية امتثالهم لمفاد الآية أو لا ؟

وهو ما قدَّمنا ذكره من حديث صلح الحديبيَّة، لمَّا جرى الصلح وأراد النبي الإحلال من إحرامه حيث صُدَّ عن دخول البيت فأمر أصحابه بالحلق والذبح امتنعوا ، وجرى بينهم ما جرى حتى دخل على أم سلمة وشكى لها قومه، فأشارت عليه بالخروج والحلق والذبح دون اعتبار بهم ففعل فقاموا فعلوا كذلك، وقد مرَّ تخريج مصدرها[2].

وكذا ما ورد عن عائشة لمَّا أمر الناس بالإحلال بالعمرة تعاظم ذلك

---

(١) الحشر : ٧.

(٢) علاوة على المصادر السابقة ؛ راجع تاريخ الطبري ٢ / ١٢٢ حوادث سنة ٦ هـ البداية والنهاية : ٤ / ١٣٦ حوادث سنة ٦ هـ.

عندهم[١] وفشت في ذلك القالة[٢]، فقالوا ننطلق إلى منى وذَكَرُ أَحَدِنَا يَقْطُرُ مَنِيّاً[٣]، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام خطيباً فقال: بلغني أنَّ أقواماً يقولون كذا وكذا واللّه لأنا أبرُّ وأتقى للّه منهم، قالت عائشة: دخل النبي عليَّ وهو غضبان.

فقلتُ: من أغضبك يا رسول اللّه ؛ أدخله اللّه النار.

قال: أو ما شَعَرْتِ أني أمرتُ الناس بأمر فإذا هم يترددون [٤].

وأمَّا في الآية الثالثة فاستمع لما ذكره المفسرون:

قال بعضهم لمَّا نزلت هذه الآية قال أبو بكر: يارسول اللّه ؛ واللّه لا أكلمك إلا السِّرار أو أخا السِّرار حتى ألقى اللّه ، وعن عمر أنَّه كان يكلم النبي ﷺ كأخي السِّرار لا يسمعه حتى يستفهمه [٥].

ولكن فلنستمع لأصل القصة لنعرف منها لِمَ قالا ذلك :

فقد أخرج في الدرِّ المنثور عن البخاري وابن المنذر والطبراني عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيِّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم ، فأشار أحدهما بالأقرع بن

---

(١) هذا اللغظ لمسلم : ٢ / ٩٠٩.
(٢) هذا اللفظ للبخاري : كتاب الإشتراك في الهدي: ٢ / ٨٨٥.
(٣) صحيح البخاري : كتاب التمني: ٦ / ٢٦٤١ ، وقد ذكر في مقدمة مرآة العقول أنَّ القائل بهذه الكلمة «ننطلق إلى منى وذكر...» هو عمر بن الخطاب وقد أجابه النبي ﷺ بقوله: إنَّك لن تؤمن بها حتى تموت..» والشاهد على هذا أنَّه لمَّا صار خليفة نهى المسلمين عن أمور ومنها متعتا الحج والنساء ؛ ١ / ٢٢١ .
(٤) صحيح مسلم : ٢ / ٨٧٩.
(٥) تفسير الكشاف : ٤ / ٣٥٢ أما حديث أبي بكر فقد ذكره الواحدي عن عطاء عن ابن عباس ، وأما حديث عمر فقد خرجه البخاري من حديث أبي الزبير .

حابس[١] وأشار الآخر برجل آخر[٢].

فقال أبو بكر لعمر ما أردتَ إلا خلافي !.

قال: ما أردتُ خلافك .

فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل اللّـه: ﴿ يَاأَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُم... ﴾ قال ابن الزبير: فما كان عمر يُسمع رسول اللَّه بعد هذه الآية حتى يستفهمه»[٣]

وحينما نأتي بمثل هذه الشواهد ليس غرضنا خصوص الشخص المعيَّن ، بل بما أنَّه أحد الصحابة، فتنتقض القضية الكليَّة التي يدَّعيها الكاتب من الحكم بعدالة كل الصحابة ، وعدم جواز نقدهم.

وإن كان يغلب في الظن أنَّه لا غرض له في كل الصحابة، ولكنَّه الطريق الوحيد لتعديل جماعة السقيفة على أقل التقديرات، وصبغهم بهالة قدسيَّة تمنع من التفوُّه عليهم ولو ببنت شفة.

الموقف السادس : غزوة حنين

ولعل الكاتب لم يذكره لوضوح الفضيحة فيه، إذ نزل فيه قرآن يتلى، فكيف يواري سوأة مَن يمسَّهم مِن الصحابة عن ذلك، فليس من طريقة إلا إغفال الذِكْرِ لعلَّ القارىء يغفل أيضاً عن ذلك .

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

(١) وفي رواية أنَّ المشير به هو عمر بن الخطاب .

(٢) وهو أبو بكر فقد أشار بالقعقاع بن معبد بن زرارة .

(٣) الدر المنثور: ٦ / ٨٤ ، صحيح البخاري : ٣ / ١٩٠ ـ ١٩١ تفسير الحجرات ، وفي طبعة أخرى ٤ / ١٥٨٧ ـ ١٨٣٣ ، سنن النسائي : ٨ / ٢٢٦ .

فَلَم تُغْنِ عَنْكُم شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُم الأَرْضُ بِمَا رَحُبَت ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَه عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى المُؤمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الذِّينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ المُحْسِنِين﴾ التوبة : ٢٥ ـ ٢٦ .

فقد كان جيش الرسول ﷺ لحرب قبيلة هوازن اثنا عشر ألفاً ، منهم عشرة آلاف الذين آشتركوا في فتح مكَّة، وألفان ممَّن أسلم في مكَّة، وقد عجبوا ، بل آتكلوا على كثرتهم، فقال بعضهم : « لا نُؤتَى من قِلَّة» فكره ذلك رسول اللَّه منهم، وقد اختبئت هوازن في الوادي.

ثمَّ لما خرجوا على المسلمين انهزم المسلمون و وَلَّوْا الدبر، حتى لم يبقَ مع الرسول إلا عشرة وقيل تسعة : علي بن أبي طالب والعباس عم النبي ـ وهو المنادي في الفارِّين ياأهل بيعة الشجرة..يا أهل سورة البقرة..ـ وأبو سفيان بن الحارث ونوفل بن الحارث وربيعة أخوهم ، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب والفضل بن العباس وعبداللَّه بن الزبير، وقيل أيمن بن أم أيمن [1].

وعن بعض مصادر الشيعة: إنَّ الناس فرُّوا جميعاً يوم حنين عن النبي ﷺ إلا سبعة أبو سفيان وربيعة ونوفل أبناء الحارث، والعباس وابنه الفضل وأمير المؤمنين وأخوه عقيل والنبي على بغلته الدلدل...» [2].

فهل الفارُّون والمُوَلُّون الدُّبُرَ الأصحابُ أم الأغيار ؟

وهل أنَّ فعلهم مساوٍ لمن ثبت مع النبي ؛ ألا بربك قل لي!!؟

وفي هذه الغزوة وبعد أن انتصر على هوازن حاصر الطائف، وأمَّر علياً

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٦٢ ، أنساب الأشراف: ١ / ٣٦٥ ، الإستيعاب: ١ / ٨١٣ ، تفسير الفخر الرازي: ١٦ / ٢٢ ، تاريخ الطبري: ٢ / ١٦٧ حوادث سنة ٨ هـ.
(٢) الأمالي للشيخ الطوسي [illegible]

على كسر الأصنام، وبعد أن أدَّى مهمَّته رجع فكبَّر النبي ﷺ، وناجى علياً طويلاً، يقول جابر: أتاه عمر بن الخطاب فقال: أتناجيه دوننا وتخلو به ؟ فقال: يا عمر ما أنا انتجيته بل اللّه انتجاه»[1].

فقد علم القارىء المحترم...الآن ؛ لِمَ انحرف قلم هذا الكاتب عن ذكر بعض الغزوات أو بعض الوفود القادمة على النبي ، فليس ذلك إلا محاولة لإطفاء نور اللّه عزَّ وجلَّ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِم وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون﴾[2]، وتستراً على فضائل علي أميرالمؤمنين عليه السلام والتي ملأت ـ مع إخفاء أوليائه خوفاً وإخفاء أعداءه حسداً ـ الخافقين .

(١) سنن الترمذي باب مناقب علي ، أسد الغابة: ٤ / ٢٧ ، المعجم الكبير للطبراني: ٢ / ١٨٦ ، بألفاظ متقاربة وبعضها عن أبي بكر لا عمر، كما أنَّ بعضها عنهما جميعاً .
(٢) الصف : ٨ .

خـاتـمـة:

والذي نخرج به من هذه الدراسة عدَّة أمور:

الأول : إنَّ أهل السنَّة ينقسمون في هذا الزمان ـ من حيث اعتبار الروايات إلى قسمين:

ـ قسم لا يعتبر من الروايات النبويَّة ـ عملاً وإن لم يصرحوا به ـ إلا صحيحي البخاري ومسلم، وهؤلاء هم ما يسمون في هذا الزمان بالفرقة الوهابيَّة والسلفيَّة ، فلا يرون المناقشة في أسانيد رواياتها.

ـ وقسم يعتبرون بالكثير من المصادر الحديثيَّة و التاريخيَّة قوَّة أو فعلاً[1]، علاوة على الصحيحين لو صحَّ سندها.

فأمَّا القسم الأول فهم يرون أنَّ ماكان موجوداً في هذين الصحيحين لا يُحتَاج إلى البحث في سنده، بل هو معتبر مطلقاً .

وأمَّا القسم الثاني فهم يرون عدم الفرق بين الصحيحين وغيرهما من الكتب، بل كل كتاب وردت فيه روايات منسوبة للنبي وصحَّ سندها فهي ممَّا يجب العمل بها، وكل رواية ثبت ضعف سندها أو لم يثبت صحته ، فهي مطرحة ولا يصح العمل بها .

ونحن بما أنَّنا لحظنا كلا القسمين، وأردنا أن يكون الرد لهذا الكاتب شاملاً لأكبر قدر ممكن من القُرَّاء، حاولنا الجمع بين المبنيين، فنقلنا الروايات من الصحيحين ومن الكتب الأخرى ، علماً بأنَّ المبنى الأول واضح الفساد جداً، ولم تصر إليه إلا شرذمة من المتأخرين المدَّعين لاتباع

(١) المراد بالقوة : إمكان تصحيح الروايات الواردة في الكتب الحديثيَّة، والمراد بـ فعلاً أنَّها مصححة عندهم بالفعل .

السلف، وأتباع ابن تيميَّة وابن حزم وابن القيم، ومن سار على خطِّهم، ونشر أفكارهم ممَّن يدين بالدعوة الوهابيَّة في هذا الزمان.

فالذي نتمناه أن لا يكون هذا الكاتب من أتباعها ودعاتها، فإنَّ من ينتمي إليها، فمذهبهم عدم قبول نظر أي طرف آخر، بل يترقى لتكفير كل من يخالفهم في الرأي فمنطقهم: أنت معنا وإلا فأنت كافر[١].

ولذا فيمكن لنا القول أنَّه في هذا الزمان ليس من موضع لمن يعيش مثل هذه العقليَّة الضعيفة في وسط المجتمعات المسلمة المتوائمة المحبَّة لكل من نطق بالشهادتين وأحبَّ أهل البيت عليهم السلام وعمل بما أمر به الرسول صلى الله عليه وآله من طاعتهم حيث يأمن الناس من يده ولسانه.

الثاني: ليكن معلوماً لهذا الشيخ الكاتب للرسالة ولغيره أنَّ الدعوة لنقد بعض الصحابة، أو وضع أعمالهم على مائدة التشريح ليس فيه منقصة لكل الصحابة، بل حتى بالنسبة للصحابي الذي تحقق صدور الخطأ منه ثمَّ تاب عنه[٢].

فإنَّا لا نتحسَّس من أحد لشخصه وذاته مستقلةً عن أفعاله والمحيط الذي كان ينطلق منه في تصرفاته، بل إنَّ النقد أو الدراسة الفاحصة لحياة

---

(١) والشواهد على هذا كثيرة؛ فهي تبدأ من تكفير شيخهم محمد بن عبد الوهاب لكل من خالفه في الرأي حتى أخيه الشيخ سليمان، وانتهاءاً بالشيخ الألباني الذي قد أيَّدوه لمدة من الزمان، ثمَّ كفَّروه، وذلك لمجرد أن ناقش في أسانيد بعض الروايات، وكذا سمعنا أنَّهم قد كفَّروا الشيخ حسن فرحان المالكي لمجرد أن قام بمناقشة بعض القضايا العقديَّة والتاريخيَّة المسلَّمة عندهم، وهكذا منصور النقيدان حديثاً، وغيرهم كثير.

(٢) كما في الجُلاَس بن سويد فإنَّه أخطأ، وقال كلمة الكفر مشتبهاً، فنزل القرآن مُلَوِّماً له فتاب وحسن إسلامه.

أحدهم ليست إلا لما صدر منه من أفعال مخالفة لإرادة اللّه ، وللزوم الطاعة للنبي ولأولياء اللّه المأمورين بطاعتهم في الآية القرآنيَّة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم...﴾(١) وقوله تعالى: ﴿ومَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (٢).

وكل ذلك لأجل الحفاظ على من ننقل عنه الأحاديث النبويَّة.

وهل في تطلبنا الحفاظ على ذلك غضاضة ؟.

الثالث : لم يشر هذا الكاتب لما صدر عن أمير المؤمنين وأهل بيته عليهم السلام من كلمات في مدح الصحابة وصحبتهم للرسول صلى الله عليه وآله ، سواء في نهج البلاغة أو في كلمات أخرى، وكذا ماكان في الصحيفة السجاديَّة و الروايات المتناثرة هنا وهناك، وهي معتقدنا في الصحابة الطيبين الذين أحسنوا الصحبة رضوان اللّه عليهم خاصَّة .

و ما مرَّ حول ما ورد من آيات تشير لمدح الصحابة، فقد قلنا هناك بأنَّ مدحها مدح جمعي ، لا أنَّه مدح للجميع واحداً واحداً ، ومثل هذا المدح لا نمنع منه بل نُقِرُّه.

كيف ؟ ومنهم مَنْ هو مِنْ خَوَاصِّ النبي وأمير المؤمنين عليهما السلام ، وقد أبلى مع الرسول صلى الله عليه وآله بلاءاً حسناً، ومات على ما مات عليه رسول اللّه صلى الله عليه وآله ، كسلمان المحمدي، والمقداد بن عمرو، وعمَّار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وأمثال خبَّاب بن الأرت، وعثمان بن حنيف وأخيه سهل بن حنيف حبيب رسول اللّه، والمفدي بنفسه في المغازي كلها نفس رسول

(١) النساء : ٥٩ .
(٢) الحشر : ٧ .

اللّه ﷺ ، وأبو دجانة الأنصاري، والمرقال هاشم بن عتبة ، وخالد بن سعيد بن أبي عامر خامس من أسلم ، وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت، وجابر بن عبداللّه الأنصاري، وقيس بن سعد بن عبادة، وأبي أيوب الأنصاري، ومالك بن الأشتر النخعي، والبراء بن عازب، وعبادة بن الصامت ، ومالك بن نويرة.

و الكثير من الصحابة الذين وفوا بما عاهدوا اللّه عليه، وماتوا على ذلك، وما بدَّلوا بعد وفاته فضلاً عن حال حياته .

الرابع : لقد لاحظنا كثيراً ـ من هذا الكاتب ومن غيره من الكتَّاب ممَّن اتخذ اسم السنَّة شعاراً ودثاراً ـ أنَّهم يتشبثون من الآيات بما يوافق هواهم وآراءهم، ويقومون باستبعاد كل آيةٍ فيها إشارة أو تلميح بفضل علي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، وكأنَّهم قد وقفوا أنفسهم على استمرار عمليَّة التعتيم على فضائلهم ومناقبهم، وما ورد في حقِّهم من قِبَلِ النبي ﷺ، وهو ذلك العمل الشنيع الذي قام به معاوية، وجرت سُنَّة الدولة الأمويَّة عليه، وتبناه ابن تيميَّة وأضرابه ، وكأنَّ هذه الأحاديث ليست صادرة عن النبي ﷺ ، أو أنَّها لا تمتُّ إليهم بصلة على الإطلاق، وأنَّهم ليسوا أهل بيت نبيهم صلوات اللّه عليهم أجمعين !!.

بل يحاول هذا الكاتب مثلاً أن يعتمد على إحياء الدعوة القديمة من مقولة: «حسبنا كتاب اللّه»، فهو يرفع شعارها هنا منادياً بترك كل الروايات والكتب المتعلقة بتفسير الآيات ، والإكتفاء بالقرآن.

وياترى هل القرآن ـ على مرِّ هذه القرون الأربعة عشر ـ قد حلَّ كل خلافات المسلمين ؟ وآلتئمت كل كُلُومِهِم، وسُدَّت كُلُّ ثغراتهم ؟

بل يترقى إلى القول بأنَّ كل تلك الروايات محض أساطير تاريخيَّة [١].

وهو أمر غريب جداً من مثله ، وهبْ أنَّها أساطير فهل مرويات الصحاح أساطير أيضاً ؟

سلَّمنا ذلك في غير الصحيحين ، ولكن ما تقول في الصحيحين ؟ فهل رواياتهم أساطير ؟

أو تقول قد دُسَّت فيهما ؟ ومَن الذي دسَّها، وقد طُبِعَت في مطابعكم ؟

والغرض من كل هذا ليس بيان اعتبارنا لمثل هذه الكتب، وإنَّما لأجل إلزامهم بما رووه، وفيما لو كانت الروايات التي ننقلها تتحمل كلمة كفر أو وصفٍ مشينٍ لبعض الصحابة، فهو ليس منَّا، بل من رواياتهم الموجودة في كتبهم، وناقل كلمة الكفر ليس بكافر.

فالعجب أنَّهم يُكَفِّرُون الناقل في حين أنَّهم يلتزمون بعدالة الراوي والمؤلف فضلاً عن إيمانه، فما لكم كيف تحكمون ؟

ولا يقف هذا الشيخ وأمثاله من الكتَّاب عند هذا الحد بل تراهم يعتبرون بالرجل ويوثقونه ويروون عنه مادام لم يروِ فضيلةً لأهل البيت عليهم السلام، وبمجرد روايته لفضيلة في أمير المؤمنين عليه السلام يُضَعَّف، ويرمى بالمخازي وما يتنزه اللسان عن ذكره.

وأمَّا من يروي طعناً في علي ـ وهو من وضعه أو وضع مَنْ سَبَقَه في الرواية ـ فهو مُقَدَّم عندهم، وممَّن يُسْكَن إليه في الرواية، وممَّن ثبتت وثاقته وعدالته.

فقد رووا عن عمران بن حطَّان المادح في شعره لعبدالرحمن بن ملجم

(١) صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله : ص ٣٤.

قاتل أمير المؤمنين عليه السلام، روى عنه البخاري ومسلم، وأخرجوا عن المغيرة بن مُقَسِّم كما وثّقه الذهبي، مع أنّه كان يحمل على عليٍّ [١].

وكذا أخرجوا عن قيس بن أبي حازم مع أنّه يحمل على عليٍّ [٢]، وأخرج مسلم والأربعة عن الفأفأ في حين أنَّ الذهبي نصَّ على كونه ناصبياً[٣]، كما أخرجوا عن حريز شيخ البخاري مع أنّه كان يلعن علياً عليه السلام في كل يوم سبعين مرَّة ؛ لعنه اللّه وأخزاه .

فيا عجباً كيف يكون الناصبي عادلاً وراوياً للسنَّة عن النبي صلى الله عليه وآله، والحبل في هذا المسار طويل جرَّار لا نهاية له عندهم .

الخامس : ليس من الإنصاف والعدل ـ أيها الكاتب ـ أن تأمر بالتأمل في آيات القرآن، في حين أنّك تمنع لحاظ الروايات المفسِّرة لتلك الآيات، وهل المفسِّر والمبيِّن لما أنزل إلا النبي صلى الله عليه وآله، وكيف نعرف تفسير القرآن إذا لم يبينه لنا الرسول ومَن عيَّنهم اللّه عزَّ وجلَّ ورسوله عليهم السلام لحفظ القرآن وبيانه وتوضيحه للناس .

فإنَّ معرفة ناسخه من منسوخه، ومجمله من مبيَّنه، و عامَّه من خاصِّه، ومطلقه من مقيده، ومكيِّه من مدنيِّه ؛كل تلك الأمور مرهونة بمعرفة النبي وأهل بيته عليهم السلام حقَّ المعرفة.

وأمَّا مع الانحراف عنهم، وعدم العمل بقولهم، وعدم الإهتداء بهديهم، فهو عين الضلال المذموم في القرآن، وفي الروايات، ولم يكن ذلك الفعل من المتقدمين إلا حسداً وبغضاً لهم عليهم السلام بما أعطاهم اللّه من

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٦ / ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٤ / ١٩٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٥ / ٣٧٤ .

فضله، وقد مرَّ علينا سابقاً ما صنع النبي مع أمير المؤمنين من مناجاته له الطويلة، فغضب بعض القوم وقالوا له: ما لك أكثرتَ مناجاة ابن عمك دوننا؟

فقال ما أنا ناجيته ولكنَّ اللّه انتجاه.

كما أنّنا نقرأ في التاريخ صورة واضحة من الحسد؛ يحكيها ابن عباس من حديثه مع عمر بن الخطاب أيام خلافته، فقد قال عمر لابن عباس: إنَّ قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوَّة والخلافة فتذهبون في السماء بُـذَّخاً وشمَّخاً.

لعلَّكم تقولون : إنَّ أبا بكر أراد الإمرة عليكم وهضمكم ؟ كلا ؛ لكنَّه حضره أمرٌ لم يكن عنده أحزم ممَّا فعل، ولولا رأي أبي بكر فيَّ بعد موته لأعاد أمركم إليكم، ولو فعل ما هنَّأكم مع قومكم، إنَّهم لينظرون إليكم نظر الثور إلى جَازِرِه [١].

وعلى هذا، فما ذكره هذا الكاتب في ختام رسالته من إمكان اجتماع حب النبي والآل مع حب الصحابة في قلب واحد.

فهو ممنوع من جهة، وجائز من جهة أخرى : أمَّا جهة منعه فهي منع الإطلاق فيه ، فإنَّ حب النبي والآل عليهم السلام والصحب الكرام لخصوص الذين صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه، و وفوا بذلك العهد، وماتوا على ذلك، هذا من الأمر المرغوب في تحصيله من المؤمن

ولكن ليس كل الصحابة ممَّن يجب حبُّهم كحب النبي والآل ، فإنَّ منهم من بدَّل وغيَّر وحرَّف، فهل نحبُّهم كما نحب النبي والآل عليهم السلام ؟

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٩٠ .

هذا ما لا ترضاه لنفسك فكيف ترتضيه للناس ؟

وأمَّا جهة الجواز؛ فهي حب الصحابة الذين لم يؤذوا النبي بل ناصروه، ولم يفروا، ولم يخذوله أمام المشركين والكفار، وماتوا على ذلك، فهؤلاء هم الصحابة بحقٍّ ، فليس من الممتنع أن يجتمع حبُّهم مع حب النبي والآل الكرام، فنحن نحب اللّه والنبي وأهل البيت والصحابة كسلمان والمقداد وأبي ذرٍّ وعمَّار وخبَّاب والبراء والمرقال ومالك بن نويرة و..و..، وهم من الصحابة، وإن كان حبُّنا لأهل البيت عليهم السلام لا يقاس به حب من عداهم من الخلق أجمعين[1].

وعلى كل حال، فلم يَحِد هذا الكاتب عن سيرة سلفه، بل مشى على طريقتهم، وسار على هديهم، من الانحراف عن نهج أمير المؤمنين عليه السلام، وليس يغرُّنا أو يُغَرِّر بنا أن كتب في غلاف كتابه كلمة لأمير المؤمنين، فإنَّها كلمة حق أراد بها ـ هذا الكاتب ـ باطلاً.

وكذا ليس ممَّا يوجب رفع عذره أن يقول بأنَّه يحبُّ علياً، فإنَّ للحب علامات وإشارات، لا نجد شيئاً منها على وجهه فضلاً عن تصرفاته وسائر أحواله، بل المُطَّلِع على حاله يرى العكس من ذلك، أعاذنا اللّه من سوء المنقلب، واللّه العاصم من كل سوء.

السادس: من الواجب علينا التنبيه على أمرٍ وهو: ضرورة توجه الأخوة المؤمنين والأخوات المؤمنات إلى من يحاول ـ في مثل هذه الأيام ـ أن يمزج السُّمَّ بالعسل، فيخلط كلامه السيء المُبَطَّن بكلامٍ ظاهرُهُ حسنٌ،

(١) فأصل الحب للنبي والآل والصحابة الذين وصفناهم بالصفات الحسنة مرغوب فيه ومطلوب ، وأمَّا التسوية بينهم في الحب والولاء والطاعة فهو أمر آخر.

كمن يمزج دعواه الباطلة برهاناً ووجداناً بكلمة لأمير المؤمنين تحتمل أكثر من تفسير وأكثر من معنى، حتى لَيَظُنُّ القارىء له أنَّه كلام كلُّه حق ويراد به الحق ، فيسير وراء الكلمات دون علم، بل بغفلة عن حقيقة الأمر، جاهلاً إلى مَ توصله ، وفي أي نَفَقٍ مظلمٍ تدخله ، فتتوارد عليه الشُبَه من هنا وهناك في عقيدته وفي مبادئه الحقَّة ، التي كرَّس أهل البيت عليهم السلام حياتهم كلها لتأسيسها وبيانها لشيعتهم ـ أيدهم اللّه ـ.

ثمَّ يبدأ في طرح هذه الشُبَه في كل نادٍ يرتاده، وكأنَّها فاكهة المجلس، فيسري سمُّهَا إلى آخرين غيره دون أن يلقوا جواباً لها، وذلك لأنَّهم لا يطرحونها على أهل العلم ممَّن تخصصوا في هذا العلم.

فلابدَّ للمؤمنين والمؤمنات قبل أخذ الكتاب ـ أي كتاب كان ـ أن يسألوا أهل العلم عن محتواه وآثاره، وبعد قراءته ينبغي على القارىء له أن يعرض ما فهمه، وما انتقش في ذهنه على المختصين في العقيدة قبل أن يلوكه بلسانه في كل مجلس ومنتدى .

وممَّا يؤسف له ما وقع من الكثير من الناس ممَّن وردوا على هذه الوسائل الإعلاميَّة الحديثة، مع آلتفاتهم إلى أنَّها تحمل إعلاماً موجَّهاً مشوهاً من قبل أعداء اللّه ورسوله ، يهدف في كثير من أطروحاته إلى بثِّ السموم في عقول الشباب، كل ذلك بعناوين خدَّاعة كالحريَّة في التعبير، وحريَّة الرأي، والبحث عن الحقيقة، ومثل هذه العناوين البرَّاقة ، والجذَّابة، التي أخذت بمجامع قلوب الكثير ممَّن تاه وانجرف وراء تلك التيَّارات ولم يرجع، فخسر هو ؛ وخسرت ساحة الإيمان بفقده خسارةً لا تعوض .

السابع : خلاصة نظر الشيعة الإماميَّة في الصحابة هو:

أنَّهم لم يفرضوا على أنفسهم قدسيَّة الصحابة ككل ، بحيث يكونون في عزلة عن النقد والتجريح بعد التمحيص.

بل نظروا إليهم من حيث أعمالهم وسلوكهم، مع مقايسة تلك الأمور بالمقاييس والموازين الشرعيَّة والعقليَّة التي وصلت إليهم، وقام البرهان عليها.

فمن ثبت من الصحابة أنَّه قد حفظ العهد ولزم الحق واجتهد في اتباع الرسول والسير على نهجه في عقيدته وسلوكه، ولم يزغ عن ربه، فقد استحق التعظيم والتبجيل، بل الموالاة والتقديس ، إذ بهم قام عمود الدين قال تعالى: ﴿**إِنَّ الذِّينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِم المَلاَئِكَةُ أَلاَّ تخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّة التي كُنْتُم تُوعَدُون**﴾ [١]

وأمَّا من نكث العهد، وفارق الحق، ووغيَّر، وبدَّل، وانقلب على عقبه، فقد استحقَّ العذاب والوبال والبراءة منه واللعنة عليه، قال تعالى: ﴿**فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرَاً عَظِيماً**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**والذِّينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُم اللَّعْنَةُ وَلَهُم سُوءُ الدَّار**﴾[٣]

أقول : هذا القول خاتماً به كتابي هذا، راجياً أن يصل إلى الكاتب وغيره من القُرَّاء ، فيقرأُوه قراءةَ المتأمل المتأني، وليكن رائدهم طلب الحق أنّى كان، دون حميَّة أو هوى أو تقليد أعمى أو عصبيَّة جاهليَّة، بل الحق أحق أن

---

(١) فصلت : ٣٠ .

(٢) الفتح : ١٠ .

(٣) الرعد : ٢٥ .

يتبع ، فليكن بنظرهم أنَّ « الحكم اللَّه والزعيم محمَّد والموعد القيامة ».

والحمد للَّه رب العالمين وصلى اللَّه على محمد وآله

الطيبين الطاهرين .



مصادر البحث:

القرآن الكريم

١ ـ الأمالي ؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ).

٢ ـ الأمالي ؛ للشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد(المتوفى سنة ٤١٣هـ) .

٣ ـ الإمتاع والمؤانسة ؛ .

٤ ـ الإستيعاب ؛ يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر .

٥ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ؛ ابن الأثير .

٦ ـ إمتاع الأسماع ؛ المقريزي .

٧ ـ الإرشاد ؛ للشيخ المفيد .

٨ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

٩ ـ إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ؛ للقسطلاني .

١٠ ـ أنساب الأشراف ؛ السمعاني .

١١ ـ الأحاديث المختارة ؛

١٢ ـ البداية والنهاية ؛ اسماعيل بن عمر بن كثير.

١٣ ـ التمهيد ؛ لابن عبد البر .

١٤ ـ تاريخ الخميس .

١٥ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي ؛ عبد الرحمن بن عمرو النصري.

١٦ ـ تاريخ دمشق ؛ لابن عساكر ، ترجمة أمير المؤمنين، طبعة دار

الفكر.

١٧ ـ تاريخ بغداد ؛ للخطيب البغدادي.

١٨ ـ تاريخ المدينة .

١٩ ـ تاريخ اليعقوبي ؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح .

٢٠ ـ تاريخ الإسلام ؛ للذهبي محمد بن أحمد بن عثمان (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) .

٢١ ـ تفسير الحبري ؛ للحسين بن الحكم بن مسلم، أبي عبد اللّه الوشاء.

٢٢ ـ تفسير الطبري ؛ محمد بن جرير الطبري .

٢٣ ـ تفسير ابن كثير ؛ اسماعيل بن أحمد بن كثير .

٢٤ ـ تفسير الكشاف ؛ للزمخشري.

٢٥ ـ تفسير القرطبي ؛ أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

٢٦ ـ التفسير الكبير ؛ للفخر الرازي .

٢٧ ـ تهذيب التهذيب ؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .

٢٨ ـ جامع الأصول ؛ أبو السعادات ابن الأثير الجزري .

٢٩ ـ خصائص أمير المؤمنين ؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي

٣٠ ـ الدرجات الرفيعة ؛ للسيد علي خان المدني .

٣١ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ؛ جلال الدين السيوطي .

٣٢ ـ دلائل النبوَّة ؛ للبيهقي .

٣٣ ـ الرسالة العثمانيَّة ؛ لأبي عمرو الجاحظ .

٣٤ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ؛ أبو جعفر أحمد بن عبد اللّه الطبري.

٣٥ ـ زاد المعاد في علم التفسير ؛ عبد الرحمن ابن الجوزي .

٣٦ ـ سرُّ العالمين ؛ لأبي حامد الغزالي .

٣٧ ـ سنن النسائي ؛ أحمد بن النسائي .

٣٨ ـ سنن الترمذي ؛ محمد بن عيسى الترمذي السلمي .

٣٩ ـ سنن البيهقي ؛ أحمد بن الحسين بن علي البيهقي .

٤٠ ـ السيرة الحلبيَّة ؛ علي بن برهان الدين الحلبي .

٤١ ـ سيرة عمر بن الخطاب ؛ عبد الرحمن ابن الجوزي .

٤٢ ـ سير أعلام النبلاء ؛ الذهبي .

٤٣ ـ السيرة النبويَّة ؛ اسماعيل بن كثير.

٤٤ ـ السيرة النبويَّة ؛ محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي المعروف بابن هشام .

٤٥ ـ شواهد التنزيل ؛ للحاكم الحسكاني .

٤٦ ـ شرح نهج البلاغة ؛ لابن أبي الحديد المعتزلي .

٤٧ ـ صحيح البخاري ؛ لمحمد بن اسماعيل البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦ هـ)

٤٨ ـ صحيح مسلم ؛ مسلم بن الحجاج القشيري .

٤٩ ـ فرائد السمطين ؛ ابراهيم بن محمد الجويني الخراساني .

٥٠ ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري ؛ أحمد بن حجر العسقلاني
٥١ ـ القاموس المحيط ؛ للفيروزابادي .
٥٢ ـ الطبقات الكبرى ؛ محمد بن سعد .
٥٣ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والسير ؛ لابن سيد الناس .
٥٤ ـ عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ؛ محمد بن محمود بن أحمد الحلبي .
٥٥ ـ كنز العمال ؛ المتقي الهندي .
٥٦ ـ كشف الغمة في معرفة الأئمة ؛ علي بن عيسى الأربلي .
٥٧ ـ الكامل في التاريخ ؛ عز الدين ابن الأثير .
٥٨ ـ مرآة العقول ؛ للعلامة المجلسي .
٥٩ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ؛ للشيخ الطبرسي .
٦٠ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ؛ نور الدين الهيثمي .
٦١ ـ مسند أبي يعلى ؛ أحمد بن علي المثنى الموصلي .
٦٢ ـ مسند البزار ؛
٦٣ ـ مسند أحمد بن حنبل .
٦٤ ـ المصنف ؛ عبد الرزاق الصنعاني .
٦٥ ـ المعجم الوسيط ؛ مجموعة من الإختصاصيين .
٦٦ ـ المعجم الكبير ؛ للطبراني .
٦٧ ـ معجم البلدان ؛ للبلاذري .
٦٨ ـ المغازي ؛ الواقدي .
٦٩ ـ مقباس الهداية ؛ للشيخ عبد اللّه المامقاني.

٧٠ ـ الموطأ ؛ مالك بن أنس .

٧١ ـ مناقب أمير المؤمنين ؛ أخطب خوارزم .

٧٢ ـ مناقب أمير المؤمنين ؛ ابن المغازلي

٧٣ ـ المنتقى من آراء علماء المسلمين ؛ السيد مرتضى الرضوي.

٧٤ ـ ميزان الإعتدال ؛ للذهبي .

٧٥ ـ النزاع والتخاصم .

٧٦ ـ نقعة الصديان فيمن في صحبتهم نظر ؛ الحسن بن محمد الصاغاني .

المحتويات

قال

المحقق الكراجكي:

ومن عجيب امرهم غلوهم في تفخيم أمر الصحابة، وافراطهم في تعظيمهم، وقولهم لا يدخل الجنة مستنقص لأحد منهم، وليس بمسلم من روى قبيحا عنهم، ويقولون إنا لا نعرف لأحد منهم بعد اسلامه عيبا، وليس منهم من واقع ذنبا، ويجعلون من خالفهم في هذا زنديقا، ومن ناظرهم فيه أو طلب الحجة منهم عليه مبتدعا شريرا.

هذا ولهم في الرسل المصطفين والأنبياء المفضلين، الذين احتج الله تعالى بهم على العالمين صلوات الله عليهم اجمعين أقوال تقشعر منها الجلود، وترتعد لها الأبدان وتنفطر القلوب لها، ولا تثبت عند سماعها النفوس، ويتدينون بذكرها، ويتجملون بنشرها، ويغتاظون على من أنكرها ودحضها، كغيظهم على من أضاف إلى أحد من الصحابة بعضها

شابك 6-40-8901-964